المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

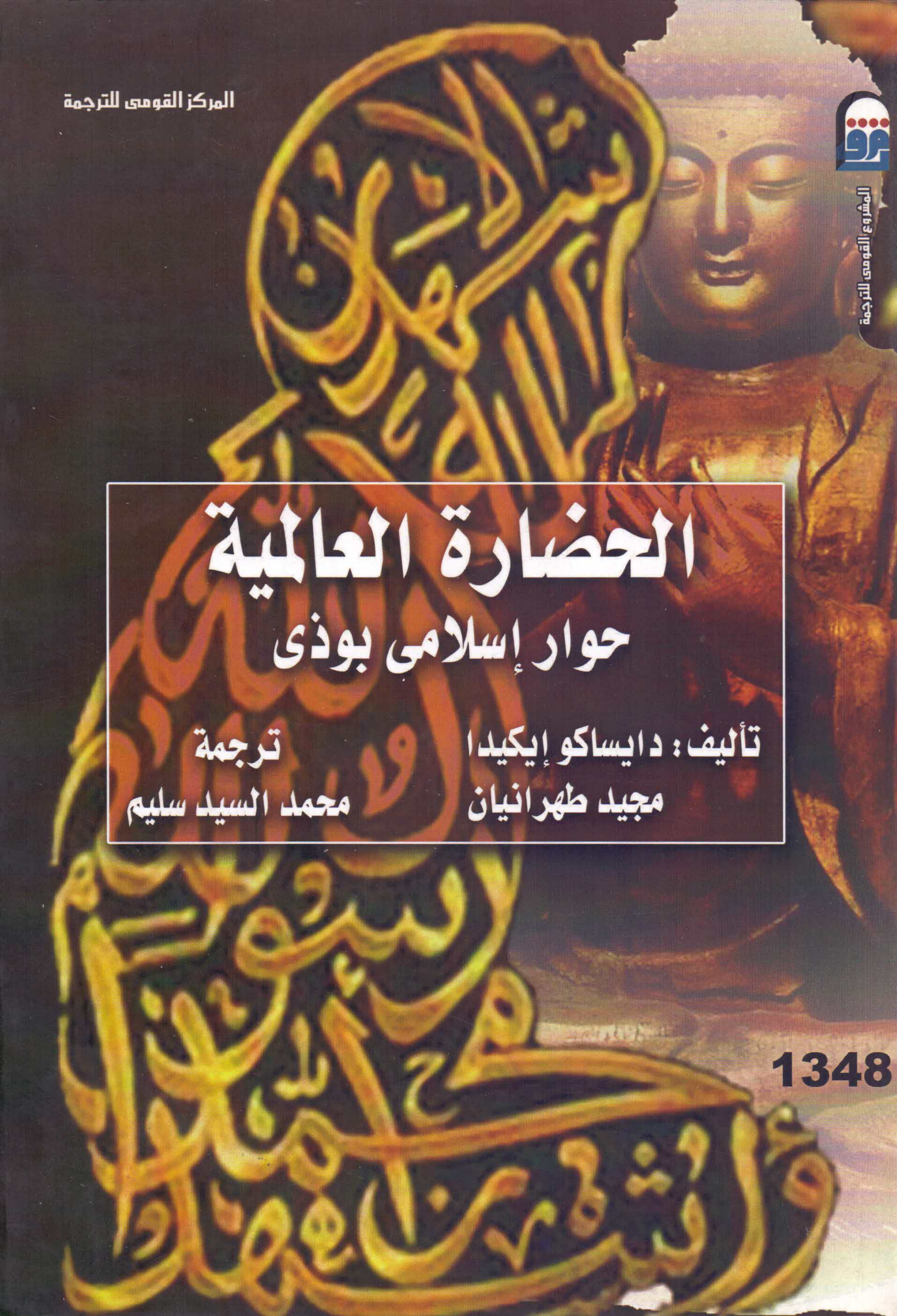

الحضارة العالمية

حوار إسلامى بوذى

تأليف : دايساكو إيكيدا
مجيد طهرانيان

ترجمة
محمد السيد سليم

1348

الحضارة العالمية

حوار إسلامي بوذي

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : 1348
- الحضارة العالمية ، حوار إسلامى - بوذى .
- دايساكو إيكيدا ، مجيد طهرانيان
- محمد السيد سليم
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :

Global Civilization : A Buddhist - Islamic & Dialogue

by Daiksaku Ikeda and Majid Tehranian

© Daiksaku Ikeda & Majid Tehranian

Original publication, 2003

Arabic edition,2008

Published by arrangement with I.B.Tauris & Co Ltd., London

تنشر الترجمة بموافقة من أى . بى . تاوريس فى لندن ، والتى أصدرت الطبعة الإنجليزية الأصلية من الكتاب» .

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة .

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.Mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

الحضـــارة العالميـــة

حوار إسلامى بوذى

تـأليـف : دايساكو إيكيدا ومجيد طهرانيان

ترجمـة : محمد السيد سليم

2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

إيكيدا ، دايساكو.
الحضارة العالمية : حوار إسلامي بوذي / تأليف: دايساكو إيكيدا ،
مجيد طهرانيان ، ترجمة : محمد السيد سليم
ط ١ ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠
٣٣٢ ص ، ٢٤ سم
١ - الحضارة .
٢ - الإسلام والحضارة .
٣ - الإسلام والديانات الأخرى .
(أ) سليم ، محمد السيد (مترجم)
(ب) العنوان ٣٠١,٢

رقم الإيداع ٢٠٠٩/١٣٢٦٧
الترقيم الدولى I.S.BN.978-977-479-441-0
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

تقـديم المتـرجم 7
استـهلال ديفـيد شـابيل 13
تصدير دايساكو إيكيدا 19
مقدمة مجيد طهرانيان 25
الفـصـل الأول: لماذا الحـوار؟ 33
الفصل الثـانى: الإسـلام 49
الفصل الثـالث: البـوذية 65
الفصل الرابع: المقاربات البوذية الإسـلامية 79
الفصل الخامس: الانبعاث الروحى والدينى 99
الفصل السـادس: صـدام الحـضـارات 121
الفصل السابع: الحوار بين الحضارات 143
الفـصل الثـامن: بحـثـا عن أخـلاق عـالمية 163
الفـصل التـاسع: قـرن من الحـروب 199
الفـصل العـاشـر: قـرن من السـلام 225
الفصل الحـادى عـشـر: اخـتـر الحـوار 251
الخـاتمة 279
ثبت الأعـلام والموضـوعـات 283
كشـاف 291

تقديم المترجم

حوار الحضارات مفهوم جديد لم يشع إلا بعد نهاية الحرب الباردة، ولكنه ذاع وأصبح أحد أكثر المفاهيم رواجا، منذ أن تم تدشينه فى وثائق المؤتمر البرلمانى الأوروبى المتوسطى الذى انعقد فى ملقا سنة ١٩٩٢، أى قبل ظهور مفهوم صراع الحضارات على يد هنتنجتون سنة ١٩٩٣ . وفى هذا الإطار قدم الرئيس الإيرانى خاتمى مبادرة للدعوة إلى هذا الحوار، وخصصت الأمم المتحدة عام ٢٠٠١ لهذا الحوار، وهو العام الذى أصبح للمفارقة عام غزو حضارة لغيرها من الحضارات بعد أحداث سبتمبر من هذا العام. كما قدمت عشرات المبادرات لتطبيق هذا المفهوم، كما أنشئت عدة مؤسسات لتنفيذه، لعل أهمها حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامى، والحوار بين منظمة المؤتمر الإسلامى والاتحاد الأوروبى، وحوار الثقافات فى إطار المشاركة الأوروبية المتوسطية (مؤسسة آنا ليند بالإسكندرية)، وتحالف الحضارات ، وحوار حضارات العالم القديم (مصر وإيران واليونان وإيطاليا).

والكتاب الذى بين أيدينا يحاول أن يقدم مساهمة مفهومية فى حوار الحضارات من خلال حوار عملى بين مثقفين ينتمى أحدهما إلى الحضارة البوذية، وهو الناشط اليابانى دايساكو إيكيدا، والآخر إلى الحضارة الإسلامية، وهو الأستاذ الإيرانى مجيد طهرانيان. وقد قُدر لى أن ألتقى المتحاور الثانى، حيث دعانى بصفته مدير معهد تودا لعدد من المؤتمرات الدولية التى نظمها المعهد فى قبرص والمجر وألمانيا، ووجدت فيه مثقفا موسوعيا رومانسيا يؤمن فى أعماقه بالكرامة الإنسانية لجميع البشر. كما سبق

لى أن زرت جامعة سوكا جاكاى التى تعد أحد الفروع الأساسية لحركة سوكا جاكاى الدولية البوذية التى يعد إيكيدا زعيمها الحالى.

ينتمى المتحاوران إلى مدرسة ترى أن الحوار هدف فى حد ذاته، وليس مجرد وسيلة إلى غاية ، فدخول الحضارات فى حوار هو أساس وجود الحضارات، أى أنه أمر كامن فى أصولها. وتفريعا على ذلك فإنهما يريان أن هناك شروطا "إجرائية" لنجاح الحوار، وهذه الشروط تتعلق بكيفية الاستماع إلى الطرف الآخر وتقييم وجهة نظره، مع توافر الاستعداد الإيجابى المسبق لتقبل وجهة نظر الآخر. وتختلف تلك المدرسة عن المدرسة التى ترى أن نجاح الحوار يعتمد على توافر شروط بنيوية مثل التكافؤ بين المتحاورين، أو التوازى بين الحوار الحضارى والتعاون السياسى والاقتصادى. شروط نجاح الحوار عند إيكيدا وطهرانيان هى شروط داخلية بين المتحاورين، وليست شروطا خارجية. ويفسر ذلك لماذا لم يشمل الحوار أسباب فشل معظم أشكال حوارات الحضارات، أو على الأقل عدم قدرة تلك الحوارات على أن تثمر النتائج المتوقعة.

حدد المتحاوران هدفهما فى المساهمة فى بناء "حضارة عالمية تنبنى على الحضارات العالمية السابقة"، فى مقام آخر يشير إيكيدا إلى الرغبة فى بناء "دين عالمى". ولكن من الواضح أن المتحاورين يسعيان إلى إيجاد ما هو مشترك بين الديانتين البوذية والإسلامية وبلورته ، (وبالذات بوذية نيتشيرين التى يؤمن بها إيكيدا، والمذاهب الإسلامية الصوفية الروحانية التى يميل إليها طهرانيان)، وهما ينطلقان من علاقة تأثر الصوفية بالبوذية من حيث تركيز كلتيهما على الروحانيات. ولكن الحوار لم يقتصر على ما هو مشترك بين الديانتين، ولكنه شمل كيف ترى البوذية والإسلام القضايا المعاصرة، مثل العولمة، وبناء السلام، ومكافحة الفقر ، و... غيرها، مع تحديد الأدوات اللازمة للوصول إلى عالم يتسم بالحوار بين الحضارات. وقد وجه المتحاوران نقدا فكريا عميقا لمقولة هنتنجتون عن صراع الحضارات ، وانطلقا بعدها فى تحديد

رؤيتهما لعالم الحوار الذى تضطلع فيه المنظمات غير الحكومية بدور رئيسى، بل إنهما يشيران إلى أهمية بناء أمم متحدة للشعوب تتوازى مع الأمم المتحدة الرسمية.

والكتاب يضم سلسلة الحوارات التى جرت بين إيكيدا وطهرانيان على مدى عدة سنوات، والتى تمت خلال التسعينيات وانتهت قبل أحداث سبتمبر سنة ٢٠٠١ . وإن كان المتحاوران قد حرصا فى نهاية الكتاب على التأكيد أن تلك الأحداث تثبت صحة مقولة الحوار بين الحضارات. وقد قسما الكتاب إلى أحد عشر فصلا تبدأ من الحوار حول وظيفة الحوار وتنتهى بنداء لكل الحضارات أن تختار الحوار. وفيما بين الفصلين دخل المتحاوران فى سلسلة ممتعة من المناقشات حول مختلف القضايا المعاصرة ، متطرقين إلى أهم الأفكار العلمية والفلسفية الكبرى فى عالمنا المعاصر، ومشيرين إلى الأسماء الكبرى التى أثرت الفكر الإنسانى المعاصر وأهم إسهاماتها. وبذلك لم يدَّع المتحاوران أنهما أتيا بما لم يأت به الأوائل، ولكنهما يكملان ما أتى به هؤلاء. ورغم مكانتهما الرفيعة فى الفكر المعاصر فإنهما حرصا دائما على الاعتراف بفضل معلميهما.

بيد أنه ربما كان من المفيد أن نشير إلى بعض الملاحظات. لعل أولها أن المتحاورين، رغم اختلاف الديانة، ينتميان إلى مدرسة فكرية واحدة؛ فطهرانيان كان مدير معهد تودا الذى أسسته حركة سوكا جاكاى التى يتزعمها إيكيدا. وبذلك فهناك قاسم مشترك أعظم مسبق بين المتحاورين. ويفسر لنا ذلك أن المتحاورين نادرا ما اختلفا فى الحوار حول قضية معينة، وبدا أنهما يكملان بعضهما بعضا. أما الحوار العادى فإنه يتضمن أوجهًا للخلاف وأخرى للاتفاق. بعبارة أخرى، حوار إيكيدا – طهرانيان هو حوار من نوع خاص يتسم بالتكامل الفكرى أكثر منه بالجدل الفكرى، وبالتالى فهو نموذج لما يمكن أن أسميه "الحوار التكاملى" .

من ناحية أخرى، فإن هناك قيودا على اعتبار نموذج الحوار الاسلامى البوذى المقدم فى الكتاب نموذجًا لحوارات بين الأديان السماوية التوحيدية. فليس ثمة مشكلة

لدى البوذية فى الاعتراف بالإسلام كدين أو برسول الإسلام كرسول لله . المشكلة تظهر لدى الديانتين اليهودية والمسيحية، حيث يرفض كلاهما اعتبار الإسلام دينًا سماويًا، لأن هذا الاعتراف يعنى نفى كل منهما، مما أدى إلى فشل الحوارات التى تمت بين تلك الأديان. إذ إنها تحطمت على صخرة تلك المعضلة. ولعل المقارنات بين الإسلام والبوذية فى حوارات إيكيدا - طهرانيان هى المسئولة عن ميل المتحاورين فى بعض الأحيان إلى تشبيه البوذية بالإسلام، أو الإشارة إلى حاجة العالم المعاصر إلى أنبياء.

وقد حرصنا على الاحتفاظ بلغة الكتاب كما هى مع وضع التعليقات التى تشير إلى رؤية المسلمين لبعض القضايا. وأخيرا، من الواضح أن الحوار بين إيكيدا وطهرانيان له بعناية كان حوارا معدًا له بعناية ، بدليل استشهاد كل محاور بالاقتباسات من الكتب الدينية البوذية والإسلامية، وأبيات الشعر وأقوال كبار المفكرين، ويشير ذلك إلى أهمية الإعداد الجيد للحوار، وتحديد الهدف النهائى منه، وهو ما تمثل بوضع فى حالة حوار إيكيديا مع طهرانيان.

ونظرا لأن الكتاب يتضمن العديد من أسماء الأعلام التى اكتفى المتحاوران بالإشارة إليها دون تحديد لأفكارها، أو أسماء المواقع الجغرافية والأحداث التاريخية دون شرحها، فقد قمنا بإضافة حواشٍ تعرف القارئ العربى بتلك الموضوعات بشكل مختصر .

وأرجو أن تقدم تلك الترجمة نافذة نطل من خلالها على مفهوم ونموذج فريدين لحوارات الحضارات، وبالذات بين حضارتين لم تتحاورا حتى الآن إلا نادرا. فقد كان جل اهتمامنا فى حوارات الحضارات على الحوارات بين الأديان التوحيدية. ويمثل هذا الكتاب محاولة راقية لحث المسلمين على فهم ما يدور داخل الحضارات الآسيوية، وفى مقدمتها الحضارة البوذية.

ولا يفوتنى أن أشكر الباحث محمد فايز فرحات على معاونته الصادقة فى هذا الكتاب .

وأخيرا فإننى أشكر الدكتور جابر عصفور، مدير المركز القومى للترجمة، على الدعم الذى قدمه منذ البداية لمشروع ترجمة هذا الكتاب، ومعه الهيئة الإدارية والفنية المعاونة التى لم تبخل بأى جهد لازم لإخراج هذا العمل إلى النور بهذه الصورة .

محمد السيد سليم

الجيزة - يونيو سنة ٢٠٠٨

استهلال

ديفيد شابيل

حوار بين الإسلام والبوذية! فكرة ربما تبدو غريبة لأن هذين الدينين يبدوان بعيدين كل البعد عن بعضهما البعض رغم تراثهما التاريخى المشترك على مدار ألف عام. وفى السنوات الأخيرة تبلورت فى جنوب شرقى آسيا حوارات عديدة، ولكن الحوار الإسلامى - البوذى ظل فى ذيل القائمة، باعتباره أقل الحوارات احتمالا فى إنتاج حوار مثمر بين الديانات.

ولكن هذه الفجوة قد تم تجاوزها ، ففى مبادرة شجاعة ومبتكرة أنشأ دايساكو إيكيدا[1]- رئيس حركة سوكاجاكاى الدولية[2]، وهى جماعة بوذية بدأت فى اليابان -

(١) دايساكو إيكيدا، رئيس حركة سوكا جاكاى الدولية، ومؤسس جامعة سوكا فى اليابان، ولد فى أوتا، طوكيو، فى ٢ يناير سنة ١٩٢٨، من أسرة فقيرة، وفقد أخاه الأكبر فى الحرب العالمية الثانية ، مما غرس لديه فكرة معارضة الحروب. تعلم بوذية نيتشيرين سنة ١٩٤٧ على يد تودا، رئيس سوكا جاكاى، وسعى فيما بعد إلى نشر تعاليم بوذية نيشرين، وتعاليم لوتس سوترا. وبعد وفاة تودا سنة ١٩٥٨ أصبح إيكيدا رئيساً لسوكا جاكاى من سنة ١٩٦٠ حتى سنة ١٩٧٩، ومايزال رئيساً فخرياً لها، ورئيساً للشعبة الدولية لسوكا جاكاى. وقد تلقى إيكيدا حوالى ٢٠٠ درجة دكتوراه فخرية من جامعات فى مختلف قارات العالم، والعديد من الجوائز، كجائزة الأمم المتحدة للسلام، كما أن له العديد من المؤلفات العلمية، منها الثورة الإنسانية (١٢ مجلداً)، والثورة الإنسانية الجديدة (١٠ مجلدات)، وله حوارات منشورة مع عدد من كبار المفكرين، منها اختر الحياة: حوار مع أرنولد توينبى. (المترجم)

تنويه : حيث إن كل الهوامش والحواشى فى صفحات هذا الكتاب من إعداد المترجم فلسنا بحاجة إلى تكرار الإشارة إلى ذلك فى نهاية كل هامش . (التحرير)

(٢) سوكا جاكاى، تعنى باليابانية "جماعة إنشاء القيمة". وهى جماعة بوذية يابانية أسسها ماكيجوتشى سنة ١٩٣٠، وكان ماكيجوتشى مدرساً ومصلحاً تعليمياً تحول إلى بوذية نيتشيرين سنة ١٩٢٨، ودعا إلى إصلاح المجتمع على أساس مبادئ تلك الديانة وكتابها المقدس "لوتس سوترا". اعتبر أن الراهب البوذى نيتشيرين، الذى عاش فى القرن الثالث عشر، هو إعادة خلق بوذا الخالد. وقد سجن ماكيجوتشى مع =

أنشأ معهد تودا لبحوث السلام العالمى وبحوث السياسة، وعين مجيد طهرانيان مديره المؤسس سنة ١٩٩٦[٣]. وكان هذا أمرًا غير مسبوق لأن مجيد طهرانيان لم يكن عضوا فى حركة سوكاجاكاى، ولا كان بوذيا، ولكنه مسلم صوفى من إيران. لقد برهنت هذه المبادرة بتعيين مجيد طهرانيان مديرًا لمعهد تودا التابع لحركة سوكا جاكاى على إيمان إيكيدا أن ما هو مشترك بين البوذيين والمسلمين يفوق ما هو مختلف عليه، وأنه إذا ما أردنا أن نبنى صروحًا من أجل السلام فإن ذوى النوايا الحسنة ينبغى أن يعملوا معا، وألا يخشوا من تنوعهم، ولكن يثرون به.

فى أوائل التسعينيات أصبح صمويل هنتنجتون[٤] محورًا لمناظرة فى السياسة الخارجية حينما أكد أن "صدام الحضارات هو التهديد الأخطر للسلام العالمى". ولكن لا يعلم إلا القليل أن هنتنجتون قد أكد أيضًا أن "الضمانة الأكيدة ضد الحرب العالمية هى بناء نظام دولى على أساس الحضارة". لذلك فقد قررت الأمم المتحدة أن تبدأ الألفية الجديدة بإعلان عام ٢٠٠١ عام الحوار بين الحضارات، وذلك من أجل بناء ثقافة

= رفيقه جوشى تودا إبان الحرب العالمية الثانية لانتقادهما الديانة الشنتوية، الدين الوطنى لليابان، والسياسة العدوانية للحكومة. وقد توفى ماكيجوتشى فى السجن، وبعد انتهاء الحرب بدأ تودا حملة واسعة لتأسيس حركة سوكا جاكاى، تحت شعار "شاكو بوكو" وقصد بها تصحيح العقائد الخاطئة للبشر. وفى سنة ١٩٦٠ أصبح دايساكو إيكيدا زعيما للحركة، ونمت عضوية الحركة لتصل إلى حوالى ١,٣ مليون نسمة منتشرين فى جميع أنحاء العالم.

(٣) مجيد طهرانيان، أستاذ علم الاتصال الدولى فى جامعة هاواى منذ سنة ١٩٨١ ومدير معهد تودا للسلام العالمى وبحوث السياسة. تخرج فى جامعة هارفارد حيث حصل على الدكتوراه ونشط فى مجال بحوث السلام والحوار.

(٤) صمويل هنتنجتون ، عالم سياسة أمريكى وأستاذ فى جامعة هارفارد، ولد سنة ١٩٢٧ صعد إلى عالم الشهرة فى الستينيات من القرن الماضى حينما نشر كتابه "Political Order in Changing Socities" والذى تحدى فيه نظرية التحديث التى تقول إن التقدم الاجتماعى والاقتصادى يؤدى إلى بناء ديمقراطيات مستقرة فى الدول المستقلة حديثا. وزادت شهرته بعد نهاية الحرب الباردة، حينما نشر مقالة بعنوان "صراع الحضارات"، سنة ١٩٩٣ والتى أكد فيها أن الحضارات، وليست الدول، ستكون هى القوى الفاعلة فى النظام العالمى القادم، وأن تلك الحضارات ستتصارع، وسيكون ذلك هو الشكل الرئيسى للسياسة الدولية.

للسلام. ولكن لكى تتحاور الحضارات فإنها ينبغى أن تتجسد فى أشخاص موهوبين(٥).

وهذا الحوار بين مجيد طهرانيان ودايساكو إيكيدا يحقق عدة أهداف، فاستعراضهما المبهر لتعلم الحضارات من بعضها بعضًا لا يكشف فقط عن وجود أرضية مشتركة واسعة بين العالمين البوذى والإسلامى، ولكنه من ناحية أخرى، يكشف عن العاطفة الجياشة لقائدين يمتلكان رؤية ويأخذانا إلى ما وراء تفاصيل الممارسة الفردية، والحواجز التى تخلقها التقاليد، نحو بناء طرق واسعة من أجل عالم مستقبلى خال من الحروب. فقد خبر كلاهما الحروب ، وسعيا منذ سنوات شبابهما إلى إيجاد بدائل للعنف، وهذا هو مفتاح حوارهما. وفى خلال مسيرتهما سعى كل منهما إلى حث نشطاء السلام مستعملين كيمياء الحوار لتحويل الخلافات إلى روابط للقوة.

لقد كان القرن العشرون أكثر القرون دموية وبربرية فى التاريخ، لأن تقدمنا التكنولوجى زاد من قدرتنا على القتل، حيث إن هذا التقدم التكنولوجى لم يصاحبه تقدم أخلاقى وروحى مماثل. ورغم ذلك، فمع نهاية القرن، ومع التغير العميق الذى شهده العالم نتيجة لاختراع الرقائق الدقيقة، كان هناك تطور دينى تاريخى بدأ فى الظهور باسم "حوار الأديان". وفى هذا الحوار سعت الجماعات الدينية إلى التعلم من بعضها البعض وإلى استكشاف عوالم الديانات الأخرى، بدلا من المنافسة. وإذا نحينا جانبا الدهشة التى تحدث عندما نكتشف الأرضية المشتركة التى تجمع أناسًا ينتمون إلى مواريث تاريخية دينية مختلفة جذريا، فإن حوارات الأديان أيضًا أثمرت "تحولا متبادلا"، وذلك بعد أن بدأ المشاركون فى تلك الحوارات يعمقون من إيمانهم ويعدلون مسار ممارساتهم الدينية. ومن ثم فإن حوار الأديان، وبالذات بين المسيحيين والبوذيين، أدى إلى القناعة خلال العقود الأخيرة بأنه ليس مجرد أداة لتعميق الحياة

---

(٥) تبنت الأمم المتحدة مشروع حوار الحضارات بناء على مبادرة الرئيس الإيرانى محمد خاتمى.

الشخصية الدينية للإنسان، ولكنه أيضًا خطوة جديدة مهمة فى التاريخ الدينى للبشرية. وليس هناك مكان أفضل لتفهم ما ينطوى عليه حوار الأديان من إبداع وفرص من هذا الكتاب. فالحوار يتم من خلال الكلمات، ومحاورانا فى هذا الكتاب، دايساكو إيكيدا ومجيد طهرانيان، محاوران ماهران لا يعشقان الكلمات فقط، وإنما أيضًا المعانى التى تتخطى تلك الكلمات. لقد قال ولفريد سميث، المدير السابق لمركز دراسة الديانات العالمية فى جامعة هارفارد، إن علوم الأديان أقرب إلى الشعر منها إلى النثر، وهو الأمر الذى يثبت صحته هذا الكتاب الثرى بأفكاره. لقد ورث مجيد طهرانيان عن التراث الشعرى الفارسى الأجنحة الروحية التى تمكنه من استعمال الكلمات لكى تحلق إلى آفاق بعيدة. كما أن ديساكو إيكيدا ليس مجرد القائد الروحى لأعظم حركة بوذية خلاقة فى عالم اليوم، ولكنه من الشعراء اليابانيين العظام المعدودين. ويتوازن لديهما احترامهما للمصلحين الاجتماعيين البواسل، مع الاحترام العميق لما ينطوى عليه الوجود من غرائب وطلاسم تعصى على هؤلاء الذين يقدمون دعاوى زائفة أو جائرة بامتلاك القوة أو الحقيقة المطلقة. ومن الواضح أن تمكنهما من الشعر قد أضفى على حوارهما بهجة وحماسة فريدتين من نوعهما.

لقد شهد التاريخ نماذج شهيرة من العمل المشترك، ولكن القليل منها هو الذى سما إلى مستوى العمل الجماعى الذى قام به ديساكو إيكيدا ومجيد طهرانيان فى العمل من أجل السلام العالمى من خلال معهد تودا للسلام. فإذا تجاوزنا اللوحة التى نسجاها من خيوط البوذية والإسلام، فإن حوارهما يعبر عن الإلهام والبهجة التى تنشأ حينما نعبر الحواجز، وحينما نكتشف تماثل الأرواح عبر التاريخ، وحينما نصنع أطرا جديدة من أجل بناء ثقافات للسلام.

وبعد أن جرب المتحاوران عدة طرق خلال رحلتهما فى الحياة توصل عقلاهما المتدفقان إلى أن الحوار هو الأسلوب الأنجع لبقاء الحضارة وازدهارها. وعلى المستوى الشخصى، فإنهما يلهمان كلا منا لاختيار الحوار على مستوى العائلة والجيران ورفاق

العمل والعالم بأسره، وذلك باعتباره الأداة الأقوى والأكثر أمانا لتحقيق التعاون والسلام بين البشر.

من الوارد أن يكون الإسلام والبوذية مختلفين تماما من حيث العقائد والمؤسسات، ولكن فى خضم عملهما المشترك من أجل التحرر والعدالة والكمال، شكلا عجلتين لتقدم الحضارة. ولكن يبقى أن تلك الصداقة الحميمة بين مجيد طهرانيان ودايساكو إيكيدا هى التى تشعل شرارات الاعتراف المتبادل بين هاتين الحضارتين. كما أن المعاناة والشعر فى حياتهما حولاهما إلى جناحين لطائر سلام.

ديفيد شابيل

لاجونا هيلز، كاليفورنيا

تصدير

دايساكو إيكيدا

فى طريقه لزيارة طريق الحرير فى آسيا الوسطى توقف الدكتور مجيد طهرانيان فى طوكيو فى يوليو سنة ١٩٩٢ ، وكانت تلك هى فرصتنا الأولى للالتقاء والحديث.

أتذكر أننى تأثرت للغاية بتعبيرات عينيه الدافئة والمشرقة. ولكن ما إن بدأ فى الحديث عن الحرب ومشكلات السلام حتى تحول أسلوبه الوديع المعتاد إلى عاطفة مشبوبة. لقد أدركت أننى كنت أتحدث مع إنسان يطوى فى صدره "شعلة الإيمان" الحقيقية.

لقد خبر كلانا الحرب فى طفولتنا، هو فى إيران، وأنا فى طوكيو. لقد ولد الدكتور مجيد طهرانيان سنة ١٩٣٧ فى مدينة مشهد، وبعد ولادته بقليل اندلعت الحرب العالمية الثانية، وقد قامت القوات الأجنبية بقصف مدينته واحتلالها. وفيما يتعلق بشرور الحرب، فهو الذى قال إنه "قد أصبح واعيا بشكل مؤلم أن الحرب تحول البشر إلى وحوش". وقد أدت كراهيته للحرب فى سنوات الشباب، وما أنتجته من غضب لديه، إلى تصميمه على تكريس حياته لخلق عالم يعمه السلام.

ذهب مجيد طهرانيان فى مقتبل عمره، إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وواصل دراسته فى جامعة هارفارد، حيث انخرط فى الحركة الداعية إلى نشر الديمقراطية فى وطنه الأم. ولهذا، عندما عاد إلى إيران تم القبض عليه فورا فى المطار. ورغم أنه تم إطلاق سراحه بعد قليل فقد ظل تحت مراقبة الشرطة بصفة دائمة لمدة السنوات السبع التالية.

لم تمنع تلك الخبرات مجيد طهرانيان من السير قدما فى طريق تحقيق هدفه. وكما يقول المثل "الرياح المحاصرة تضرب بشكل أقوى"، كذلك فإنه مع توالى الكلمات التى ينطقها المرء عن السلام فإنه ينشط بحثا عن السلام. وفى حالة الدكتور مجيد طهرانيان فإنه يصبح على علم بكيفية خوض معركة السلام باستعمال قوة العقل.

فى فبراير سنة ١٩٩٦ أسس معهد تودا للسلام العالمى وبحوث السلام بوصفه مؤسسة تحمل لواء جهود السلام التى دشنها جوشى تودا[٦]، الرئيس الثانى لحركة سوكا جاكاى، والذى طالما شغفت بمثالياته ومفاهيمه الأسرة الإنسانية العالمية، وتخطى القوميات، وإعلان تودا ضد الأسلحة النووية. فى هذا الوقت، طلبت من الدكتور مجيد طهرانيان أن يصبح أول مدير للمعهد. وقد تأثرت بجهوده للقيام بدراسات تخدم هؤلاء الذين يواجهون الواقع الصعب، وأيقنت أن لديه من الإيمان الراسخ ما يمكنه من إنجاز المهمة.

منذ ذلك الوقت شرع الدكتور مجيد طهرانيان فى توسيع نطاق الشبكة البحثية إلى المستوى العالمى، وتبنى شعارا لبحوثه "حوار الحضارات من أجل المواطنة العالمية". وركز على المشكلات الأكثر أهمية فى عصرنا. وفى فبراير سنة ٢٠٠٠، وبمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الرئيس تودا، تم عقد مؤتمر دولى باسم "حوار الحضارات" فى أوكيناوا. وقد نشرت الأعمال البحثية لمعهد تودا فى شكل سلسلة كتب عن السلام والسياسة العالمية، بما فى ذلك بحوث مؤتمر أوكيناوا وموضوعها "أجندة جديدة للسلام للألفية الجديدة".

كذلك، فالدكتور طهرانيان قد انخرط بقوة فى دراسة الأديان، وهو القائل إنه عند القيام بمهمة التوسط بين الحضارات فإنه من المهم للغاية أن يتحلى المرء بانفتاح القلب والعقل اللذين تغرسهما الأديان.

---

(٦) جوشى تودا (١٩٠٠ - ١٩٥٨) ناشط وفيلسوف يابانى أسس حركة سوكا جاكاى بالاشتراك مع ماكيجوتشى. وكرس حياته لنشر السلام وحظر الأسلحة النووية.

درس مجيد طهرانيان فى جامعة هارفارد تحت إشراف بول تيلك، أحد أعظم أساتذة علوم الأديان فى القرن العشرين[٧]. وقد عرف الدكتور تيلك جوهر الدين بأنه "الاهتمام المطلق بأساس الوجود". وبدورى فإننى أعتقد أنه على المرء أن يوظف كل الخير الكامن فى الطبيعة البشرية مدفوعا بدوافعه الدينية بحثا عن المعنى الحقيقى للحياة. ومن أرضية هذا الجهد سينبع انفتاح القلب الذى تعد كرامة الحياة الإنسانية هى جوهره.

إن اختلافات العرق أو القومية أو الثقافة لا تنتج فى ذاتها مصادمات أو مواجهات، فهذه المواجهات إنما تبدأ فى قلوب وعقول البشر. ووظيفة الدين هى توجيه قلوب وعقول البشر تجاه المصدر الذى تنبع منه كل القيم، فى الوقت الذى لا يتخلى فيه البشر عن اختلافاتهم المتبادلة. وفى تقديرى، فإن المتطلب الجوهرى لنوع الحضارة العالمية الذى يحتاجه عصرنا الحالى هو أن نركز انتباهنا على ما هو سرمدى، وما هو مفيد للبشرية، وبهذا المنوال نستطيع أن نحيى القيم الإنسانية.

والدين الذى يعترف بالتنوع باعتباره مظهرا طبيعيا للحيوية، هو دين يزهو بالاختلاف سواء باعتباره إثراءً محموداً للمجتمع البشرى، أو باعتباره تعبيرا عن الحكمة فى أرقى صورها. وفى تلك الحوارات التى أجريتها مع الدكتور مجيد طهرانيان، تتبعنا المصادر الروحية التى نبعت منها تقاليد شاكيامونى[٨] والنبى محمد، أى التقاليد البوذية والإسلامية، سعيا وراء اكتشاف إمكانية إحياء الروح التى نستتر خلفها فى زماننا الراهن. وفى هذا المسعى، لاحظنا نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف بين التقاليد البوذية والتقاليد الإسلامية، معتقدين أنه باتباع منهج يتخطى هذه النقاط يمكن وضع أساس الحكمة الإنسانية فى المستقبل.

---

(٧) بول تيلك (١٨٨٦ – ١٩٦٥) فيلسوف وجودى، ولد فى ألمانيا وهاجر إلى الولايات المتحدة، ويعتبر من أهم العلماء الدينيين البروتستانت فى القرن العشرين. آمن أيضًا بالمذهب الاشتراكى .

(٨) شاكيامونى هو سيدهارتا جاوتاما، المرشد الروحى والمؤسس التاريخى للبوذية فى الهند القديمة، ويعتبره كل البوذيين البوذا الأعلى لكل العصور. وقد عاش فى الفترة من سنة ٥٦٣ حتى سنة ٤٨٣ قبل الميلاد، وإن كان لا يوجد اتفاق حول هذا التاريخ. ويعرف سيدهارتا جاوتاما أيضًا باسم شاكيامونى أى "حكيم الشاكيا".

وقد دشنت الأمم المتحدة عام ٢٠٠١، بوابة القرن الحادى والعشرين، باعتباره "عام حوار الحضارات". وإذا رصدنا التاريخ الطويل للجنس البشرى، فإننا سرعان ما نكتشف أنه عندما التقت الحضارات المختلفة وعمقت من علاقاتها، أدى ذلك فى حالات كثيرة إلى بلورة قيم جديدة ومهمة. وقد أوضح المؤرخ الشهير أرنولد توينبى فى كتابه الأشهر دراسة التاريخ، هذه العملية، والتى يسميها دينامية الالتقاء الثقافى(٩).

واليوم، ورغم أن البعد الاقتصادى لعملية العولمة يتقدم بسرعة، يشعر البشر أن أسس هويتهم قد سلبت منهم، كما أنهم يتقوقعون على ذواتهم بحثا عن هويتهم. وتتصاعد المنازعات والاحتكاكات بسرعة مخيفة، تدعونا إلى التخوف من أن ما نحن متجهون إليه هو صراع الحضارات.

هل نحن متجهون نحو تماثل قسرى تفرضه منظومة واحدة من القيم المحددة؟ أو أننا متجهون نحو عملية من التحلل غير المنضبط واللانهائى؟ أين هو خيط إريادنه، الذى سيخرجنا من متاهة مينوتاور، كما جاء فى الأسطورة الإغريقية(١٠) وذلك من خلال إعادة الشعور بكرامة الفرد وقيمة الحياة لكل البشر. أعتقد مع الدكتور مجيد طهرانيان أن الحل يكمن فى عملية الحوار بين الأفراد. وقد أشار الدكتور طهرانيان، وهو متخصص فى علم الاتصال الدولى ويتوفر على تدريسه فى جامعة هاواى، أشار بشكل بليغ إلى التهديدات التى تواجه عالم اليوم بقوله "إنه عالم جديد، عالم تتسع فيه قنوات الاتصال" ، "ولكنه فى الوقت ذاته فى حاجة ماسة إلى الحوار".

---

(٩) أرنولد توينبى (١٨٨٩ – ١٩٧٥)، مؤرخ بريطانى مشهور بمؤلفه الأعظم المكون من اثنى عشر مجلدا بعنوان "نشأة وسقوط الحضارات"، ومؤلفه "دراسة" التاريخ. اعتبر الحضارات بمثابة وحدة التحليل التاريخية، ودرس تاريخ كل حضارة كعملية تحدٍ واستجابة. وكان من المعجبين بفكر ابن خلدون عن تطور الدول.

(١٠) المقصود بذلك هو الأسطورة الإغريقية التى تقول إن إريادنه، ابنة ملك كريت، وقعت فى حب ثيسيوس. وكان ثيسيوس أحد الضحايا المحتملين الذين أرسلتهم أثينا قربانا للوحش الأسطورى "مينوتاور" الذى كان محبوسا فى المتاهة التى بناها دايدالوس. وقد ساعدت إريادنه، ثيسيوس على الخروج من المتاهة بأن أعطته خيطا أعطاه لها دايدالوس، خرج بفضله من المتاهة.

ويشير طهرانيان أيضا إلى أن التقدم التكنولوجي السريع، كما هو الحال فى الإنترنت والمظاهر الأخرى لثورة تكنولوجيا المعلومات، قد أثمر قنوات عديدة جديدة، وذات كفاءة عالية لنقل المعلومات. ولكن هذه القنوات لم تقلل من "المسافة العقلية" بين الأفراد، كما أنها لم تنم عملية التفاهم المتبادل التى تؤدى إلى الثقة المتبادلة. ما يحدث فى الأغلب هو إرسال بيانات مبتذلة، واستقبالها بشكل سلبى. كما أن "الفجوة الرقمية"، أى الفجوة بين من يملكون هذه التكنولوجيا والذين لا يملكونها، زادت من تعقيد المشكلات.

لقد حذر الدكتور مجيد طهرانيان بشدة من السلبيات التى تميز مجتمع المعلومات فى عصرنا. وهذا التحذير يضع الأصبع على موضع الجرح، لأنه يذكرنا بالفيلسوف مارتن بيوبر[١١]، الذى يقول إن الحوار الدينى الحقيقى يعتمد على انفتاح العقول والقلوب. يجب أن تعرف الطرف الآخر، وتراه فعلا، وأن تبذل جهدا لكى تتواصل معه. إن لقاء بين معتقد وآخر هو تبادل أمين بين شخصية وأخرى. فإذا توافرت تلك الشروط، عندها تنشأ الجماعة الحقيقية. وفى تقديرى، فإن ما ينتظره عالم اليوم هو روح مثل هذا الحوار المفتوح.

والآن، ومع مطلع القرن الحادى والعشرين، نلحظ بوادر الرغبة فى الانخراط فى مثل هذا الحوار، بما فى ذلك الأماكن التى كان السعى فيها من أجل السلام العالمى هدفا بعيد المنال. وفى يونيو ٢٠٠٠، وبعد نصف قرن من التقسيم، شرع قادة كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية فى إجراء محادثات مباشرة. وفى شهر يوليو، وبناء على وساطة أمريكية، استمر القادة الفلسطينيون والإسرائيليون فى مسعاهم للبحث عن السلام فى الشرق الأوسط. وفى الحالتين، يواجه الجانبان صعوبات جمة فى سعيهم

---

(١١) مارتن بيوبر (١٨٧٨ - ١٩٦٥)، فيلسوف نمساوى نشط فى مجال الحركة الصهيونية فى ألمانيا وإسرائيل، وكان من أنصار حل الدولة الواحدة ذات القوميتين فى فلسطين بدلا من دولتين، ورحل إلى فلسطين سنة ١٩٣٨، ولكنه رفض الفكرة الصهيونية، ونشط فى مجال علم النفس الاجتماعى، وعلوم الأديان، والفلسفة الاجتماعية، واشتهر بدفاعه عن "الوجود الحوارى" .

للوصول إلى اتفاق، بعد كل هذه السنوات من العداء، ولكن يمكن القول إنه على الأقل، تم اتخاذ الخطوة الأولى سعيا نحو التعايش السلمى.

فإذا سمحنا لنقطة ما من الحوار أن تسقط على أرض عدم التسامح المقفرة، والتى طالما هيمنت عليها نزعات الكراهية واستبعاد الآخر، فستكون هناك إمكانية لإيناع زهور الثقة والصداقة. هذا هو فى تقديرى الطريق الأكثر أمنا ورسوخا لتحقيق هذا الهدف. ولهذا، فإننى أناصر تدفق الحوارات، ليس فقط على المستوى السياسى، ولكن أيضا على المستوى الأوسع للبشر ككل.

وبدورى، حاولت أن أفعل ما أستطيع بالانخراط فى حوارات مع القادة الفكريين المعبرين عن التقاليد الدينية المسيحية والهندوسية، وغيرها من التقاليد الدينية، والأطر الثقافية الأخرى، بالإضافة إلى حواراتى مع أشخاص ينتمون إلى دول تنكر الدين. كان هدفى من تلك الحوارات هو أن اكتشف طريقا للسلام من خلال هذا القاسم المشترك الأعظم للإنسانية الذى نتقاسمه جميعا.

وإنه لما يبعث على عظيم سرورى، أننى تمكنت من إجراء هذه الحوارات مع الدكتور مجيد طهرانيان، وهو خبير فى التقاليد الإسلامية التى تضطلع بدور مهم فى المجتمع الدولى. وأتعشم أن يؤدى الكتاب إلى تدشين "طريق حرير" من روح التواصل بين شعوب العالم، وأن يقدم لنا رؤية يمكن أن نبنى عليها حضارة عالمية تتأسس على التسامح المتبادل والتوافق.

دايساكو إيكيدا

طوكيو – اليابان

مقدمة

مجيد طهرانيان

اختر الحوار،

حيث إنه فى مفترق طرق الحياة

ما إن نفترق ربما لا نلتقى مرة أخرى

(حافظ)[١٢]

أدرك الفلاسفة الإغريق المتجولون أن الحوار هو الوسيلة الأكثر استنارة للتعلم، فقد أدار سقراط وأفلاطون وأرسطو دروسهم أثناء سيرهم فى حدائق أثينا، ولم يحبسوا أنفسهم إطلاقا فى قاعات المحاضرات الفخمة والمفتقرة للخصوصية التى تقدم فيها الجامعات المعاصرة محاضراتها. كانت العلاقات بين المدرسين والطلاب مباشرة، وحميمة وشخصية. كانوا يسألون، كما كانت توجه إليهم الأسئلة، لم تكن ثمة مسلمات. كان كل شيء يخضع للتمحيص الدقيق، وتظهر الحقيقة من خلال عملية التصارع الجدلى بين الأفكار والرؤى.

كانت المحادثات بدون نهاية، وكانت الحقيقة هى البحث عن الحقيقة. لم يدع أحد أنه امتلكها مرة واحدة، وإلى الأبد.

(١٢) حافظ، هو خواجه شمس الدين محمد حافظ الشيرازى، شاعر فارسى عاش فى الفترة من سنة ١٣٢٦ حتى ١٣٩٠ م. واشتهر بأشعاره ذات الطابع الإنسانى العالمى .

عندمـا قـابلت دايسـاكو إيكيدا لأول مـرة سنة ١٩٩٢ في طريق رحلتـى إلى طريق الحرير، وجدت فيه سقراط جديدا كرس حياته لفن الحوار. كان رشيقا بشكل غير عادى، سواء على المستوى البدنى أو المستوى الذهنى. كان يعرف عنى قبل أن التقى به، جعلنى أشرح بطمأنينة ولمدة ثلاث ساعات، أنخرط معه فى واحد من أمتع الحوارات فى حياتى. تعلمت منه الكثير فى هذا الحوار، سواء على مستوى المعلومات، أو على مستوى أصـول تعلم تلك المعلومات. من بين قضايا عديدة، تركز حوارنا على التفاعلات التاريخية بين الحضارتين البوذية والإسلامية على طول طريق الحرير. اقترحت عليه آنذاك أن نستمر فى هذا الحوار، وأن ننشر نصوصه فى كتاب لكى يتمم حواريه السابقين مع توينبى "اختر الحياة"، ويوهان جالتونج "اختر السلام". فوافق على الفور، واتفقنا على تسميته "اختر الحوار".

والحـوار واحـد من أدوات الاتصـال بين البشـر، ذلك أن هـناك أدوات أخـرى للاتصـال ، منها الأوامر (كما هو الحال فى المؤسسة العسكرية)، والتضـاد (كما هو الحال فى المحاكم)، والتدريس (كما هو الحال فى الفصول الدراسية)، والأوامر الإدارية (كما هو الحال فى المؤسسة البيروقراطية)، والعلمية (كما هو الحال فى المؤتمرات والمجلات العلمية)، والحميمية (كما هو الحال فى العلاقات بين الأصدقاء والمحبين). ولكل وسيلة قواعدها. والحوار هو غاية ووسيلة لتحقيق التفاهم الإنسانى، ففى الاتصال الحوارى نتفاعل مع الغير بصفتهم مختلفين عنا ولكنهم متساوون معنا. ونحاول أن ندلف إلى عالم المعانى لديهم من خلال عملية لا نهائية من الاتصال والاستكشاف. الحوار ينبنى على الاحترام والتعلم المتبادلين. ونحن بدورنا نتغير فى غمار عملية الحوار من خلال التقدير المتبادل، والتعاطف والامتزاج الروحى. ليس أيسر طرق الاتصال الإنسانى ولكنه أكثرها فائدة، ولهذا يعد أنجع الطرق للتفاوض حول بلورة حضارة عالمية جديدة تتأسس على المساهمات السابقة لكل الحضارات الإنسانية.

ويقف العالم فى مطلع القرن الحادى والعشرين فى مفترق طرق حرج، ذلك أن تسارع الاتصال العالمى قد أدى إلى الاحتكاك المباشر بين الثقافات والحضارات المختلفة، فى بوتقة غرف المعيشة لأى منزل لديه راديو أو تليفزيون أو إنترنت. ورغم ذلك

فلم يؤد التوسع السريع لقنوات الاتصال العالمى إلى تفاهم دولى أكبر. بالعكس، فإن الرومانسية الغربية تجاه الشرق، والتى غذاها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الإعجاب الغربى بما هو مختلف، قد حل محلها شعور بالخشية والنفور. وبالتوازى مع ذلك، فإن الإعجاب الشرقى بالابتكارات العلمية والتكنولوجية الغربية حل محله تخوف وكراهية للمادية والعجرفة والنزعة العسكرية الغربية. وفى بعض الأوقات بدا أن الإرهاب العالمى قد حل محل الحوار العالمى.

ورغم ذلك، وللغرابة الشديدة، فإن المادية الغربية قد أصابت الشرق بالعدوى، كما أن الروحانية الشرقية قد تغلغلت فى الغرب. ومن ثم، فإن هناك حضارة عالمية فى طريقها للتشكل. وهذا الكتاب هو ثمرة هذا النوع من الاختمار، فهو يركز على الأسس الروحية والأخلاقية المحتملة للحضارة العالمية إذا ما حدث حوار عالمى حقيقى. لقد استغرق الأمر منا ثمان سنوات من الاجتماعات المتبادلة والمراسلات المستمرة لنصل إلى هذا المنعطف. ونحن نتقاسم معك، عزيزى القارئ، ثمرة هذا الجهد، إيمانًا منا بأن مكسبًا ما سيتحقق من خلال تعلمنا أن الخبرات والأفكار الإنسانية فى عالمنا متفاوتة بالضرورة. ولكن ما إن ينخرط شخصان حسنا النية فى حوار صادق حول حقائقهما حتى تظهر حقيقة عالمية جديدة . وهذا ما حدث لآلاف السنين على مسار طريق الحرير، حيث كان التجار والعلماء الآتون من ديانات مختلفة، الشامانية(١٣)، والزرادشتية(١٤)،

(١٣) الشامانية مجموعة من العقائد والممارسات التقليدية تدور حول الاتصال بالعالم الروحى. وتدور تلك العقائد حول أن الأرواح تلعب دورًا مهمًا فى حياة البشر، وأن "الشامان" تستطيع التعاون مع الأرواح لمصلحة المجتمع ومعالجة المرضى، وأن تلك الأرواح يمكن أن تكون شريرة أو خيرة، وأن الحيوانات تلعب دورًا مهمًا فى عملية التواصل مع الأرواح. وتشيع الشامانية بين الشعوب الأصلية فى مختلف قارات العالم .

(١٤) الزرادشتية ديانة وفلسفة تتأسس على تعاليم النبى زرادشت، الذى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد، وأعلن أن "آهورا مازدا" هو الخالق لكل شىء. وتدور الزرادشتية حول مفهوم المساواة بين البشر، واحترام كل ما هو حى، واحترام الطبيعة والبيئة، والعمل الشاق، والولاء للعائلة والقبيلة والوطن. ويمارس الزرادشتيون عبادتهم أمام النار، وأى مصدر للنور. ولا يعبد الزرادشتيون النار، ولكنها بالنسبة لهم رمز للنور. وينتمى حوالى ٢٠٠ ألف نسمة إلى تلك الديانة فى مختلف أنحاء العالم معظمهم فى الهند وإيران .

والهندوسية[١٥]، والبوذية[١٦]، والكونفوشية[١٧]، واليهودية، والمسيحية، والإسلامية، يتبادلون السلع والأفكار. هكذا نشأ أول اقتصاد عالمى على مسار طريق الحرير الجديد، يتلوه تكوين اقتصاد عالمى ثان فى القرن الحادى والعشرين. هذا الاقتصاد الثانى تصنع فيه وسائل المواصلات الأسرع من الصوت ووسائل الاتصال الإليكترونية، أسس الحضارة العالمية من خلال التفاعلات الحوارية.

لقد قدم إيكيدا إسهامات مهمة فى بناء أسس تلك الحضارة، إنه السيد المعاصر للحوار. خلال الأربعين سنة الماضية أجرى ١٥٠٠ حوار مع عدد متنوع من قادة

---

(١٥) الهندوسية ديانة نشأت فى الهند، وهى من أقدم الديانات المعروفة، كما تعد الثالثة بين كبرى الديانات فى العالم من حيث عدد الأتباع بعد المسيحية والإسلام. ومن أهم كتبها كتاب "فيداس"، وتتضمن الهندوسية عدداً من العقائد مثل الدارما (الأخلاق والواجب)، وسامارا (الحلقة المستمرة من الميلاد والحياة والموت وعودة الميلاد)، وكارما (الفعل ورد الفعل)، وموكشا (التحرر من كارما)، وخلود الروح .

(١٦) البوذية مجموعة من التعاليم والفلسفات الدينية غير السماوية، جاءت نتيجة تعاليم سيدهارتا جواتاما، بوذا المعروف باسم جواتاما بوذا، وتعرف أحيانا باسم "بوذا دارما" وتعنى "تعاليم الإنسان الواعى". والبوذية ليست ديانة ولكنها مجموعة تعاليم بدأت فى القرن الخامس قبل الميلاد مع ظهور سيدهارتا جواتاما والمولود فى الهند. ورغم ظهورها فى الهند، فقد اختفت البوذية من تلك البلاد وانتشرت بشكل أقوى فى شرقى أسيا حيث يؤمن بها حوالى ٣٥٠ مليون نسمة، وقد تفرعت البوذية إلى عدة فروع أهمها، بوذية ثيرفادا، وبوذية ماهايانا، وبوذية التبت. وهى فروع مختلفة للبوذية الأصلية لكل منها تعاليم مختلفة ولكنها تدور حول الوسطية والانسجام بين الإنسان والطبيعة .

(١٧) الكونفوشية نسق فلسفى وأخلاقى ودينى صينى قديم، أسسه الحكيم الصينى كونفوشيوس الذى عاش فى الفترة من سنة ٥٥١ حتى سنة ٤٧٩ ق.م. وقد أكد هذا النسق على الأخلاق الفردية والجماعية، والعدالة والإخلاص وخلاص الروح، والولاء للعائلة أساسًا للمجتمع، وعبادة الأسلاف واحترام الكبار، ولا يشير النسق إلى البعث بعد الموت. ومنذ أن اتخذ الإمبراطور الصينى ووهان (من أسرة هان) الكونفوشية مذهبًا رسميا لإمبراطوريته ظل هذا المذهب يسيطر على الصين حتى الآن، مع تطور المذهب ليمثل خليطًا من الأفكار البوذية والتاوية، وينتشر هذا النسق حاليًا فى الصين واليابان وكوريا عمومًا.

العالم، ابتداء من لينوس باولوج[١٨] إلى شينجيز أتيماتوف[١٩]، وروزا باركس[٢٠]، وهنرى كيسنجر[٢١]، وميخائيل جورباتشوف[٢٢]. وبنشره لتلك الحوارات فقد أطلع ملايين البشر على ثراء الثقافات العالمية، وقوى من حركة السلام، ووسع نطاق المواطنة العالمية. ويضع الملايين من أعضاء حركة سوكا جاكاى الدولية وما عداها هذا الرجل فى مرتبة عالية من الاحترام والإعجاب.

وتتبع بنية هذا الحوار بشكل تلقائى من الموضوعات التى يهتم بها المتحاوران. فقد أتينا من حضارتين عالميتين تواجهان الحضارة الإنسانية والعلمية والتكنولوجية

---

(١٨) لينوس باولوج (١٩٠١ - ١٩٩٤) عالم أمريكى فى الكيمياء الحيوية، ويعد أهم عالم كيمياء فى القرن العشرين بفضل اكتشافاته فى مجال بنية الخلية حصل على جائزة نوبل مرتين، الأولى فى الكيمياء سنة ١٩٥٤ والثانية فى السلام لمعارضة التسلح النووى.

(١٩) شينجز أتيماتوف، أديب وشاعر قيرجيزى، ولد سنة ١٩٢٨ فى قيرجيزستان الحالية، وكتب عدة قصص قصيرة نشرها فى كتابه اليوم يستمر لأكثر من مائة عام، وحصل على جائزة لينين سنة ١٩٦٣ عن روايته "جميلة".

(٢٠) روزا باركس (١٩١٣ - ٢٠٠٥) أمريكية من أصل إفريقى ، واشتهرت بمدافعتها عن الحقوق المدنية للسود الأمريكيين، واشتهرت سنة ١٩٥٥ حين رفضت تنفيذ طلب سائق الأتوبيس بأن تترك مكانها لرجل أبيض، وبدأت حركة العصيان المدنى، ودعمت حركة مارتن لوثر كنج، وأسماها البيت الأبيض "أم حركة الحقوق المدنية المعاصرة". حصلت على الميدالية الرئاسية للحرية من الرئيس كلينتون سنة ١٩٩٦ .

(٢١) هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى السابق بين عامى ١٩٦٩و ١٩٧٧، ولد سنة ١٩٢٣ فى ألمانيا وانتقل إلى الولايات المتحدة. حصل على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٧٣ لدوره فى بناء سياسة الانفراج الأمريكى السوفيتى والتى دشنت رسميا سنة ١٩٧٢ . اشتهر بدفاعه عن المدرسة الواقعية فى العلاقات الدولية، اتهم فيما بعد بإشرافه على عمليات الاغتيال السياسى للمعارضين فى بعض دول أمريكا اللاتينية فى إطار مع عرف "بعملية كوندور" .

(٢٢) ميخائيل جورباتشوف، أخر رئيس للاتحاد السوفيتى، وأخر أمين عام للحزب الشيوعى السوفيتى. ولد سنة ١٩٣١ أصبح أمينًا عاما للحزب ورئيسًا للاتحاد السوفيتى سنة ١٩٨٥ حتى حل الاتحاد سنة ١٩٩١ . اشتهر بمحاولة إصلاح النظام السوفيتى من خلال سياسة الجلاسنوست (المصارحة) والبيروسترويكا (إعادة البناء)، وسعى إلى إنهاء الحرب الباردة بكل الطرق، وتسببت سياسته فى انهيار الدولة السوفيتية. حصل على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٩٠ للتنازلات الجذرية التى قدمها للغرب من أجل إنهاء الحرب الباردة، كتوقيع اتفاقية الصواريخ متوسطة المدى فى أوروبا سنة ١٩٨٧ . يقود الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى روسيا منذ سنة ٢٠٠٧ .

الحديثة. ومن ثم فإن رؤانا تعكس تآليفا مركبا من الأفكار التقليدية والحديثة. ويتناول الفصل الأول من الكتاب حوارا حول الأهمية المركزية للحوار من أجل البقاء المادى والثقافى للبشرية فى القرن الحادى والعشرين. وفى الفصلين الثانى والثالث، يقدم المتحاوران الحضارتين الإسلامية والبوذية، ورؤاهما العالمية وثقافاتهما. ويركز الفصل الرابع على التفاعلات بين البوذية والإسلام عبر التاريخ. وقد انعكست هذه التفاعلات على الحضارة الإسلامية، فى شكل ظهور الفلسفة والشعر الصوفيين فى أسيا الوسطى وما وراءها وذيوعهما. والحق أن الصوفية تستمد تراثها من كل التقاليد الحضارية (الفارسية والإغريقية والعربية والهندية والصينية) لبناء رؤية عالمية روحية (غنوصية) ترتكز على كل التقاليد الروحانية العظيمة. وفى الفصل الخامس نأتى إلى حوار حول صعود توافق الأديان، والأصولية الدينية فى عصرنا. ويتناول الفصل السادس دور الحوار فى الميادين الثقافية والتعليمية والسياسية. أما الفصلان الأخيران فيتناولان المساهمات التى يمكن أن يقدمها الحوار لعالمنا المعاصر الذى يتسم بالانقسامات والتوترات السياسية والاقتصادية والثقافية.

لقد تعلمت من ذلك الحوار الذى استمر ثمانى سنوات. وأود أن أشكر الأصدقاء والزملاء الكرماء الذين دعمونا خلال تلك العملية. وهناك ديفيد شابيل، الذى يعد رائد الحوار الإسلامى- البوذى فى جنوب شرقى آسيا. وقد كتب استهلالا لهذا الكتاب. كذلك تومو سابورو هيرانو، وقد تابعنا بإصرار فى كل خطوة على طريق الحوار ، حين قام بدور الجسر بين اللغتين والثقافتين اليابانية والفارسية. وكذلك ساتوكو تاكاهاشى، وهاؤلو باسبى، وقد قدما لى دعما إداريا وتنظيميا لا نظير له. والشكر موصول لهيرومو ياماجوتشى وسبلين شينبوتسو لمراجعة مسودة الكتاب فى مراحلها الأخيرة.

نأمل عزيزى القارئ أن تجد هذا الكتاب مفيدا فى بحثك عن حقيقة عالمك. ونأمل أيضا أن يطور هذا الكتاب من التفاهم بين الأمم والثقافات فى عصر العولمة

والإرهاب والحوار. ومع ذلك نأمل أن يشجعك هذا الكتاب على أن تشرك من تقابلهم، خاصة إذا كانوا من بلاد أجنبية، فى حواراتك بحثا عن الحقيقة.

مجيد طهرانيان

هونولولو – هاواى

الفصل الأول

لماذا الحوار؟

إيكيدا: أحترم احتراماً شديداً كل من يقاتل من أجل السلام. فكثير من البشر يتحدثون عن السلام، ولكن القليل منهم هو الذى يتصرف بشكل عملى لتحقيقه. وقد فهمت أنك كنت فى ديربان بجنوب إفريقيا.

طهرانيان: نعم كنت هناك، فقد عقد "معهد تودا للسلام العالمى وبحوث السياسة" مؤتمراً دولياً هناك لمناقشة قضية الأمن الغذائى فى إفريقيا. وأشكرك على رسالتك الثاقبة التى وجهتها إلى المؤتمر. إننى أعلم تماماً أنك مهتم منذ زمن بعيد بإفريقيا، وتقول إن القرن الحادى والعشرين سيكون قرناً إفريقيا.

إيكيدا: لقد بذلت قصارى جهدى لمقابلة أكبر عدد ممكن من القادة الأفارقة، بما فى ذلك الرئيس نيلسون مانديلا، رئيس جمهورية جنوب إفريقيا السابق. إن ديربان تذكرنى بالمهاتما غاندى.

طهرانيان: نعم. فمدينة ديربان هى الثالثة من كبرى المدن فى جمهورية جنوب إفريقيا. وفى تلك المدينة بدأت حركة السلام غير العنيفة التى قادها غاندى. لقد عاش هناك لمدة واحد وعشرين عاماً فى القرن الماضى، منظماً حملة مضادة للتمييز.

إيكيدا: سنتحدث عن غاندى وأفكاره خلال هذا الحوار من آن لآخر، ولكن التطورات الحديثة فى الهند وباكستان تذكرنى بحاجة بنى البشر إلى إعادة تقييم مفهوم "عدم العنف"، وإيجاد وسائل لتطبيقه. يجب تفادى الحرب النووية مهما كانت التكاليف.

طهرانيان: أتفق معك تماماً. ولأجل تحقيق هذا الهدف، فإن معهد تودا اختار "الأمن الإنسانى" بوصفه أحد مشروعاته البحثية الأساسية، وأحد الموضوعات الأساسية التى ندرسها هو إزالة كل الأسلحة النووية. إننى مصمم ليس فقط على تكريس جهدى للبحث، ولكن أيضاً بناء شبكة دولية من الحكماء من أجل الإزالة النهائية للأسلحة النووية.

النشأة فى الإطار الروحى

إيكيدا: قبل أن نبدأ الحوار، أود أن أسألك عن خلفيتك الشخصية. فذلك سيساعد على تعميق فهمنا المشترك، كما سيكون أسلوباً ملائماً لتقديمك إلى قرائنا.

طهرانيان: حسناً، ولدت سنة ١٩٣٧ فى مدينة "مشهد" الإيرانية، وكلمة "مشهد" تعنى حرفيا "مكان الاستشهاد". ففى تلك المدينة دُفن الإمام رضا الإمام الثامن فى المذهب الشيعى[٢٣]. وقد حضر الإمام رضا إلى المدينة فى القرن التاسع حاكماً لمحافظة خراسان، ولكنه مات مسموماً على يد أعدائه، وذلك بعد وصوله بقليل. وقد كان معروفاً بأنه شخص عادل وتقى، وقد أدان الناس قتله إلى حد أنهم أسموا المدينة "مشهد".

إيكيدا: أعلم أن قبره اليوم مزار مقدس يحج إليه عدد كبير من الحجاج الشيعة من كل أنحاء العالم ، حيث يأتون لإظهار احترامهم له.

طهرانيان: هذا صحيح. هكذا، فقد ترعرعت منذ طفولتى على الوعى العميق بالأهمية الروحية لمسقط رأسى. أعيش حاليًا فى هاواى، ولكن كلما فكرت فى مسقط رأسى، أتذكر القبة الذهبية للقبر، ومآذنه الشاهقة. تقع القبة فى وسط المدينة، وأستطيع أن أراها من منزلى، وكنا نستمع إلى الأذان من تلك المآذن.

---

(٢٣) الإمام على الرضا، وكنيته أبو الحسن، هو الإمام الثامن من أئمة الشيعة الاثنى عشرية. مدة إمامته عشرون عاماً من سنة ٧٩٩ حتى سنة ٨١٨م. وقد تولى الإمامة فى المدينة لمدة ١٧ عاما، ثم انتقل إلى خراسان لمدة ثلاث سنوات. عاصر فترة حكم هارون الرشيد، والصراع بين الأمين والمأمون، وكان وليا للعهد للمأمون .

إيكيدا: القبة الذهبية تتلألأ فى ضوء الشمس، مع أصوات المصلين التى تتردد فى أرجاء المدينة. لابد أنه كان منظرًا مبهجًا لا ينسى.

لقد ولدت فى سنة ١٩٢٨ فى حى أوهتا فى طوكيو. ومن ذكريات الطفولة التى أتذكرها جيدًا منظر البحر الأزرق الجميل الذى كنت أراه من الشاطئ قريبًا من منزلى.

كانت أسرتى تشتغل بجمع وتصنيع نوع من أعشاب البحر يسمى "نورى". ومازال يعلق بذاكرتى جيدًا منظر والدى ومعه مساعدوه يخرجون سويا للعمل فى وقت متأخر من الليل لكى يستفيدوا من ارتفاع وانخفاض المد، وكانت أمى تعمل بجدية لكى تساعد الأسرة.

طهرانيان: لا أنسى أمى وهى ترتل القرآن ترتيلاً بديعًا فى الصباح والمساء. إننى لعلى يقين أن صوتها، الذى كنت أسمعه يرتل كل يوم، هو الذى غرس لدى المشاعر الدينية العميقة.

كان يومى تتخلله بانتظام أصوات الأذان المتتابعة، وترتيلات أمى. وهذا ما غرس فى حياتى نوعا من الانتظام الجميل، يذكرنى بوجود عالم آخر ماورائى. إن تأمل هذه الحياة يجعلنى أعتقد أننى قد ولدت فى إطار حياة روحية دون أن أدرى.

حماقة الحرب: تحويل البشر إلى وحوش

إيكيدا: هذا أمر مثير للاهتمام حقًا. لم تستمر سنوات السكينة فى حياتى طويلاً. فعندما بلغت الحادية عشر من العمر اندلعت هذه الحرب المرعبة، الحرب العالمية الثانية.

طهرانيان: كنت قد بلغت الثالثة من عمرى فى ذلك الوقت، ورغم حيادها المعلن، فقد قامت قوات الحلفاء بغزو واحتلال إيران، كما أُستعمل وطننا "كجسر للنصر" لتوصيل

المعدات الحربية من الخليج الفارسى[٢٤] إلى الاتحاد السوفيتى المحاصر. وفى الوقت ذاته، قصف الروس واحتلوا مدينتى مشهد. أتذكر أننى كنت أختبئ تحت "شادور" أمى حتى لا تصيبنى القذائف الروسية.

إيكيدا: إن الحرب تدمر تماما الحياة السعيدة للبشر، وتحول مدنًا كاملة إلى تراب بين ليلة وضحاها، وتحرمنا من أحبائنا، وأصدقائنا. لا يمكنك تخيل الرعب الذى تجلبه الحرب ما لم تعشه بنفسك.

طهرانيان: لدى ذكرى مريرة حقيقية واحدة. ففى يوم من الأيام، كان إخوتى يسبحون فى حوض السباحة العمومى للمدينة. وعلى غير المتوقع، حضر بعض الجنود السوفييت، وعندما وجدوا أشقائى بدأوا فى التحرش بهم.

فقد قاموا بتغطيسهم تحت المياه حتى يلهثوا طلبًا للهواء، فيقوموا بإخراجهم معربين عن ابتهاجهم للرعب الذى أصاب إخوتى. كانوا يستمتعون بسوء معاملة أطفالٍ صغارٍ. ترسخ فى ذهنى آنذاك أن الحروب تحول البشر إلى وحوش. فى بعض الأوقات كان الروس يعطون الأطفال بعض الحلوى، ولكن هذا كان الاستثناء من القاعدة.

مقارنة خبرات الحروب

إيكيدا: تقول الجملة الافتتاحية من روايتى "الثورة الإنسانية" ما نصه: "الحرب عمل بربرى وغير إنسانى فلا شىءَ يفوقها فى القسوة والمأساوية". لم تكن تلك فكرة مجردة أو عاطفة عابرة، ولكنها كانت تعبيرًا أمينا وقويا عن السخط على الحروب، فهى تحيل حياة كل فرد إلى مأساة.

طهرانيان: إن هذا لما يثير المشاعر حقًا. لم تبدأ كراهيتى للحرب تدفعنى إلى العمل ضدها إلا بعد أن ذهبت إلى المدرسة وتعلمت القراءة والكتابة. وقد أخذت

(٢٤) يستخدم العرب مسمى "الخليج العربى" للدلالة على هذا الخليج .

مشاعرى المعادية للحروب منحًى قوميا. ففى الصف الثانى، أصبحت صحفيا ناشئًا، عندما أنتجت مجلة مكتوبة بخط اليد، تضمنت قصصًا، وكاريكاتيرًا، بما فى ذلك افتتاحية، رغم أنها كانت قصيرة.

إيكيدا: ماذا كانت الافتتاحية تقول؟

طهرانيان: كانت تركز على احتلال الحلفاء لإيران. استعملت قصة تعلمناها فى المدرسة لشقيقتين تتقاتلان من أجل دمية، مما يؤدى إلى تمزيقها، وينتهى بهما الأمر إلى البكاء.

وكان الكاريكاتير المصاحب يظهر خريطة لإيران يتقاتل عليها الحلفاء، الروس فى الشمال، والإنجليز فى الجنوب. وقد قال لى جدى، بعد أن اشترى نسخة من المجلة، "يجب مراقبتك من أجل مصلحتك".

عند ذاك تحدد مستقبلى. لقد تحولت بقية حياتى إلى داعية للسلام، ومعادية للاستعمار.

إيكيدا: لقد حدث تحول جذرى فى حياتى عندما بلغت سن التاسعة عشرة. التقيت جوشى تودا، والذى أصبح معلمى. لقد تعلمت منه أن البوذية هى الدعامة الأساسية لحركة "سوكا جاكاى"، وهى ذات توجه سلمى. كما تعلمت منه أنه أثناء الحرب العالمية الثانية، ناضل قادة سوكا جاكاى ضد النظام العسكرى (اليابانى)، وانتقدوا جهوده الحربية المتعصبة. ونتيجة لذلك فإن الرئيس المؤسس للحركة "تسونيسابورو ماكيجوتشى"(٢٥) توفى فى السجن، كما سُجن معلمى. وبفضل الخبرة المبكرة مع جوشى تودا فى حقبة ما بعد الحرب، فإننى بدأت السير فى "طريق السلام" بالتمسك بالمبادئ البوذية.

---

(٢٥) تسونيسابورو ماكيجوتشى، مصلح تعليمى وأخلاقى يابانى، أسس حركة سوكاجاكاى سنة ١٩٣٠ على أساس تعاليم بوذية نيتشيرين التى اعتنقها سنة ١٩٢٨ . وسعى إلى إصلاح المجتمع من خلال برنامج تعليمى شامل مستمد من بوذية نيتشيرين، معتقداً أن نيتشيرين هو التجسيد المعاصر لبوذا المعاصر. سُجن مع مساعده جوشى تودا أثناء الحرب العالمية الثانية لانتقادهما الشنتوية، الدين الوطنى لليابان، وسياسة اليابان العسكرية. وتوفى فى السجن، وألف كتاب "جغرافية الحياة البشرية" .

النضال ضد السلطة: القيمة الحقيقية للإنسان

طهرانيان: بالنسبة لى فقد قامت الشرطة بالقبض على لأسباب غير عادلة. ولذلك، فإننى أستطيع أن أتفهم عظمة ماكيجوتشى وتودا، اللذين لم يتخليا عن مبادئهما عندما كانا فى السجن.

ذهبت إلى الولايات المتحدة للدراسة فى جامعة هارفارد وهناك انغمست فى الحركة الداعية إلى الديموقراطية فى إيران بصفتى رئيسًا لجمعية الطلاب الإيرانيين، مما أدى إلى وضعى على القائمة السوداء للشرطة السرية الإيرانية.

وفى سنة ١٩٧١، وعندما بلغت الرابعة والثلاثين، أردت أن أعود إلى وطنى حيث شعرت بالحنين إليه. ولكن والدىَّ نصحانى بعدم العودة حرصًا منهما على سلامتى، ولكننى قررت العودة مهما كان الأمر. ذلك أن صديقا من جامعة هارفارد، وكان مسئولاً حكوميا إيرانيا عالى المستوى آنذاك، أراد أن أساعده فى عمله.

إيكيدا: وهنا تم وضعك تحت الضغط البدنى.

طهرانيان: حسنًا، هذا ما حدث. عندما وصلت إلى طهران، تجهم أحد رجال الشرطة السرية الذى كان يتفحص جواز سفرى، بمجرد أن نظر إلى القائمة السوداء. بدا أنه قد ابتهج لأنه اصطاد أحد قادة حركة المعارضة للنظام. وأخذنى على الفور إلى مكتب الأمن فى المطار.

وفى طريقى إلى المكتب، كنت أرى أفراد عائلتى يلوحون بأيديهم نحوى من الناحية الأخرى للنافذة الزجاجية. فقد توقعوا أن أخرج على الفور، ولكنهم عندما بدأوا يدركون ما يجرى، أصابهم الذعر. ذلك أنهم كانوا يعلمون عن الإرهاب الذى يمارسه النظام التسلطى فى إيران.

إيكيدا: يبدو هذا كأحد مشاهد احتباس الأنفاس فى فيلم.

طهرانيان: طلبت من رجل الأمن أن ينقل إلى أسرتى رسالة تبلغهم ألا يقلقوا بشأنى لأن هناك صديقا فى الحكومة سيؤمن سلامتى، وأننى لست مقبوضًا علىّ، وبالتالى فإن عليهم أن يذهبوا إلى المنزل.

وفى اليوم التالى تم إطلاق سراحى، إذ يبدو أن هناك من أكد للسلطات أننى لا أشكل خطرا على الأمن. ورغم ذلك كان علىّ أن أتعهد بأن أمثل أمام الشرطة كلما طلب منى ذلك، وألا أغادر البلاد إلا بعد الحصول على إذن رسمى. وهكذا ظللت طوال السنوات السبعة التى عشتها فى إيران، تحت المراقبة المستمرة.

بمجرد عودتى شرعت فى العمل، ولكن لم أتقاض أجرًا إلا بعد مضى فترة من الوقت.

إيكيدا: هذا إذن هو تأثير الخبرة المباشرة. وبالنسبة لى، فعلى غرار سلفى ماكيجوتشى وتودا، وضعت فى السجن على أساس اتهام غير حقيقى. وكان ذلك فى يوليو سنة ١٩٥٧ وكنت وقتها قد بلغت التاسعة والعشرين. لا أنسى أبدًا هذه التجربة.

لقد كانت النخبة الحاكمة تخشى نمو الحركة الشعبية التى كانت تمثلها حركة سوكا جاكاى. أرادت النخبة وقف نمو الحركة قبل أن يفوت الأوان. ولهذا قبضوا علىّ على أساس اتهام زائف، ولكننى لم أتراجع أمام الاضطهاد والقهر الذى مارسته السلطات الحاكمة.

طهرانيان: أشعر دائمًا بالاحترام والإعجاب تجاه الرؤساء الثلاثة الأوائل لحركة سوكا جاكاى لأعمالهم الشجاعة، والتزامهم الصارم بعقائدهم ومبادئهم.

واجه كل منهم معاناة شخصية هائلة، ورغم ذلك، فقد تغلبوا على المصالح الذاتية من أجل منفعة بنى الإنسان. هناك الكثير من البشر الذين يعانون، ولكن القليل منهم، مثلك ومثل أسلافك، هم الذين يحاربون من أجل قضية نبيلة تفيد البشر.

الثورة الإنسانية: مصدر إبداع القيمة

إيكيدا: "لنسمُ فوق معاناتنا وقلقنا الشخصى، ولنحول أنفسنا بشكل يجعلنا قادرين على المساهمة بنصيبنا الواجب فى المجتمع وبنى البشر"، هذا هو شعار حركة سوكا جاكاى الهادف إلى تحقيق الثورة الإنسانية.

طهرانيان: وهنا أجد أن مسمى "سوكا"، وهو ما يعنى "إنشاء القيمة" مهما بصفة خاصة. خذ على سبيل المثال المهاتما غاندى أو مارتن لوثر كينج، أناس فتحوا الطريق للإبداع فى التاريخ. لقد ولدوا أو عاشوا فى فترة كانت القيم المعروفة تمر فيها بمحنة.

من أجل أن تعيش معيشة كاملة فى عصر المحن، ومن أجل أن تجعل مبدأ "الحكمة من أجل تكوين قيم جديدة" يزدهر، يجب على المرء أن يستند إلى إرادة حديدية، وانضباط ذاتى بحيث يستطيع أن يتعامل مع الشدائد. وبصفة عامة، كلما كان المرء منضبطًا، كان أكثر ميلاً إلى النجاح فى تحدى السلطة القائمة، وإلى فتح طريق جديد للإبداع فى سياق كفاحه ضد القديم.

إيكيدا: إن الطريق إلى "إبداع القيمة" فى عصر المحن يتطلب انضباطا ذاتيا معقولا. أوافقك تماماً فى الرأى الذى ذكرته.

لقد أخبرنى الأستاذ نور يالمان بجامعة هارفارد أنه يعتقد أن "التحدى المستمر هو ينبوع إبداع القيمة العظيمة". وفى تقديرى، فإن "التحدى المستمر" يعنى "أنه على كل رجل وامرأة أن يشحذ حكمته من أجل بناء شبكة من التضامن بين الواعين من البشر. فالسلام، على سبيل المثال، سيظل حلمًا فارغًا ما لم يستطع البشر أن يمنعوا كل تصرف طائش من النخبة الحاكمة. لن تتوقف مأساة الحرب ما لم يتوحد البشر لمنعها.

معهد تودا، الدوافع والتطلعات

طهرانيان: إن العولمة تحول عالمنا بشكل متزايد إلى عالم مترابط. ورغم ذلك، فإنه من المؤسف أن مقدرتنا على بلورة "رؤية عالمية" مازالت محدودة. أعلم تمامًا أنك من رواد التفكير والعمل على نطاق عالمى.

إيكيدا: لقد أسست معهد تودا لبحوث السلام العالمى والسياسة فى فبراير سنة ١٩٩٦ أملا فى أن يصبح محورًا للجهود الهادفة إلى تلمس رؤية جديدة للعالم فى الألفية الثالثة وبلورتها. وقد طلبنا منك دكتور طهرانيان أن ترأس هذا المعهد.

طهرانيان: عندما تسلمت عرضك الكريم، أدركت على الفور أن هذا العرض سيوفر لى فرصة نادرة للعمل مع مجموعة من البشر المحبين للسلام للعمل من أجل قضية أؤمن بها بقوة. لقد درست حركة سوكا جاكاى، وخلصت إلى أنها منظمة مثابرة فى السعى من أجل السلام العالمى.

إيكيدا: فى حديثك عن تاريخ سوكا جاكاى، قلت ما معناه إن الرئيس المؤسس ماكيجوتشى ناضل باسم الإصلاح الدينى ضد السلطة الدينية التقليدية وضد النظام العسكرى باسم السلام، ومات كشهيد دفاعًا عن مبادئه. لقد وجدت فى ماكاجوتشى نموذجًا راقيًا "لمبدع القيمة". وبالتالى فعندما دعوتك لرئاسة المعهد الجديد كنت أعلم أن لديك فهما عميقا لما نناضل من أجله.

طهرانيان: لقد كان القبول برئاسة معهد تودا "تحديًا للمسئولية". فعندما ناقشنا مهمة المعهد مع مجلس الإدارة، بدا واضحًا لنا أن هذا المعهد ينبغى أن يصبح "معهدا جديدًا من أجل عالم جديد". وأقصد بعالم جديد هنا عالم تتسع قنوات الاتصال فيه ولكنه فى الوقت ذاته فى حاجة ماسة إلى الحوار. ولهذا أخترنا شعار المعهد ليكون "حوار الحضارات من أجل المواطنة العالمية".

عن التسمية

إيكيدا: أتذكر أنك كنت تريدنا أن نطلق على هذا الكتاب "اختر الحوار"، عندما تحدثنا عنه في بادئ الأمر.

طهرانيان: إن حواريك السالفين مع العالمين الكبيرين أرنولد توينبي، ويوهان جالتونج، تم تسميتهما باسم "اختر الحياة"، و"اختر السلام" على التوالي. لقد ركزا على كيفية الحفاظ على قدسية الحياة من خلال اتباع طريق السلام بطرق سلمية.

إن هذه الموضوعات بمثابة مشكلة قديمة قدم الإنسانية ذاتها، ورغم ذلك، فإنها تظل حتى الآن ذات أهمية محورية. ولكننا نعيش مرحلة من التطور التاريخي أصبح فيها "الحوار" ضروريًا تمامًا كضرورة "الحياة" و"السلام". في الواقع، يبدو أن الحوار هو الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها أن نضمن الحياة والسلام.

إيكيدا: على أي حال، إن البرهان على إنسانية البشر يكمن في ميلهم إلى الحوار. ففي القرن الثالث عشر كتب الشاعر الفارسي العظيم السعدي أن "الإنسان اسمى من الحيوان لأنه قادر على الكلام، ولكن إذا لم نتكلم عن أشياء طيبة، فعند ذاك يكون الحيوان أسمى من الإنسان"(٢٦).

طهرانيان: لقد أدت عولمة الأسواق والمجتمعات إلى إنشاء روابط وثيقة بين الأمم، والثقافات، والحضارات على مستوى شامل. ولكن من ناحية أخرى، فهذه الروابط أسفرت عن تكوينات سياسية واقتصادية متنافسة ومتعاونة في آن واحد، كما أدت إلى صدامات بين الإدراكات والمصالح، في الوقت الذي أدت فيه أيضًا إلى الحوارات والمفاوضات. وكلما غاب الحوار في هذه الروابط، كما يحدث في حالات العنف والهيمنة، فإن بذور العداء ستزرع لسنوات بل لعقود قادمة.

---

(٢٦) السعدي، هو مصلح الدين مشرف بن عبد الله السعدي الشيرازي (١١٨٤ - ١٢٨٣). شاعر فارسي ولد في شيراز ودرس في بغداد، ورحل منها بعد الغزو المغولي، واختلط بالطبقات الدنيا وتفاعل معها، وعاد في أواخر حياته إلى شيراز. وأشهر دواوينه "البستان"، و"جولستان"، وألف مقطوعات موسيقية حزنا على سقوط بغداد .

إيكيدا: اعتقد أن مفكرين من أمثال صامويل هنتنجتون، قدموا مقولة "صدام الحضارات" وغيرها من الأفكار المماثلة، في سياق التطور الذي أشرت إليه. في رأيي، فإنه ليس فقط من الخطأ أن نفترض أن الصدام حتمي، ولكن هذا الافتراض خطير أيضًا، لأن هذه المقولة قد تؤدي إلى ترسيخ الجانب الصدامي في عالمنا. فحتى إذا حدث الصدام، فإن اللوم لا يقع على الحضارات، لأن السبب الحقيقي للصدام يكمن في تلك البربرية التي لا تقبل بني الإنسان الذين يختلفون عنا.

ولا بديل عن الحوار لمنع هذا الصدام. ولكي يكون الحوار فعالاً يجب أن تتوافر روح الثقة في أن طبيعة البشر خيرة. وأن نبذل جهدًا لزرع النغمة الصحيحة في عقولهم.

طهرانيان: إذا اخترنا الحوار كوسيلة للتعامل مع أصدقائنا وأعدائنا، توافر الأمل في أن نفهمهم بشكل أفضل، وبالتالي توافر احتمال التغيير المتبادل للإدراكات والمصالح.

إيكيدا: الحوار هو سلاح السلام، وهذه هي الروح الحقيقية للبوذية.

لقد كان المجتمع الهندي في عهد الحكيم شاكياموني شبيها إلى حد معين بعالم اليوم، حيث إنه كان في مرحلة تراجع وتغير. كانت قيم المجتمع في حالة من الاضطراب، كما كانت القوى المختلفة المتصارعة منخرطة في صراعات عنيفة من أجل السلطة والنفوذ. كان على البشر أن يحتفظوا بأسلحتهم في منازلهم جاهزة للاستعمال. ورغم هذا الاضطراب الاجتماعي، فقد جاب شاكياموني البلاد يدعو للسلام، ويبرهن على ما يقول بالعمل. لم يكن السلاح الذي وظفه شاكياموني سوى "الحوار السلمي". ومن خلال الحوار علّم البشر قدسية الحياة، وسعى إلى إنهاء العنف من المجتمع.

طهرانيان: بدون الحوار فإننا نسير في ظلمة اليقين الذاتي.

الأساس المشترك للبشر

إيكيدا: دعنى أستعير تشبيهك للحوار بأنه الضوء الذى ينير خطواتنا. إن الأمر يبدأ بإنسان واحد يتحدث إلى آخر. فرغم أن الحوار بين الحضارات هو محل الاهتمام، فإن نقطة البدء أو الأساس المرجعى هو علاقة الإنسان بالإنسان. وعندما كنت أزور الدول الاشتراكية أو الشيوعية أثناء سنوات الحرب الباردة، كنت على قناعة أنه "لأن هناك أناس تتحدث إليهم"، فإن هناك احتمالا لبناء جسر من الصداقة.

يجب أن نكسر نمط علاقة "الصديق فى مواجهة العدو"، وأن نتحدث إلى بعضنا بأمانة وانفتاح، انطلاقا من الأساس المشترك للبشرية. وقد انتهى بى الأمر إلى قناعة بأن هذا الأساس هو ما سيؤدى إلى ذوبان الثلوج وإلى حل المشكلة فى النهاية.

طهرانيان: إننى واع تمامًا بجهدك الرائد من أجل الترويج للحوارات. فخلال الأربعين عامًا الماضية، قمت بإجراء أكثر من ١٥٠٠ حوار مع قادة العالم، ابتداء من توينبى حتى جورباتشوف.

إيكيدا: بمثل ما كان هناك عداء شديد فى الماضى ضد الدول الاشتراكية، فإن عددًا كبيرًا من البشر، وبالذات فى أوروبا وأمريكا الشمالية، يتمسكون بصورة نمطية وإدراكات متحيزة مسبقة عن العالم الإسلامى. وهذا أمر خطير.

طهرانيان: إننى منزعج أيضا من هذا الموقف. ولكنك أخذت زمام المبادرة فى القيام بأنشطة لمنع عزل دول معينة عن الجماعة الدولية.

إيكيدا: إن الخطوة الأولى لبناء صداقة متينة هو أن نعرف بعضنا بشكل جيد. ما هو مطلوب من كل البشر حاليا هو أن يقدروا نقاط القوة لشركائهم، وأن يكونوا مستعدين للتعلم منهم. وأتعشم أن تؤدى هذه السلسلة من الحوارات بيننا إلى تشجيع الآخرين على اقتداء هذا المثال، خاصة أن أحدنا بوذى والآخر مسلم.

قواعد الحوار

طهرانيان: كما قلت سابقًا، فقد اختار معهد تودا "حوار الحضارات من أجل المواطنة العالمية" كشعار له. وعندما تأملنا فى الأسلوب الأكثر فعالية لإجراء الحوار، توصلنا إلى عدة قواعد. هذه القواعد هى قواعد إرشادية وليست شاملة، ولكننى أريد أن أقدمها:

١ - احترم الآخرين واستمع إلى ما يقولون بعناية، بقلبك وبعقلك.

٢ - ابحث عن الأرضية المشتركة للتوافق، وتجنب "التفكير الجماعى" من خلال احترام والاعتراف باختلاف الآراء.

٣ - امتنع عن المداخلات المفرطة والتى لا صلة لها بالموضوع.

٤ - ابدأ بالتنويه بمساهمات الآخرين قبل أن تقدم مساهمتك.

٥ - ضع فى اعتبارك أن للصمت دلالة. ومن ثم تكلم فقط إذا كانت لديك مساهمة فى شكل سؤال له دلالة، أو تقديم معلومة، أو تقديم أو إيضاح وجهة نظر، أو تطوير الحوار إلى مستوى أكثر تحديدًا، أو فى اتجاه التوافق.

٦ - حدد نقاط الخلاف الأساسية لكى تكون محلا لحوار آخر فى المستقبل.

٧ - لا تشوه وجهات نظر الآخرين من أجل تعزيز وجهة نظرك. حاول أن تقدم وجهات نظر الآخرين كما قدموها، وبشكل يرضيهم، قبل أن تقدم وجهة نظر مختلفة عما قالوه.

٨ - حدد نقاط الاتفاق حول كل بند على جدول الأعمال قبل الانتقال إلى بند جديد.

٩ - حدد الانعكاسات المحتملة للاتفاق على سياسة وسلوك الجماعة.

١٠- اشكر زملاءك على مساهماتهم.

إيكيدا: هذه نقاط مهمة. ومن الواضح أن القاسم المشترك الأعظم بينها هو الحوار المفتوح المبنى على احترام الآخرين. لقد قدمت قائمة قيمة لقواعد الحوار يمكن أن تمثل مرشداً لبناء الحوار الذى يجب أن تسعى إليه البشرية من الآن فصاعدا.

أنصار الحوار

إيكيدا: من المفيد أن نسترجع التاريخ لنرى ما قاله بعض كبار المفكرين عن الحوار.

فى هذا الصدد، فإننى أختار مع سقراط(٢٧)، مونتين أحد أنصار الحوار العظام(٢٨). لقد عاش هذا الرجل فى فرنسا فى القرن السادس عشر فى خضم سلسلة من الأحداث المأساوية الناشئة عن الصراع الدينى. وفى كتابه "المقالات"، يقول مونتين إن أكثر الوسائل الفعالة والطبيعية لاستثمار العقل هى أن ننخرط فى الحوار، كما أنه يعتبر التخاطب بين البشر. أكثر الأنشطة الإنسانية إقناعاً.

طهرانيان: إننى استمتع أيضاً بالمحادثة فى حد ذاتها.

إيكيدا: هذا ما يميز دعاة السلام. ويضيف مونتين أنه مهما بعدت عقائد وقناعات الآخرين عن عقائده وقناعاته، ومهما كانت تلك العقائد والقناعات معوجة أو هزلية، فإنها لا يمكن أن تصيبه بالضرر، كما أنه يجد دائماً شيئاً مفيداً فى أى شىء ناتج عن وظائف العقل الإنسانى.

---

(٢٧) سقراط، فيلسوف إغريقى عاش فى أثينا فى الفترة (٤٧٠ - ٣٣٩ ق. م)، واشتهر بمحاوراته الفلسفية العميقة التى يوجه فيها أسئلة لطلابه لاستخلاص أفضل ما عندهم. له مساهمات فى مجال الأخلاق والمنطق وفلسفة المعرفة، رغم أنه لا توجد له كتابات معروفة. كان له تأثير ضخم على فكر أفلاطون وأرسطو، وعلى مجمل الفكر السياسى الغربى.

(٢٨) مونتين (١٥٣٣ - ١٥٩٢)، هو ميشيل دى مونتين، فيلسوف فرنسى عُرف بمعارضته للأفكار الدوجماتية، وتمسكه بالشك الفلسفى، وإيمانه بالتناقضات فى الطبيعة البشرية.

طهرانيان: أجد فى ذلك بعض التشابه مع القواعد التى حددناها للحوار فى معهد تودا.

إيكيدا: لقد آمن مونتين بالقول المأثور عن شيشرون[٢٩] "لا تتعايش المناقشة مع التفنيد فى آن واحد". ومن ثم أكد أن هدف الحوار هو البحث عن الحقيقة. وبعد أربعة قرون، وبعيدًا عن فرنسا، أعترض المهاتما غاندى[٣٠] على كل أشكال الطائفية قائلاً، "الحقيقة هى الله". وقد طبق بكل صراحة مبدأ "آهيمسا"[٣١] (عدم الإيذاء) آملاً فيه فى إيقاظ شعوب العالم لإدراك القوة الداخلية الروحية الموجهة نحو ما هو مقدس.

طهرانيان: بمناسبة الحديث عن غاندى، تأثرت إلى حد بعيد بمحاضرتك فى صالة غاندى التذكارية فى فبراير سنة ١٩٩٢, أعتقد أيضًا أن مفهوم الحوار وثيق الصلة بما أسماه غاندى "ساتياجراها (البحث عن الحقيقة[٣٢]). أقول ذلك لأن الساتياجراها موجهة إلى الإحساس الأعمق للبشر بالفضيلة.

---

(٢٩) شيشيرون (١٠٦ - ٤٣ ق. م)، مفكر سياسى رومانى، اشتهر بكتابيه "حول الجمهورية"، و"حول القوانين". وقد ألفهما على شكل حوارات، واعتبر أن النظام الأمثل هو نظام روما القائم على الدستور المختلط.

(٣٠) موهنداس غاندى، حكيم ومفكر هندى (١٨٦٩ - ١٩٤٨)، اشتهر بمقاومته للاحتلال البريطانى من خلال المقاومة غير العنيفة، فيما عرف بفلسفة الساتياجراها، أى مقاومة الاحتلال والطغيان من خلال عدم العنف. قاد الحركة الوطنية الهندية نحو الاستقلال سنة ١٩٤٧، وعارض تقسيم الهند، واغتاله متطرف هندى سنة ١٩٤٨، ويعرف عادة باسم المهاتما غاندى.

(٣١) أهيمسا، كلمة سنسكريتية الأصل تعنى "عدم الإيذاء". ويُقصد بها فى الاصطلاح العام مبدأ "عدم العنف" الذى يتأسس على قدسية كل الكائنات الحية. وأهيمسا هى أحد مكونات الديانتين الهندوسية، والبوذية، وقد استعمل المهاتما غاندى هذا المصطلح كأداة للنضال السياسى فى النصف الأول من القرن العشرين.

(٣٢) ساتياجراها، مصطلح فى اللغة السنسكريتية يعنى "البحث عن الحقيقية والصمود". وهو ذاته مبدأ المقاومة السلمية الذى طوره المهاتما غاندى فيما بعد ضد الحكم البريطانى للهند.

إيكيدا: موجهة إلى الإحساس الأعمق للبشر بالفضيلة، هذا يعنى أن جوهر الحوار يكمن فى تعزيز الالتقاء بين القلوب والعقول.

لا تستطيع أن تقنع أى إنسان، إذا حاولت أن تفرض أفكارك أو عقائدك عليه باسم الحوار. مثل هذا المنهج لن يؤدى إلا إلى غرس "بذور العداء". وهنا استعير هذا المصطلح منك مرة أخرى. مثل هذا المنهج يجعل من المستحيل التقاء البشر ببعضهم، ناهيك عن توحيدهم.

يجب أن نستمر فى المناداة بالحاجة إلى توسيع نطاق الحوار على كل المستويات، ولكن فى الوقت ذاته يجب أن نعمل باستمرار لكى نجد طريقًا لتحسين منهجية الحوار ونوعيته. وعندما نتبع هذين المطلبين فى آن واحد، يصبح الحوار أداة فعالة حقًا، قادرة على صنع التاريخ.

الفصل الثانى

الإسلام

فهم الإسلام كما هو

طهرانيان: لقد سافرت عبر "طريق الحرير". لقد كانت هذه الطريق تربط آسيا بأوروبا، وكانت بذلك مركزًا لأول "اقتصاد عالمى"، وأول "ثقافة عالمية". ولكن الاستعمار الأوروبى دمر هذه الطريق. وتشهد هذه الطريق حاليا تكوين "اقتصاد عالمى جديد"، ولكن المرادفات العقلية والثقافية لهذا الاقتصاد، وهما الرؤية العالمية والثقافة العالمية، قد بدأت بالكاد فى الظهور. لقد كنت يا سيد إيكيدا منخرطًا فى جهد رائد لبلورة ثقافة عالمية جديدة تواكب الاقتصاد العالمى.

إيكيدا: أوافق تماما على ندائك الذى يطالب بصياغة ثقافة عالمية جديدة، رغم أننى لا اعتبر نفسى رائدًا فى هذا الجهد. لقد تحدثت أيضًا عن التقاء الشرق والغرب، ولكن ما هى طبيعة الإسلام؟ وكيف يعيش المسلمون فعلاً؟ هذه أمور مازالت مجهولة فى الغرب، أو فى اليابان. وعلى سبيل المثال لا يعلم كثير من اليابانيين أن المصارف التى تعمل وفقًا للشريعة الإسلامية لا تدفع فوائد على المدخرات[٣٣].

(٣٣) تدفع المصارف الإسلامية أرباحا على المدخرات تقارب الفوائد التى تعطيها المصارف العادية، وهذه الأرباح تتغير بتغير المعاملات الاقتصادية .

طهرانيان: هذه عادة عرفية مبنية على فكرة أن تجميع الثروة بدون عمل هو أمر غير عادل وغير مرغوب فيه، فالقرآن يحظر صراحة دفع فوائد على المدخرات فى الآية ٢٧٥ من سورة البقرة، حيث يقول ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[٣٤].

إيكيدا: أعلم أن كثيرًا من المسلمين يحولون الفوائد التى تدفعها لهم المصارف غير الإسلامية لصالح تمويل القضايا النبيلة أو يدفعونها زكاة للفقراء.

طهرانيان: بالطبع، هناك أنماط متفاوتة من أغنياء المسلمين، ولكن القليل منهم هم الذين يرفضون استلام الفوائد المصرفية. ولكن بعض المصارف الإسلامية تسمح للمودعين أن يصبحوا أصحاب أسهم فى المصرف ويحصلوا على العوائد المسموح بها طبقا للشريعة الإسلامية.

إيكيدا: لعل إحدى الصور النمطية صورة التمييز الشديد ضد المرأة فى المجتمع الإسلامى. ولكن من الناحية الفعلية نلاحظ أن نسبة النساء بين القادة السياسيين، وموظفى الحكومة، والمثقفين فى الدول الإسلامية أعلى منها فى اليابان. على سبيل المثال، هناك امرأة عربية تدرس فى جامعة سوكا، وهى ترتدى الحجاب دائما، ومن المتوقع أن تنخرط فى عمل مهنى بعد عودتها إلى وطنها.

"لا تحكم على الشيء قبل أن تعرف الحقائق"، لقد كان هذا هو المبدأ الأساسى الذى استنه ماكيجوتشى للتعلم. يجب أن نتخلص من تحيزاتنا المبنية على الصور المزيفة والنمطية عن الإسلام. ولكى نفعل ذلك يجب أن نؤكد على بعض الحقائق الأساسية عن هذا الدين.

---

(٣٤) الآية المشار إليها تحرم الربا، ولكنها لا تحرم دفع فوائد على المدخرات المودعة فى المصارف فى رأى كثير من العلماء بالدين الإسلامى ؛ فهذه المدخرات لا تعد قروضًا يمنحها العملاء للمصارف، وإنما هى ودائع للاستثمار والاستفادة المشتركة بين المودع والمصرف .

طهـرانيــان: إننى أوافق تمامًـا على هذا الرأى. فـفى زمن النقل الإلكتـرونى للمعلومات الذى نعيشه، والذى أدى إلى تحول البشر إلى مستقبلين سلبيين للمعلومات الجاهزة، أصبح الانطباع الأولىُّ أكثر أهمية.

إيكيدا: لقد زرت إيران ، وطنك، لمدة أسبوعين فى أواخر شهر يناير سنة ١٩٦٢، كما قمت بزيارة أربع دول إسلامية أخرى، وهى العراق، وتركيا، ومصر، وباكستان.

كانت اليابان فى هذا الوقت فى خضم عملية نمو اقتصادى سريع. فقد كان الاقتصاد بأسره يقفز إلى أعلى بسرعة غير مسبوقة. وفى ذلك الوقت آمن اليابانيون، عدا القلة منهم، بالقيمة العظمى "للتقدم" المادى.

كان الانتقال من مجتمعنا العلمانى للغاية إلى الدول الإسلامية، حيث ما تزال التقاليد الدينية طاغية، بمثابة انتقال منعش إلى حد لا يصدق. لقد جعلنى الجو العام المحيط بى فى تلك الدول أشعر بالحنين. لقد علمت أثناء تلك الرحلة أن المسلمين يقسمون أوقاتهم إلى ثلاثة أقسام.

طهرانيان: تقصد الصلاة، والعمل، والراحة.

إيكيدا: يبدو أن الكدح من أجل اكتساب النقود ليس أمرًا محببًا فى المجتمع الإسلامى. بالعكس، فإن الأنشطة الترفيهية فى الدول الصناعية المتقدمة تهدف إلى إعادة إنعاش العقل والجسم ليستعدا ليوم العمل التالى، وبالتالى فإنها نوع من العمل وليست الراحة، بالمعنى الإسلامى للكلمة.

طهرانيـان: بالنسبة للمدمنين على العمل، فإن كل شىء هو "عمل" بما فى ذلك اللعب والترفيه، وقد أصبحنا تابعين للعمل. هؤلاء الناس يعملون من أجل العمل، وليس من أجل هدف أسمى فى الحياة.

إيكيدا: إن أفضل الأوقات فى الإسلام هو وقت الصلاة، وهو الوقت الذى يصلى فيه المسلمون لله. ووقت الراحة مخصص لمناقشة الموضوعات ذات الأهمية مع

الأصدقاء، وللسفر، ولقص الشعر، وفوق ذلك كلمة للتأمل فى معنى الحياة. خلال رحلتى إلى الدول الإسلامية سنة ١٩٦٢ شعرت كيف أن الوقت المخصص لتحسين الذات ينبع ببطء، ولكن بعمق ، من الناس الذين قابلتهم.

إعادة النظر فى الاستشراق

إيكيدا: علمتنى التجربة أنه من المهم أن نرى الثقافات الأخرى كما هى، وأن نقدرها حق قدرها بأمانة تامة. فالبشر فى زماننا يتحفظون عندما يرون شيئًا مختلفًا عنهم. ويسمونه "غريب" أو "أجنبى"، أو حتى "شرير".

طهرانيان: هذا بالضبط ما أسماه إدوارد سعيد(٣٥) عقلية "الاستشراق". وقد انتقد تلك العقلية بقوله:

"لقد قسم البشر العالم إلى أقاليم تتميز عن بعضها بصفات حقيقية أو متصورة. فقد استمر صنع الخط الحاد الفاصل بين الشرق والغرب لسنوات وحتى لقرون طويلة، وهو الخط الذى مثله بلفور(٣٦)، وكرومر(٣٧). لقد استعملت مصطلحات عديدة للتعبير

---

(٣٥) إدوارد سعيد (١٩٣٥- ٢٠٠٣)، أستاذ جامعى ومفكر أدبى وناشط أمريكى من أصل فلسطينى. عمل أستاذا للغة والأدب الإنجليزى بجامعة كولومبيا، ومن أهم مؤلفاته كتابه بعنوان "الاستشراق" صدر سنة ١٩٨٠.

(٣٦) أرثر جيمس بلفور (١٨٤٨ - ١٩٣٠) ، رئيس وزراء بريطانيا وقائد حزب المحافظين، تولى رئاسة الوزراء من سنة ١٩٠٢ حتى ١٩٠٥، ثم عاد إلى عالم السياسة فى أثناء الحرب العالمية الأولى فى عهد لويد جورج سنة ١٩١٦ وزيرًا للخارجية. وهو الذى أعطى لليهود وعدًا اشتهر بوعد بلفور سنة ١٩١٧، بتأييد بلاده لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

(٣٧) اللورد كرومر (١٨٤١ - ١٩١٧)، هو السير إيفلن بارنج، دبلوماسى وإدارى بريطانى، عينته بريطانيا ممثلا لها فى مصر سنة ١٨٨٣، أى بعد الاحتلال بعام، للإشراف على إعادة تنظيم الإدارة المصرية. وفى سنة ١٨٩٢ أعطى لقب البارون كرومر، وعاد إلى بريطانيا سنة ١٩٠٧ حيث أصبح عضوًا فى مجلس اللوردات .

عن العلاقة (بين الشرق والغرب)، ومنها أن الشرق غير عقلانى، وفاسق، وطفولى، و"مختلف"، وبالتالى فالأوروبى عقلانى، وفاضل، وناضج، و"عادى" (إدوارد سعيد، الاستشراق، ١٩٧٩، ص ٣٩ - ٤٠).

إيكيدا: يختلف الدارسون فى تقييم أعمال إدوارد سعيد، ولكن الأمر الذى لا شك فيه أن كتابه الاستشراق، يمثل نقطة تحول جوهرية. فقد أصبح من المتعين على منتقديه ومؤيديه أن يأخذوا هذا الكتاب فى الحسبان عند مناقشة آسيا والاستعمار.

إنه يعانى من مرض مزمن، أعتقد أنه سرطان الدم، ولكنه رغم ذلك وقف بثبات إلى جانب الأقلية. إننى أحترم للغاية إرادته القوية، ووضوحه، وسلوكه.

وعلى أى حال، عندما يُميِّز إنسان ضد إنسان آخر فإن السبب لا يكمن فى المميَّز ضده ولكن فى المميِّز. إن السبب لا يكمن فى أن الآخر أقل شأنًا، ولكنه يكمن فى أن شخصا ما موجه نفسيا نحو التعصب.

طهرانيان: على أى حال، ليس من الممكن تقسيم العالم إلى مثل هاتين الفئتين البسيطتين، "الشرق"، و"الغرب"، فمعظم الديانات العظيمة، اليهودية والمسيحية والإسلام، جاءت من غربى آسيا.

إيكيدا: إن الديانات التى تشكل العمود الفقرى الروحى للمجتمع الغربى أتت من غربى آسيا. فالثقافات متداخلة ومختلطة. واليابان مدينة للدول الآسيوية الأخرى بخطوط كتابة لغتها ذات الأصول الصينية، وكذلك بالكونفوشيوسية، والبوذية، وأشكال كثيرة أخرى من ثقافتها.

طهرانيان: ليس ثمة شىء اسمه "عرق خالص"، أو "أمة خالصة"، أو حتى "دين خالص". مثل هذه الأفكار ليست إلا أوهامًا خطرة تنطوى على التعصب.

إيكيدا: لقد شهد القرن العشرون مآسى عديدة تكررت المرة تلو المرة، لأن مثل هذه الأوهام تدفع البشر.

لقد أجريت على مدار سنوات عديدة حوارات مع أناس من مختلف الخلفيات الثقافية، والعرقية، والدينية، بما فى ذلك الحوار الذى أجريه معك الآن. كان دافعى ببساطة هو أن أجرى وأن أشجع على إجراء حوار من شأنه توسيع الشبكة متعددة الأبعاد لتبادل الأفكار من أجل تحقيق السلام على المستوى العالمى.

اليهودية، والمسيحية، والإسلام

إيكيدا: لقد حدد القرآن الكريم موقف الإسلام من اليهودية، والمسيحية، فالقرآن يؤكد أن الديانات الثلاث ليست إلا تعبيرات عن ديانة واحدة ولكن فى سياقات تاريخية مختلفة.

طهرانيان: هذا صحيح. فاليهودية، والمسيحية، والإسلام، تسمى أحيانا الديانات "الإبراهيمية" لأنها جميعا تبجل مؤسس التوحيد. وتنزع الديانة الزرادشتية بدورها إلى مفهوم التوحيد. ولهذا، عندما فتح المسلمون فارس، اعترفوا بالزرادشتية كدين لأهل الكتاب.

إيكيدا: من جانب آخر، يؤكد الإسلام أن رسوله محمداً، نبى مثل موسى وعيسى، وأنه آخر الأنبياء الذين أرسلهم الله، أى أنه "تتويج وتجسيد للنبوات".

حياة محمد، والوحى الذى تلقاه

إيكيدا: دعنا ننظر إلى حياة النبى محمد. يروى أنه ولد حوالى سنة ٥٧٠ ميلادية فى قبيلة قريش التى كانت تحكم مكة. وقد توفى والده قبل ولادته. وتوفيت والدته عندما كان سنه ست سنوات، ومن ثم قام عمه بتربيته.

طهرانيان: أجل، وباعتباره يتيما، فقد عانى من عدد من الآلام، ألم ومعاناة المحروم، وألم وفاة والديه المبكرة، والتى كان لها بكل تأكيد أثر عظيم على طفولته.

ولما بلغ عمره خمسة وعشرين عاماً، تزوج من خديجة، وكانت أرملة ثرية تكبره فى السن، وقد عهدت إليه بإدارة أموالها.

إيكيدا: ورغم ذلك، ظل محمد واعيا للغاية بالحرمان الذى عاناه. لقد ظل هذا الحرمان مثل الشوكة فى قلبه التى لا يمكنه بسهولة أن ينزعها، وقد انعكس هذا على الوحى؛ حتى إنك تجد آيات عديدة فى القرآن تحث البشر على العناية باليتيم، والفقير، والوحيد(٣٨).

طهرانيان: أجل، هناك سورة فى القرآن هى سورة الضحى رقم ٩٣ (٦ – ٨) تقول: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾

إيكيدا: هناك سورة أخرى هى سورة الحديد رقم ٥٧، وهى تعبر بوضوح عن هذا المعنى فى الآية رقم (٢٠) تقول: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.

والواقع أن مؤسس البوذية، شاكيامونى، كان قد شعر أيضًا فى شبابه "بشوكة" وجودية فى قلبه. فرغم أنه ولد أميرًا، فقد رحلت والدته بعد أسبوع من ولادته. من الناحية الاقتصادية، فقد عاش حياة مرفهة، ولكنه شعر بعدم الارتياح للهوة العميقة بين الأغنياء والفقراء، وللبذخ فى حياة البلاط الملكى، وللتناقضات الأخرى فى المجتمع.

وحينما أنظر إلى حياة المؤسسين العظام للديانات، أجد أنه كان لديهم نوعان من الحساسية غير العادية، واحدة تجاه معاناة الآخرين، والثانية تجاه ما هو سرمدى.

طهرانيان: تستعمل البوذية للإشارة إلى هذين النوعين، مصطلحى "العطف"، و"الحكمة". أليس كذلك؟

إيكيدا: أنت على حق.

---

(٣٨) توحى هذه الجملة بأن مُحمدا، عليه الصلاة والسلام، هو الذى وضع الآيات التى تحث على العناية باليتيم، ويعتقد المسلمون أن الآيات القرآنية وحى من الله تعالى، وليست من وضع الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولكن دعنا نعود إلى محمد، فقد انخرط فى التأمل الذاتى. ومثل الكثير من معاصريه كان يعتكف فى أحد الكهوف الجبلية. وفى إحدى الليالى سنة ٦١٠ ميلادية، يروى أنه سمع الملاك جبريل (جابرييل فى العهد القديم) يقول له ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[٣٩].

طهرانيان: استمر محمد يستقبل الوحى بشكل متقطع لمدة عشرين عاما بعد ذلك أى حتى وفاته. ويضم القرآن بين دفتيه آيات الوحى التى نزلت عليه.

ربما يسخر بعض الناس من فكرة "الوحى الإلهى" باعتبارها فكرة غير علمية. ولكن للحق، فإن الاستخفاف بخبرة الوحى باعتبارها "غير علمية" هى فى ذاتها فكرة غير علمية حقا. فلغة الوحى هى لغة رمزية.

إيكيدا: إذا استعملنا مصطلحات العلوم الاجتماعية الحديثة، فالوحى هو نوع من "النموذج المثالى"، وربما نطلق عليه مصطلح "نسق للتعبير".

خذ مثلاً الرسام بابلو بيكاسو[٤٠]. نلاحظ أن الأشكال الممسوخة فى لوحاته هى تعبير عن إلهامه الفنى. فإذا قلت إن الوجوه البشرية فى تلك اللوحات لا تعكس الواقع البيولوجى لتلك الوجوه، فإن الآخرين سيسخرون منك لجهلك بالتذوق الفنى.

طهرانيان: أعتقد ذلك أيضاً. وفى الواقع، فإن بيكاسو نظر إلى الواقع من زوايا متعددة مختلفة. ومن ثم فالتكعيبية تمدنا برؤية متعددة الجوانب للواقع.

إيكيدا: يقول العهد القديم إن الله خلق بنى الإنسان على شاكلته، وهى فكرة متعارضة بالكامل مع نظرية التطور. ورغم ذلك، فإن الاعتقاد فى الخلق الإلهى أدى إلى الاعتقاد فى قدسية الحياة الإنسانية، مما أدى بدوره إلى دفع كثير من الأفراد إما إلى تكريس جهودهم لحركات السلام أو إلى أن يصبحوا من أصحاب الضمائر المعارضة.

---

(٣٩) الآية الأولى من سورة العلق .

(٤٠) بابلو بيكاسو (١٨٨١ - ١٩٧٣) رسام إسبانى يعتبره الكثيرون ألمع رسام فى القرن العشرين، اشتهر بالمدرسة التكعيبية والمدرسة السريالية فى الرسم .

من ناحية أخرى، فقد شوه البعض نظرية التطور من أجل تبرير العنصرية، والمركزية العرقية، بل والتطهير العرقى. ومن الواضح أن هؤلاء أقل عقلانية وعلمية من المؤمنين بنظرية الخلق الإلهى.

طهرانيان: إن النقطة المحورية التى يجب أن نسلم بها هى أنه على مدار التاريخ برهن كل القادة الدينيين العظام على أنهم أناس غير عاديين يحملون رسائل مهمة أرشدت الإنسانية إلى حياة أفضل.

ظهور الإسلام

إيكيدا: عندما تلقى النبى محمد الوحى لأول مرة أصيب بالصدمة والذهول. وكان على زوجته خديجة أن تشجعه لكى يدرك حقيقة الوحى، وأن يكرس نفسه لخدمة الرسالة الإلهية التى نزلت إليه. كانت خديجة هى الشخص الأول الذى آمن بالرسالة الجديدة.

طهرانيان: ولكن شعب مكة لم يقبل فى البداية الرسالة التى كان النبى محمد يحاول نشرها.

إيكيدا: كانت مكة فى ذلك الوقت مزدهرة، لأنها كانت نقطة التقاء كبرى لطرق التجارة من الهند والصين من ناحية، وساحل البحر الأبيض المتوسط من ناحية أخرى. وهذا يعنى أنه كانت هناك هوة سحيقة بين الأغنياء والفقراء فى تلك المدينة.

وطبقًا لرواية المستشرق اليابانى المعروف توشيهوكو إيزوتسو فى كتابه ظهور الإسلام[٤١]، فإن أخلاقيات الحياة لدى البشر فى تلك الفترة كانت مبنية على فكرة أن "الماضى يحدد كل شيء". والماضى هنا يشير إلى "نمط الحياة الذى اتبعه أسلافهم لمئات السنين"، أى السُّنة sunna باللغة العربية.

(٤١) توشيهوكو إيزوتسو (١٩١٤ - ١٩٩٣)، أستاذ جامعى يابانى فى جامعة كيو فى طوكيو، ألف عدداً من الكتب عن الإسلام والديانات الأخرى، عمل أيضًا أستاذًا بالأكاديمية الإيرانية للفلسفة، وجامعة ماكجيل الكندية. من أهم كتبه: "المفاهيم الأخلاقية الدينية فى القرآن" ، الصادر سنة ١٩٦٦، و"مفهوم العقيدة فى الإسلام"، الصادر سنة ١٩٨٠، و"الله والإنسان فى القرآن"، الصادر سنة ١٩٨٠، و"الصوفية والتاوية: دراسة مقارنة"، الصادر سنة ١٩٨٤ .

طهرانيان: لقد كانت القواعد الاجتماعية السائدة تقوم على أساس الأعراف التى تميز جماعة القرابة. ومن ثم اعتبرت الأفكار الإصلاحية للنبى محمد تعتبر تهديدا لأرستقراطية مكة.

إيكيدا: بالطبع اعتبرت الطبقة الغنية المحافظة، محمداً كعنصر تخريب محتمل للنظام الاجتماعى القائم. ولكن الفقراء والعاديين من الناس أيدوه. ويروى أن معظم أصحابه كانوا من صغار الناس. ولذا، فإن السلطة الحاكمة التى سخرت منه وتجاهلته فى البداية، سرعان ما وجدت فيه قوة يُحسب حسابها، وبدأت فى اضطهاده هو وأصحابه.

طهرانيان: هذا صحيح. لقد أدركت تلك السلطة الطبيعة الثورية لرسالة الرسول محمد. لقد اضطر عدد من صحابته إلى اللجوء إلى الحبشة وبلاد أخرى. ومما زاد من سوء الحال، أن السيدة خديجة، التى كانت أكبر مؤيديه، توفيت. وبعدها توفى عمه أبو طالب، وهو الذى رباه.

إيكيدا: كانت المصاعب تحدق بالرسول محمد سواء فى حياته الدينية أو حياته الخاصة.

طهرانيان: بالضبط. فبعد اضطهاده فى مكة اتخذ النبى محمد خطوة جريئة بالهجرة إلى المدينة، والحق أن التقويم الإسلامى يبدأ بتاريخ تلك الهجرة، وليس بتاريخ ميلاد الرسول محمد. فالهجرة إلى المدينة دشنت بداية "المرحلة الإسلامية".

إيكيدا: وفى المدينة حقق الرسول محمد نجاحا أسطوريا حيث عاش حوالى أحد عشر عاماً حتى توفى بها.

كيف نفسر النجاح العظيم للرسول محمد فى المدينة، رغم أنه لم يكن له أتباع فيها قبل الهجرة إليها؟

طهرانيان: قبل الهجرة إلى المدينة كانت هناك معارك لا تتوقف فى أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية بين القبائل العربية. ولم تكن المدينة استثناءً من تلك الظاهرة. ففى المدينة كان هناك صراع بين القبائل اليهودية والقبائل العربية لسنوات طويلة. واختارت تلك القبائل محمدا لكى يكون وسيطا بينها.

إيكيدا: ولكن لماذا اختارته القبائل للقيام بهذا الدور؟

طهرانيان: لأن الرسول محمد كانت له شهرة واسعة كرجل أمين، كان يطلق عليه "الأمين". ولهذا دعوه للوساطة بينهم.

إيكيدا: عندما كان الرسول محمد تاجرا غير معروف، كان أهل مكة يحترمونه لأمانته. ومن ثم، فإن نزاهته الشخصية هى التى أنقذته ساعة الشدة، ووفرت له بيئة جديدة للعمل فى المدينة. ويوضح ذلك كله أن شخصيته النبيلة كانت رصيده الكبير الذى دعمه ساعة الشدة.

الحضارة الإسلامية: الإيمان، والتنوع، والبحث عن المعرفة

إيكيدا: دعنى أسألك سؤالاً آخر يتعلق بهذا الموضوع. ما هى طبيعة الحضارة الإسلامية؟

طهرانيان: جوهر الحضارة الإسلامية هو الإيمان، والوحدة فى التنوع.

إيكيدا: ينخرط المسلمون فى الولايات المتحدة حاليا فى مجموعة من الأنشطة الابتكارية الفريدة، وتضطلع الثقافة الإسلامية فى أوروبا أيضًا بدور رئيسى فى الموسيقى وغيرها من المجالات. إننى مهتم للغاية بمجمل الحضارة الإسلامية.

طهرانيان: لقد بنيت الحضارة الإسلامية على أربعة أسس: الدين، والقانون، والعلم، والثقافة. ويتمثل البعد الدينى فى تلك الأسس بالآية القرآنية التى تقول: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥٦). هذه الآية وغيرها من الآيات غرست لدى المسلمين عقيدة فى وحدة الخلق، وعدم محاولة فرض دين معين على الآخرين. هذه الرؤية الدينية أدت إلى بلورة نظام قانونى إسلامى يسمح بدرجة واسعة من التنوع.

إيكيدا: إن مصطلح "الشريعة" (القانون الإلهى) يعنى فى الأصل "الطريق إلى نبع المياه"، مما يشير إلى أنه ينصرف إلى "الطريق إلى الخلاص". ومن ثم، فإنه يمكن

النظر إلى القانون الإسلامى على أنه يعنى أسلوب الممارسة الذى ينبغى على البشر احترامه، أكثر منه نظامًا قانونيا للدولة.

طهرانيان: بعد ذلك أصبح العلم أساسا ثالثا للإسلام انطلاقًا من الحديث النبوى الذى يقول، "اطلبوا العلم ولو فى الصين".

إيكيدا: لقد بدأت العلاقات الثقافية بين الصين والعالم الإسلامى فى مرحلة مبكرة وقبل عصر رحلات الاستكشاف الأوروبية.

طهرانيان: فى ذلك الوقت، كانت الصين أبعد جزء فى العالم فى التصور الجغرافى الغربى. ولكن العلماء المسلمين لم يترددوا فى اعتبار الإسهامات العلمية الفارسية، والمصرية والإغريقية، والهندية، والصينية بمثابة جزء من تجليات الله التى ينبغى اكتشافها وتوظيفها.

إيكيدا: يذكرنى الإسلام فى الصين بـ"علاء الدين ومصباحه السحرى"، إنها أسطورة لا شك، ولكن علاء الدين، وهو طفل صينى فقير، وجد مصباحًا عجيبًا له قدرة سحرية على أن يحوله إلى حاكم للصين. الأسطورة ذاتها هى تبسيط شديد للأمور، ولكن القصة الحقيقية تخبرنا عن نور الإسلام فى الصين.

طهرانيان: هذا صحيح تمامًا. لقد أصبح العالم الإسلامى بمثابة المركز العلمى والتكنولوجى للعالم من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر.

إيكيدا: من المعلوم أن العالم الإسلامى أعطى للفلسفتين الإغريقية والرومانية، ولفروع العلم الأخرى، حق قدرها.

طهرانيان: لقد أثرى الإسلام عالمه، وعالم الآخرين، ليس عن طريق تدمير الآخر، ولكن عن طريق استيعابه.

إيكيدا: هذا أحد الدروس التى ينبغى أن نتعلمها من الحضارة الإسلامية. استيعاب ثقافات الآخرين هو الطريقة المثلى لإثراء ثقافتنا.

العلاقات مع أوروبا فى العصور الوسطى

طهرانيان: كان العالم الإسلامى متقدما إلى حد بعيد فى إنتاج العديد من الفنون والآداب الثقافية، بما فى ذلك الأشياء التى تسهم فى إثراء الحياة.

إيكيدا: الحق أن كثيراً من المصطلحات العلمية ذات أصول عربية أو فارسية مثل الكحول، والقلوى، والأمونيا، والنيلة. كذلك، فبعض الكلمات التى تعبر عن متطلبات الحياة، والغذاء، والنبات تنبع من الأصول ذاتها، ومن ذلك مصطلحات "البيجاما"، و"الغابة"، و"الجنة"، و"القطن"، و"الأريكة"، و"المجلة"، و"الليمون"، و"البرتقال"، و"الشيرة"، و"السنبلة".

طهرانيان: الحق أن بعض المفاهيم الميتافيزيقية، مثل "الجنة"، و"الشيطان" ذات أصول عربية وفارسية. وما بين القرنين الثامن والتاسع، تمت ترجمة أمهات الكتب الإغريقية، بما فى ذلك كتب أرسطو، إلى اللغة العربية.

إيكيدا: كانت تلك الترجمة تتم باعتبارها مشروعا دينيا. فالملاحظ أن حصاد الحضارة الإغريقية، وثمار الحضارات المتوسطية القديمة فى العلم والفلسفة والمعرفة لم تنتقل إلى أوروبا بشكل مباشر. ذلك أن التدفق الهائل للقبائل الجرمانية إلى أوروبا تلاه مرحلة طويلة من الإقطاع. وقد كان العالم الإسلامى هو الذى حافظ على تراث الحضارتين الإغريقية والرومانية وطوره.

طهرانيان: لم يبدأ التفاعل الأوروبى مع "الشرق" إلا فى القرن الحادى عشر، وعندما تم نقل ثمار الحضارة الإسلامية المتقدمة إلى أوروبا.

إيكيدا: هكذا لعب العلم والثقافة الإسلامية المستوردة دورا عظيما فى "النهضة الأوروبية" التى بدأت بعد عدة قرون. كانت "النهضة" تعنى إحياء الفن والأدب الكلاسيكى الذى نسيته أوروبا لعصور طويلة. بهذا المعنى كان للإسلام فضل عظيم على النهضة الأوروبية.

طهرانيان: بالتوازى مع أعمال أرسطو وغيره من المفكرين الإغريق، فقد انتقلت أعمال ابن رشد[٤٢]، وابن سينا[٤٣]، وغيرهما من الفلاسفة المسلمين إلى أوروبا. لقد كان لتلك الأعمال فضل عظيم فى تطوير اللاهوت المسيحى فى العصور الوسطى.

إيكيدا: هذا صحيح. لقد تم تطويع اسم ابن رشد إلى اللاتينية ليصبح أفيروس، وابن سينا ليصبح أفيسينا. وقد اطلع الفلاسفة وعلماء اللاهوت الأوروبيون على أعمالهما اطلاعًا واسعًا. وعلى سبيل المثال، فقد أثمرت أعمال ابن رشد مدرسة لاهوتية أسميت الأفيروسيون اللاتين، وقد كان لتلك المدرسة أثر عظيم على المجتمع المسيحى فى أوروبا.

طهرانيان: كانت أوروبا فى العصور الوسطى منقسمة إلى عدة إمارات إقطاعية منعزلة. ولكن الإمبراطوريات الإسلامية فى الحقبة ذاتها كانت تتمتع بقدر عال من الحركة فى التجارة والبشر عبر أقاليم شاسعة، مما أنشأ صلات بين العلماء ومصادر العلم. وفى هذا السياق، لا يجوز إغفال دور العلماء اليهود والمسيحيين.

إيكيدا: فى بغداد، عاصمة الدولة العباسية[٤٤]، كانت هناك أكاديمية يهودية تسمى

---

(٤٢) ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، فيلسوف عربى مسلم عاش فى الأندلس، ولد فى قرطبة ودفن بها. اشتهر بدفاعه عن أولوية العقل فى السلوك الإنسانى، وعن تأويل النصوص القرآنية، ومن أهم كتبه فى السياسة كتابى "تهافت التهافت"، "وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال".

(٤٣) ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧) أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا. فيلسوف وطبيب فارسى مسلم، ولد فى بخارى (أوزبكستان حاليا)، وعمل مستشارًا لحاكم الدولة السامانية ثم لحاكم أصفهان، وكان كتابه "قانون الطب"، أحد أبرز المساهمات الطبية لعصور طويلة، وله كتاب "الشفاء"، الذى جمع فيه بين فكر أفلاطون وأرسطو، تميز بإنكاره فكرة خلود الروح.

(٤٤) الدولة العباسية، دولة إسلامية تأسست فى بغداد سنة ٧٥٠ واستمرت حتى سقطت على يد التتار سنة ١٢٥٨. وتُنسب الدولة إلى العباس، عم النبى عليه الصلاة والسلام. وقد أسقط العباسيون حكم الدولة الأموية فى دمشق وأقاموا دولتهم التى حكمت معظم العالم الإسلامى أنذاك، ومثلت مركز الخلافة الإسلامية، واستمرت خلافتها (بعد سقوط الدولة) فى القاهرة حتى سنة ١٥١٧ حين غزا العثمانيون مصر ونقلوا الخلافة إلى بلادهم.

يشيفا، كانت تجرى فيها البحوث حول تجميع التلمود[٤٥]. وتدل السجلات التاريخية على أنه كان هناك تبادل لوجهات النظر بين الحاخامات اليهود والعلماء المسلمين.

طهرانيان: لأن الإسلام اتسم بالتسامح، كان فى استطاعة العلماء من كل الديانات أن ينخرطوا فى حوارات ومبادلات. ولعل من أهم النماذج على ذلك ما حدث بين إسبانيا الإسلامية والمسيحية.

إيكيدا: بعد أن دخل الإسلام إلى إسبانيا فى القرن الثامن، أصبحت بلاد مثل قرطبة وغرناطة مراكز أكاديمية استطاع الأوروبيون أن يدرسوا فيها الثقافة، والعلوم، والفنون الإسلامية المتقدمة. وقد عرفت غرناطة، على وجه التحديد، بقصر الحمراء، الذى كان يدرس فيه العديد من الدارسين اليهود.

طهرانيان: بمجرد طرد المسلمين واليهود من أسبانيا فى سنة ١٤٩٢ ظهرت محاكم التفتيش ضد المسيحيين "المنحرفين". وقد كان الدرس بليغًا: التنوع هو مصدر للحيوية الثقافية، بينما يؤدى التنميط إلى الركود الثقافى.

إيكيدا: وفى ذلك كتب تيودور أدورنو[٤٦]، "تبرهن خبرة أوشفيتز[٤٧] على صدق المقولة الفلسفية أن التنميط الكامل يؤدى إلى الموت".

---

(٤٥) التلمود، (ويشار إليه أحيانا باسم شاس) سجل لمجموعة من التعاليم والرؤى اليهودية المتعلقة بالأخلاق والعادات والتاريخ والقوانين اليهودية. وللتلمود مكونان اثنان هما: ميشنا، وهو أول سجل مكتوب للقانون اليهودى، وجيمارا، وهو تحليل لما ورد فى الميشنا. ويعد جيمارا أساس كل القوانين اليهودية، وكثيراً ما يقتبس منه فى الفقه الدينى اليهودى .

(٤٦) تيودور أدورنو (١٩٠٣ - ١٩٦٩)، فيلسوف وموسيقار وعالم اجتماع ماركسى ألمانى، كان عضواً مهما فى مدرسة فرانكفورت التى لعبت دوراً مهما فى إعادة البناء العلمى لألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية. هاجر إلى الولايات المتحدة هربا من النازية سنة ١٩٣٨، وعاد إليها سنة ١٩٤٩ حيث ركز فى كتاباته على التحليل الماركسى للمجتمع. وكان كتابه مع هوركهايمر باسم "جدل التنوير" الصادر سنة ١٩٤٧ مهما فى التأثير على مدرسة فرانكفورت. وفى هذا الكتاب أكد المؤلفان أن الحضارة الغربية هى حضارة مشوهة منذ البداية بمفهومها عن العقلانية، والذى يهدف إلى السيطرة على الطبيعة، وأن الحضارة الغربية هى حضارة الامتلاك والاستيلاء. كما ألف أدورنو كتابه الشهير "الشخصية التسلطية" سنة ١٩٥٠، وهو تحليل للعوامل التى تدفع الإنسان لطاعة السلطة والخضوع للدعاية الفاشية .

(٤٧) أوشفيتز، معسكر الاعتقال الأشهر الذى أقامته ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية. وتقع مدينة أوشفيتز فى جنوب غربى مدينة كراكو، والتى تقع فى بولندا حاليا. وقد اتخذ المعسكر مكانًا للاعتقال أو لإعدام المعتقلين السياسيين فى أوروبا المحتلة. وكان السجناء يصنفون إلى ثلاث فئات: الإعدام، أو العمل الإجبارى، أو التجارب الطبية. وقد أعدمت فى المعسكر أعداد ضخمة من اليهود، والأسرى السوفييت والبولنديين، وغيرهم. وقد تحول مكان المعسكر إلى متحف حالياً .

الحياة هى المرادف للتنوع. التوحيد والتنميط يعنى الموت. وفى عصرنا الحالى، عصر التنميط الثقافى المتزايد فإنه يصبح من الأهمية بمكان أن نحترم الثقافات المتنوعة، وأن نسعى لكى تتعايش مع بعضها البعض .

طهرانيان: أوافق، وآمل أن يقدم هذا الحوار دعمًا لهذه الجهود. تعبر الآيات التالية من القرآن الكريم عن تلك النقطة:

- ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٣٦).
- ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٣٩).
- ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾.

(ســورة آل عمــران، الآية ١٩).

الفصل الثالث

البوذية

طهرانيان: فى تقديرى، فإن بوذية نيتشيرين[٤٨] والإسلام يشتركان فى بعض الخصائص. فكلاهما يولى التاريخ أهمية عظيمة، بعكس بعض الطوائف الهندوسية والمسيحية التى تعتبر أن التاريخ لا علاقة له بتعاليمها. كذلك يؤكد الإسلام وبوذية نيتشيرين على الدنيا، أى على الحقيقة الوضعية. وكما نعلم فإن بعض الديانات موجهة بقوة نحو السماء أو الآخرة أكثر مما هى موجهة نحو الدنيا.

دوافع شاكيامونى لجزّ الشعر

طهرانيان: السيد إيكيدا، أريد أن أعرف منك المزيد عن البوذية، وأمل أنه من خلال حوارنا أن نظهر أوجه الشبه وأوجه الخلاف بين الإسلام والبوذية. بالطبع لن نفسر ما نجده من اختلافات بينهما تفسيرا سلبيا.

إيكيدا: "الاختلاف" قد يعنى "التنوع". وبينما توفر أوجه الشبه أساسا للتعاون، فإنه علينا أن نكون واعين لأوجه الاختلاف، ومستعدين لاحترام الدور الذى اضطلع به كل دين، ونقاط القوة لدى الآخر. ومن ثم نجد طرقًا نسهم من خلالها فى هذا العالم.

(٤٨) بوذية نيتشيرين، فرع من الديانة البوذية، تأسس فى القرن الثالث عشر على يد الراهب اليابانى نيتشيرين دايشونين (١٢٢٢ - ١٢٨٢). وتركز بوذية نيتشيرين على أن هناك قبسًا من بوذا فى كل البشر، وبالتالى فهم قادرون على الاستنارة والخلاص بشكلهم الراهن وفى حياتهم. وتستند بوذية نيتشيرين إلى الكتاب المقدس لوتس سوترا.

إن المثل الشعبى عن "الأنواع الثلاثة للأعشاب الطبية"، و"نوعى الأشجار"، والمشار إليه فى الفصل الخامس من "لوتس سوترا"(٤٩) يبرهن كيف يشرح بوذا الحقيقة لكل البشر دون تحيز، ولكن كيف يفهم ويستفيد البشر من ذلك الشرح بأشكال متفاوتة، استنادًا إلى مقدراتهم المختلفة. يقول المثل الشعبى "إن المطر، واهب الحياة، سقط على كل النباتات والأشجار، والأعشاب، وغيرها، بشكل متكافئ، ولكن كلا منها يمتص الماء بشكل مختلف وينمو إلى أطوال مختلفة، طبقًا لطبيعة كل نبات." وبالمثل، فإن تعاليم بوذا تساعد البشر على النمو بأشكال مختلفة، وبالتالى تضمن تنوع الحياة والثقافات. فالتنوع هو علامة الحياة.

طهرانيان: لقد اتفقنا فى مناقشتنا السابقة على أن التطابق هو علامة للموت.

والآن، دعنى أبدأ بأن أطرح عليك بعض الأسئلة عن حياة جواتاما بوذا وعن الأهمية التاريخية لفكره.

إيكيدا: يعرف جواتاما بوذا شعبيا باسم شاكيامونى (شاكسون باليابانية). وهذا الاسم الشعبى يتكون من مقطعين، "شاكيا"، و"مونى". وكلمة "شاكيا" مشتقة من القبيلة التى كان ينتمى إليها، وكلمة "مونى" تعنى الحكيم أو القديس. وبالتالى دعنا نسميه باسم شاكيامونى، وليس جواتاما بوذا.

وقد قال الشاعر الهندى العظيم طاغور(٥٠)" إن شاكيامونى جعل من الإنسان كائنًا عظيمًا. فلم يوافق على نظام الطوائف، وحرر الناس من أن يكونوا قربانا

---

(٤٩) لوتس سوترا، أهم كتب بوذية ماهايانا، وقد تم تجميعه بعد حوالى خمسة قرون من وفاة شاكيامونى بوذا، ويتضمن سلسلة تعاليم ألقاها شاكيامونى قرب نهاية حياته. ويعتبر هذا الكتاب أسمى كتب بوذية ماهايانا، ويركز الكتاب على خلود بوذا وعلى تعاليمه بأن التعاطف مع الآخرين يسمو على الخلاص الذاتى.

(٥٠) رابندرينات طاغور،شاعر بنغالى ولد فى كلكتا، عاش فى الفترة من سنة ١٨٦١ حتى سنة ١٩٤١، وهو مؤلف كتاب "جيتا نجالى". حاول طاغور فى أشعاره أن يحقق المصالحة الثقافية بين الحضارتين الهندية والغربية، وحصل على جائزة نوبل فى الأدب، سنة ١٩١٣ .

شعائريا للتضحية، وأخرج الله من دائرة الأهداف البشرية. لقد أبرز شاكيامونى القوة الكامنة للبشر، وحاول أن يقدم البركة والسعادة من داخل الإنسان، وليس من السماء. لقد امتدح شاكيامونى الحكمة، والقوة والحماسة، والصفات الأخرى الكامنة فى الإنسان، مع احترام وعاطفة عميقتين تجاه البشرية. وفى هذا الصدد، أعلن أن الإنسان ليس كائنا تافها بائسًا يصارع مصيره.

طهرانيان: إن هذا المقطع يظهر بجلاء مدى تمكن هذا الشاعر العظيم من استيعاب جوهر البوذية. فى الواقع لقد حرر بوذا البشرية من ربقة الدين السحرى، ووضع السعادة فى أيدى البشر متخطيا فى ذلك قيود القدر.

إيكيدا: بالضبط، فالبشر ليسوا مخلوقات تتلاعب بها الأقدار، ليسوا كائنات هشة تتقاذفها الأمواج. إن كل إنسان يمتلك مقدرة لا نهائية تجعل كل شيء ممكنًا. كان ذلك هو إعلان شاكيامونى بشأن استقلالية الوجود البشرى.

طهرانيان: ذكرت فى الفصل السابق أنه رغم أن شاكيامونى وُلد أميرًا، فإنه قد اعتزل الناس وقام بحلق شعره. وهناك أسطورة صوفية عن إبراهيم [بن] أدهم(٥١)، الملك الذى تنازل عن عرشه وممتلكاته الدنيوية باحثًا عن الاستنارة الروحية. إن قصة إبراهيم أدهم تكاد تتماثل مع قصة شاكيامونى. ولكن أريدك أن تشرح لى ما الذى دفع شاكيامونى إلى اتخاذ هذا القرار. لماذا تخلى عن كل شيء رغم ثروته الطائلة وشبابه المتفجر؟

إيكيدا: المقطع التالى من لوتس سوترا بعنوان "أنجوتارا نيكايا" يقدم شرحًا دقيقًا لدوافع شاكيامونى لحلق شعره فى شبابه.

"كنت فى أحسن حال، وكنت رقيق القلب وقابلاً للتأثر، ولكن الأفكار التالية طرأت على عقلى: رغم أن الإنسان العادى الفانى الأحمق محكوم عليه كغيره بأن يهرم، ولا يمكنه

---

(٥١) إبراهيم بن أدهم، أحد أشهر المتصوفة ، عاش فى حوالى منتصف القرن الثامن فى بلاد خراسان، ويشتهر بأنه ترك حياة الترف والنعيم ليعيش حياة الزهد والورع والتقرب إلى الله ، وكان يأكل من عمل يده ويعمل أجيرا عند أصحاب المزارع رغم ثرائه، ومات سنة ١٦٢ هجرية.

الفكاك من الشيخوخة، إلا أنه يصير كائنًا متأملاً، وغاضبًا، وشاعرًا بالعار، وبالاشمئزاز حينما يرى الآخرين يموتون، ما عداه هو".

فكر معى فى تلك العبارات. لقد شعر شاكيامونى أن "غطرسة الشباب، والصحة، والحياة" تخبو من عقله.

طهرانيان: ويعنى ذلك، أن دافع بوذا لجز شعره هو أنه واجه بصلابة الأشكال الأربعة للمعاناة التى تؤثر حتمًا على البشر، وهى الميلاد، والشيخوخة، والمرض، والموت، أليس كذلك؟ الحق إن المعاناة لا تلحق فقط بالبشر سيئى الحظ، ولكنها جزء لا يتجزأ من الوجود البشرى.

إيكيدا: من المهم أن نلاحظ أن شاكيامونى يستعمل مصطلح "الغطرسة" مرادفًا للمعاناة. إن غطرسة النظر بازدراء إلى الآخرين بسبب كهولتهم أو اعتلال صحتهم، هى مصدر كل أشكال المعاناة البشرية.

الشىء المهم الواجب تذكره هنا هو أن شاكيامونى لم يتخل عن العالم المادى لكى يهرب من تلك المعاناة، ذلك أن وعيه بالمعاناة أدى به إلى البحث عن مصادرها. بعبارة أخرى، فإن تخلى شاكيامونى عن الحياة المادية لم يكن هروبًا من المعاناة، ولكنه كان محاولة لتحديد مصادرها، وإيجاد وسائل للتغلب عليها. ولذلك يوصف شاكيامونى فى الكتب البوذية بأنه المنتصر. لم يكن شاكيامونى ناسكًا، بل كان مقاتلاً، ومنتصرًا أبديًا.

طهرانيان: ومن ثم، فإن التشاؤم لم يكن هو دافعه، فهل كان؟

إيكيدا: قبيل وفاته، قال شاكيامونى لحوارييه إنه ترك العالم المادى فى سن الحادية والعشرين "بحثا عن الخير" (داجا نيكايا). وأعتقد أن مصطلح "بحثًا عن" يستحق منا الاهتمام. إن هذا المصطلح لا ينطوى على أى معنى للتشاؤم مهما كان.

لقد أدرك شاكيامونى أن "الأنا" الكامنة فى أعمق طبقات النفس البشرية، والتى تتمثل فى التمييز المتغطرس بين الصغير والكبير، وبين العليل والسليم، وبين الحى والميت، هى المصدر الأساسى للمعاناة. إن تخليه عن العالم المادى كان فى حقيقته إعلانًا للحرب على المعاناة البشرية.

البوذية والصوفية

طهرانيان: كنت دائمًا مهتما بديانات العالم المختلفة، ودرستهم بطريقتى. وكما ذكرت فى بداية حوارنا، أجد أوجها عديدة للتشابه بين البوذية والصوفية، تتمثل فى الروحانية الإسلامية . إن شرحك لبوذية ماهايانا(٥٢) يكاد يتفق مع الرؤية الصوفية. فكلاهما يركز على هشاشة وزوال الحياة والمشروعات المادية. ويؤكد كلاهما على المسئولية الإنسانية، والحياة الباطنية. وتؤكد الرؤيتان على تفادى "الدوجما الدينية"، كما أن كليهما منفتح على التوافق بين الأديان، والأيديولوجيات، والفلسفات.

إيكيدا: أعرف ما تقصد، فقد قال لى نور يالمان، الأستاذ بجامعة هارفارد، خلال مناقشة معه، "أعتقد أن الصوفية قد تأثرت إلى حد بعيد حينما تفاعلت مع البوذية، وأنها استوعبت فى نسقها الفكرى الرؤية البوذية الخاصة بالتأمل الذاتى وغيرها من الرؤى".

طهرانيان: هذا أمر منطقى فكل من الصوفية والبوذية لا ينفى معنى الحياة المادية. وكلاهما يشجع أنصاره على استقطاع جزء من أوقاتهم للتأملات الروحية، دون أن يعنى ذلك الانسحاب من قضايا عالمنا. بالعكس، فكلاهما يتطلب من أتباعه الارتباط المعنوى القوى بخدمة المجتمع، وكلاهما يعتقد فى الالتزام الإنسانى "بعمل الخير"، كما سبق أن أشرت ولكن أحد مجالات الاختلاف، فى تقديرى، هو عدم وجود طبقة من رجال الدين فى الصوفية، ولكن تتفق الرؤيتان على أن العلاقة مباشرة بين الفرد ومصدر الوجود.

---

(٥٢) بوذية ماهايانا، هى أحد الفرعين الرئيسيين للبوذية (الفرع الثانى هو بوذية ثيريفادا). نشأت بوذية ماهايانا فى الهند وانتشرت فى شرقى أسيا، ويرى أنصارها أنهم يعبرون عن المعنى الحقيقى للبوذية، وتعتبر بوذية ماهايانا أن بوذا هو كائن إلهى يظهر فى العديد من الصور، كما أن هناك جزءًا من بوذا فى كل الكائنات، وأن هذا هو الرابط بين كل الكائنات البشرية وغيرها. ويشير طهرانيان فى هذه الجملة إلى أن إيكيدا قد شرح بوذية ماهايانا، بينما كانت إشارات إيكيدا إلى بوذية نيتشيرين. ولكن هناك أوجها للتماثل بين البوذيتين. وقد سبق أن عرفنا بوذية نيتشيرين، وهذه ظهرت فى مرحلة لاحقة لظهور فرعى البوذية الرئيسيين .

إيكيدا: من أهم أفكار بوذية نيتشيرين، فكرة "إنشاء السلام فى الأرض من أجل التعليم الصحيح". فكونك بوذيا يحتم عليك أن تنخرط دائمًا فى المجتمع، وأن تكون مستعدا لقيادة البشر من خلال شخصيتك النبيلة. وقد حث شاكيامونى أتباعه على أن "يلتحموا بالشعب من أجل تحقيق سعادته ومنافعه". فبوذا لا يجلس عاطلاً فى حالة تأمل، ولكنه يمشى بين الناس، ويدلهم على طريق السعادة.

طهرانيان: ما تقوله يذكرنى بقصيدة صوفية كتبها السعدى، الشاعر الفارسى العظيم فى القرن الثالث عشر، قال فيها "أن تصلى، فهذا لا يعنى شيئا، وإنما الأهم هو خدمة الإنسانية. فسجاجيد الصلاة، والمسابح، وأوانى التسول ليست إلا أمورًا مظهرية".

أوافقك تمامًا أن البوذية هى "دين الأمل" المتحرر من كل القيود. وهذا ما ينطبق أيضًا على الصوفية. ولذلك فكلاهما يناسب ظروف العالم المعاصر، والذى لا ترقى فيه أية "دوجما" إلى مرتبة التنوع المذهل بين البشر، والتحديات الجديدة.

إيكيدا: أفهم ما تقوله جيدًا. فالدوجما هى انعكاس لكون الإنسان أسير الأغلال الضيقة الصغيرة للأنا. فبالعمل من أجل الإنسانية، وبخدمة الناس، نستطيع أن نحرر أنفسنا من كل تلك القيود.

خصائص بوذية نيتشيرين

إيكيدا: تحدثنا حتى الآن عن حياة شاكيامونى وعن جوهر البوذية. والآن دعنى أقول شيئًا عن بوذية نيتشيرين التى أومن بها.

طهرانيان: إننى متشوق لأن استمع إلى ما تريد أن تقوله حول هذا الموضوع، لأننى أريد أن أفهم الأساس الفلسفى لحركة سوكا جاكاى للسلام وحقوق الإنسان، والحماس منقطع النظير الذى يحرك أنشطة أعضاء الحركة.

إيكيدا: تزامنت حياة نيتشيرين (١٢٢٢ - ١٢٨٢) مع تحول جذرى فى التاريخ اليابانى. فمن الناحية السياسية حل محل البنيان الأرستقراطى الحاكم للإمبراطور

وطبقة نبلاء البلاط الملكى، نظام عسكرى تسيطر عليه الطبقة المحاربة. وقد تم ذلك من خلال حروب أهلية واسعة النطاق، وعدم استقرار اجتماعى أديا إلى زيادة بؤس عامة الناس. وتوافق ذلك أيضًا مع تكرار حدوث زلازل مدمرة، ومجاعات، وأمراض معدية، مما زاد من خطورة الموقف.

فى الوقت ذاته، كانت الإمبراطورية المغولية توسع نفوذها بسرعة فى شرقى آسيا. وقد أدى التهديد الخارجى والخراب الداخلى بالمجتمع اليابانى إلى حالة من التوتر ومن الشعور بالتآكل.

طهرانيان: إن الأفكار العظيمة تظهر عادة فى أوقات الأزمات السياسية والمعنوية.

إيكيدا: فى سن التاسعة والثلاثين، أى سنة ١٢٦٠، كتب نيتشيرين رسالة احتجاج مطولة، قدمها إلى أقوى قائد فى قبيلة هوجو الحاكمة. كان عنوان تلك الرسالة حول "بناء التعاليم الصحيحة للسلام فى الأرض". وفى تلك الرسالة أوضح وجهة نظره حول أن مهمة الدين هى أن يسهم فى بناء أرض مسالمة، أكثر من مجرد تحقيق طمأنينة الروح الإنسانية فى الآخرة.

طهرانيان: من الواضح أن نيتشيرين كان يسير على درب الأفكار الأساسية لبوذية ماهايانا التى سبق أن قمت بشرحها. وفى هذا المنهج أجد علاقة مثالية بين المجتمع والدين، وبين المؤسسات السياسية والدينية. بمعنى أنه فى الوقت الذى أكد فيه على مبدأ الفصل بين المؤسسات، فإن تلك المؤسسات تراقب وينشط بعضها بعضًا. إنها توازن وتراقب بعضها بعضًا من خلال ذلك التوتر الخلاق بين المثاليات والوقائع. فالمثاليات الدينية تصحح السياسة، فى الوقت الذى يظل فيه الدين ذاته بعيدا عن دهاليز السياسة الوعرة.

إيكيدا: "التوتر الخلاق"، هذه عبارة جديرة بالتأمل. فقد نصحنا جوشى تودا أيضًا أن "نراقب السياسة بعناية شديدة". إن تتبعنا للسياسة، وسعينا إلى توجيهها الوجهة الصحيحة من منظور المثاليات الدينية حول السلام، وإلى حماية الضعفاء، كل ذلك ليس مجرد حق لنا بل إنه واجب علينا أيضا. يجب أن نضطلع بهذا الواجب المشروع باعتبارنا مؤمنين بالدين ومواطنين.

طهرانيان: يبدو لى أن حركة سوكا جاكاى فى اليابان قد نجحت فى تحقيق التوازن الخلاق بين الحياة والمؤسسات الدينية والسياسية. فعندما فصلت التنظيم الدينى عن الأحزاب السياسية التى تؤيدها، احتفظت بحقها فى مراجعة وانتقاد أوجه الإخفاق التى قد تقع فيها الأحزاب فى مسائل السياسة العامة.

إيكيدا: هذا صحيح تمامًا، إن أعضاء حركة سوكا جاكاى متشددون للغاية مع سياسييهم. لقد كان ذلك أحد الدروس الأساسية التى لقنها لنا معلمنا، ومازلنا نطبقه.

طهرانيان: طالما أن حركة سوكاجاكاى تحتفظ بحقها فى انتقاد السياسة ومؤسساتها، عن طريق تأييد سياسات وأحزاب معينة، فإنها تستطيع كتنظيم دينى أن تؤثر فى المجتمع وتدفعه فى اتجاه المثاليات الدينية التى تؤمن بها، وهى السلام والعدالة الاجتماعية. وفى هذا الصدد، فإن "البوذية الحركية"، كما تجسدها سوكا جاكاى، و"الإسلام الحركى" يتشابهان فى نواح كثيرة.

إيكيدا: دعنا نعود إلى نيتشيرين، فمثل هذا النبى المفوه لم يكن ليلقى أى ود ممن هم فى مراكز السلطة، ومن ثم واجه الاضطهاد، والقهر الرسمى، فقد تم نفيه مرتين. ومن خلال تلك الخبرات اقتنع نيتشيرين بأنه "المبشر بلوتس سوترا".

أثناء نفيه فى جزيرة سادو الشمالية قارسة البرودة، كتب نيتشيرين كثيرًا من أهم أعماله بما فى ذلك كتابه "إيقاظ العيون" (كاميو كوشو). وفى هذا الكتاب، روى نيتشيرين التاريخ من منظور هؤلاء الذين قاموا بحماية الشعب (الحاكم)، وهؤلاء الذين قادوا الشعب روحيا (المعلمين)، وهؤلاء الذين أحبوا الشعب كحب الوالدين لأبنائهم (الآباء).

كانت الخلاصة التى انتهى إليها نيتشيرن هى أن شاكيامونى هو الرمز الأعظم بين الفضائل الثلاثة التى يجسدها الحاكم، والمعلم، والوالد. كذلك، فقد أعلن نيتشيرين ذاته وريثًا لروح شاكيامونى، لأنه يدعو إلى القانون الذى يقول إنه رغم كل أشكال الاضطهاد والقهر، فإن البوذية كامنة فى كل الكائنات مرهفة الحس.

طهرانيان: ألمس فيما يقوله نيتشيرين نوعًا من المنطق الموضوعى، وجهدًا عقليًا يسعى لعدم الوقوع فى حبائل الأدلة التحكمية، وفوق كل ذلك، فإن مناط اهتمامه هو البشر.

إيكيدا: كان نيتشيرين يستعمل ثلاثة أشكال من الأدلة فى تقديم أفكاره. أولها الأدلة الوثائقية (أى ما تقوله السوترا)، وثانيها هو الأدلة النظرية (أى الاتساق مع المنطق والعقل)، وثالثها هو الأدلة العملية (أى أن محتوى الواقع يبرهن على صحة محتوى العقيدة). بعبارة أخرى، فإن نيتشيرين كان فى حوار دائم مع بوذا، من خلال العقل، ومن خلال الواقع، ساعيًا دائمًا إلى عدم الوقوع فى حبائل الدوجما. ومن خلال هذه المراجعة الدؤوبة لمقولاته، استطاع نيتشيرين أن يتوصل إلى فهم عميق لجوهر لوتس سوترا، أى نوعية الكائنات المرهفة. وحاول أن يطبق هذا الفهم بين البشر.

طهرانيان: إننى ممتن للغاية لشرحك لحياة نيتشيرين المضطربة، وتعاليمه العميقة. إن عمق مقاصده، ونقاء نواياه، ومثابرته على تحقيق العدل والمساواة، وتأكيده على العلاقة المباشرة بين المؤمن ومصادر الإلهام الروحى دون تدخل من رجال الدين، كل ذلك يبلور دهشتنا لتقاليد دينية معاصرة وديمقراطية. وفى الصوفية أيضًا، نجد أن نقاء الروح (الصفاء الباطنى) هو الاختبار الأسمى لسلوكياتنا.

وتشبه حياة نيتشيرين، إلى حد بعيد، حياة رسول الإسلام محمد، ذلك أن معارضة السلطات فى ذلك الوقت لتعاليم نيتشيرين، تشبه المعارضة الحادة التى لقيها الرسول محمد من القبائل الحاكمة فى مكة. كذلك، فإن نيتشيرين، شأنه فى ذلك شأن رسول الإسلام محمد، استمر يلقى العنت باعتباره متعصبا. ولكن هذا التشابه لا يثير الدهشة، ذلك أن رسالتيهما كانتا تهددان الطبقات الحاكمة، والتى كانت تفضل أن يكون الناس خاضعين وفاقدى الثقة بأنفسهم روحيا وسياسيا.

إيكيدا: فى خطاب كتبه نيتشيرين إلى أحد أتباعه سنة ١٢٧٧ قال: "حينما يزأر النمر تهب الرياح، وحينما يفحُّ التنين تتجمع السحب. ولكن لا صراخ الأرانب، ولا نهيق الحمير يسببان الرياح أو السحب" (رسائل نيتشيرين، مطبعة جامعة كولومبيا، سنة ١٩٩٦، ص ٤٦). لقد رأى نيتشيرين كل شىء من منظور واسع، وتعامل مع كل المواقف بعقل كامل حاضر.

إيكيدا: دعنا الآن نرى ما المساهمات التى يمكن أن يقدمها الدينان، البوذية والإسلام، لحل المشكلات الاجتماعية فى عصرنا. إن إحدى المشكلات الرئيسية التى تؤرق مجتمعنا المعاصر مشكلة فقدان الاحترام لكل ما هو سرمدى وعالمى. لقد خطت الفردية خطوات واسعة إلى الأمام، وتراجعت العالمية. ولكن الفردية يمكن أن تتحلل إلى اللامبالاة تجاه الآخرين، وفقدان للتعاطف معهم، ما لم تدعمها رؤية كلية للعالم. إننى قلق للغاية من انتشار الفردية فى عالم اليوم. يقول الناس "لا يهمنا المسار الذى تأخذه الأحداث". هذا النوع من اللامبالاة الشعبية، يؤدى فى النهاية إلى إطلاق العنان لأشياء شريرة للغاية.

طهرانيان: لقد حددت بدقة أن عصرنا الراهن هو "عصر الاضطراب"، و"عصر الفردية". أطلق البعض على عصرنا أنه "عصر ما بعد الحداثة"، أو عصر "الحداثة المفرطة". ومهما كانت التسمية، فإن هناك ملامح أساسية لهذه المرحلة من تاريخنا. فمن ناحية، فإن هذا العصر هو عصر تسارع التاريخ؛ إن الأحداث التى كانت تقع فى قرن أو عقود، أصبحت تحدث فى سنوات أو أسابيع قليلة، وغالبًا ما تحدث أمام أعيننا على شاشة التليفزيون.

إيكيدا: السرعة هى سمة عصرنا. فالمعلومات تأتى وتذهب على شاشة التليفزيون بسرعة مذهلة، وبذلك فهى لا تمدنا بخبرات فعلية، وإنما بخبرات معدلة. وغالبًا ما يشعر الناس بالقرب من الشخصيات التى تظهر على شاشات التليفزيون أكثر من شعورهم بالقرب من جيرانهم الفعليين. ربما نعيش فى عصر لا تتوافر لنا فيه خبرة مباشرة، فى الوقت الذى أصبح فيه كل شىء محرفًا.

طهرانيان: هناك وجه إيجابى لتسارع حركة التاريخ. فعلى سبيل المثال، أخذ الأمر حربين عالميتين لتدمير الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية، ولكنه أخذ عقدًا واحدًا من الزمن لتفكيك الإمبراطورية السوفيتية من خلال الحوار السلمى. وبالمثل، فإن الديكتاتوريات السائدة فى إيران، والفلبين، وشرقى أوروبا تم تفكيكها فى خلال سنوات قليلة.

لقد أصبح من الصعب في عصر الاتصال العالمي، أن يستمر النظام الدكتاتوري لفترة طويلة. لكن الوجه السلبي لتسارع حركة التاريخ هو أنه أدى إلى ظهور ما أسماه ألفين توفلر "الصدمة المستقبلية"(٥٣)، كما أنه أدى إلى البحث البائس عن "أغطية أمنية"، وعن "تعويذات" تحمي الهوية، والمادة.

إيكيدا: في مجتمع يتميز بالوفرة الشديدة للمعلومات، ينشغل الناس تماماً بانتقاء معلومات جديدة من شأنها أن تؤدي إلى ضمورهم روحيا.

طهرانيان: إن انتشار الحداثة المفرطة تؤدي إلى تفتيت المجتمعات. فالمشروعات الأنانية الفردية تحل محل الإيمان الديني أو الاهتمام بالمجتمع. وهذا بدوره يؤدي إلى تشكك ولا مبالاة كاملين. وبالتالي يحل عدم الثقة الوجودي، والذي يتسم بالتشكك في دوافع كل إنسان، محل روابط الثقة والتضامن الاجتماعي.

إيكيدا: بالضبط، فصوت الاعتدال والمنطق العام يتراجع، في الوقت الذي تعلو فيه أصوات القومية المتطرفة والتعصب الديني.

طهرانيان: لقد أصبحت مجتمعات الحداثة المفرطة منكشفة أمام ما أسماه دي توكفيل (١٨٠٥- ١٨٥٩)(٥٤) بحق... "طغيان الأغلبية". فالديمقراطيات التسلطية تحل تدريجيا محل الديمقراطيات الليبرالية في الغرب، ومحل الدكتاتوريات التقليدية في الشرق. وتحت ستار أيديولوجية "المحافظين الجدد"، تسعى النظم الجديدة إلى المزج بين الليبرالية الاقتصادية، والمحافظة الاجتماعية، والتسلطية السياسية، لكي تحصل على الشرعية الشعبية بدون التضحية بالمصالح الخاصة. وقد أسمى البعض هذه الظاهرة... "الفاشية ذات الوجه المبتسم".

---

(٥٣) ألفين توفلر ، كاتب ومحلل مستقبلي أمريكي، ولد سنة ١٩٢٨، عرف بكتاباته عن "الثورة الرقمية"، وثورة الاتصالات وأثرها في مستقبل المجتمعات .

(٥٤) ألكسيس دي توكفيل (١٨٠٥ - ١٨٥٩)، مؤرخ ومفكر سياسي فرنسي اشتهر بكتابه "الديمقراطية في أمريكا"، الصادر في مجلدين عامي ١٨٣٥، ١٨٤٠، وكتابه "النظام القديم والثورة"، الصادر سنة ١٨٥٦ . وفي الكتاب الأول ناقش دي توكفيل التطورات الاجتماعية والسياسية في الولايات المتحدة ، والتي تجعل منها مجتمعًا مختلفًا عن المجتمعات الأوروبية. أيد الغزو الفرنسي للجزائر وبرر استعمال الإبادة ضد الجزائريين .

إيكيدا: إن هذا النوع من القوة السياسية الجديدة يوفر للبشر نوعًا من الرضاء المادى، ويغرس فيهم الشعور بعدم الاكتراث بالآخرين ذوى الحاجة. مثل هذا المنهج من شأنه أن يدعم الاتجاه إلى احتقار العقائد الدينية التى تعظم من شأن الاهتمام برفاهة الآخرين.

طهرانيان: هل هناك أى أمل فى هذا "العصر المظلم" الجديد؟ أعتقد أن الأمل موجود. الأمل يكمن فى تلك الحركات الدينية (وفى مقدمتها حركة سوكاجاكاى)، والعلمانية، والتى تعبر عن توجه روحى تجاه الآخرين، تلك الحركات التى تحتوى ولا تستثنى الآخرين.

إن العولمة تتطلب نوعًا جديدًا من "العالمية". ونقصد بذلك شكلاً من النظرية والممارسة ينطلق من الاعتراف بأوجه الشبه. ومن ذلك أن تبدأ فى التفاوض من خلال الحوار حول أوجه الاختلاف. فبعكس "التنوير الأوروبى"، والذى انطلق على أساس بعض المبادئ العالمية المجردة، فإن "العالمية الجديدة" يجب أن تعترف وتحترم بل وتحتفل بالتنوع البشرى. الموت يعنى التطابق، والحياة تعنى التنوع. وبالتالى، فإن شعارى للعصر الجديد هو الشعار الفرنسى المشهور "يحيا التنوع".

إيكيدا: لدينا الآن ما يكفى من الخبرة التى تراكمت خلال هذا القرن والتى تجعلنا ندرك أن النمط القديم من العالمية، كان فى حقيقته نوعًا من التنميط.

فى النصف الثانى من لوتس سوترا نجد أشكالاً عديدة من الآلهة البشر يظهرون على المسرح، أناس أذكياء، مخلصون، مطربون جيدون، هؤلاء الذين يعتبرون احترام الآخرين هو جوهر إيمانهم، وهكذا. لقد تنبأت السوترا بقدوم عصر يزدهر فيه التنوع، كما أنها تحضنا على أن ننذر أنفسنا لمهمة نبيلة وهى المسارعة بقدوم هذا العصر.

لقد كانت رسالة لوتس سوترا هى أن البشر، والأجناس، والأمم تعترف بتفردها الذاتى، وتسعى معًا إلى السلام من خلال الاحترام الكامل للذاتية.

طهرانيان: يبدو لى أن لوتس سوترا هى "أنشودة للتنوع" بالمعنى الحقيقى للكلمة. وبالمثل فإن قصيدة جلال الدين الرومى المسماة "مثنوى" هى بمثابة تنويه شعرى

بالتنوع فى العقائد الدينية والاختلافات العرقية، ويقول الشاعر(٥٥):

كثيراً ما يحدث أن تركيا وهنديا يتحدثان اللغة ذاتها
وكثيراً ما يحدث أن يكون تركيان غريبين عن بعضهما
إن لغة القلب شيء فريد من نوعه
إن لغة العاطفة أسمى من لغة اللسان

(٥٥) مولانا جلال الدين محمد الرومى أو البلخى، (١٢٠٧ - ١٢٧٣) كان شاعرا وفقيها فارسيا، سمى بالرومى نسبة إلى أنه عاش معظم حياته فى الأناضول التى كانت فى القرن الثالث عشر جزءاً من الإمبراطورية البيزنطية. ولد فى بلخ (فى أفغانستان حاليا) ومات فى قونية (تركيا الحالية) والتى كانت جزءا من الدولة التركية السلجوقية. وقد كتب كثيراً من الشعر الصوفى الذى مهد لظهور الدراويش المولوية الصوفية التى تعتمد على الأذكار والرقص، وقد احتفلت تركيا سنة ٢٠٠٧، بالذكرى الثمانمائة لمولده .

الفصل الرابع

المقاربات البوذية الإسلامية

إيكيدا: تحدثنا حتى الآن عن تاريخ الإسلام، وخصائص الفكر الإسلامى، وعقدنا مقارنات مع البوذية. حينما نشرنا عن تلك السلسلة من الحوارات فى مجلة أوشيو فى الفترة من سنة ١٩٩٨ حتى سنة ٢٠٠٠ كان رد فعل القراء لمناقشاتنا إيجابيا جدا. عبر عدد غير قليل من الأفراد عن رغبتهم فى معرفة المزيد عن المبادئ الأساسية للإسلام، وما يفعله المسلمون يوميًا. ولهذا أريدك أن تشرح لنا المزيد عن العقيدة الإسلامية. ما هو موضوع الدين الإسلامى؟ فالمسيحيون مثلا يعتقدون فى المسيح المنقذ، وفى الروح المثلثة، وفى بعض الأحيان يعبدون مريم العذراء أيضًا.

طهرانيان: فى سورة النساء من القرآن الكريم هناك آية تلخص موضوع الدين الإسلامى تقول الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ (الآية ١٣٦).

إيكيدا: بعبارة أخرى، فإن موضوعات الدين الإسلامى هى الله، ورسوله محمد، والقرآن الذى هو سجل للوحى الذى نزل على النبى، والتوراة لدى اليهود، والإنجيل لدى المسيحيين. قد يستغرب عدد من قرائنا أن المسلمين يحترمون الكتب اليهودية والمسيحية أيضًا.

طهرانيان: طبقًا للأسلوب الإسلامى فى التفكير، فإن اليهودية والمسيحية والإسلام تسمى ديانات بنى إبراهيم، لأن أصولها التوحيدية تعود لمؤسس واحد.

تؤمن هذه الديانات بالله. فالتوراة، كتاب رسالة موسى، هو الكتاب الذى يتضمن رسالة الله إلى البشر من خلال النبى موسى، كما أن الإصحاح الجديد، الإنجيل، هو رسالة الله أرسلها من خلال عيسى، وكتاب الزابور هو رسالة الله إلى البشر من خلال داود.

إيكيدا: التوراة والزابور والإنجيل، كل تلك الكتب هى أسماء للإصحاحات القديمة والجديدة، أليس كذلك؟

طهرانيان: القرآن هو استمرار للوحى الإلهى إلى أنبيائه من خلال نبيه محمد. لقد أرسل الله رسلاً عديدة لإرشاد البشر من آدم حتى محمد. ويسمى المسلمون اليهودَ والمسيحيين أهل الكتاب.

إيكيدا: لقد كان انتقاد الإسلام لليهودية والمسيحية مبنيا على أساس ضعف إيمان اليهود والمسيحيين بالله، وليس على أساس أنهم يعبدون إلهًا زائفًا.

طهرانيان: هذا صحيح، فالكتب اليهودية والمسيحية تتشابه مع الإسلام تشابهًا كبيرًا. ولهذا فاليهود والمسيحيون سيذهبون إلى الجنة طالما أنهم يعتقدون فى الله، وفى اليوم الآخر. ولكن ترى بعض المذاهب الإسلامية أن تفسير اليهود والمسيحيين لكتبهم المقدسة هو تفسير مخطئ؛ ولهذا أنزل الله تعالى القرآن لتصحيح العقائد الزائفة لديهم[٥٦].

إيكيدا: بهذا المعنى، فإن نزول الإسلام لم يكن يعنى نزول دين جديد، ولكنه كان بمثابة تصحيح لعقائد "أهل الكتاب" بدعوتهم إلى العودة إلى دين إبراهيم، وإلى إعادة تأكيد إيمانهم بالله. لقد كان إصلاحًا دينيا فى القرن السابع سبق إصلاحات مارتن لوثر بزمان بعيد.

---

(٥٦) يعتقد المسلمون أن اليهود والمسيحيين الذين عاشوا قبل ظهور الإسلام سيدخلون الجنة ما لم يكونوا قد حرفوا اليهودية والمسيحية، كما أنه بعد ظهور الإسلام سيدخل الجنة منهم من أمن بدعوة الإسلام.

طهرانيان: أفهم ما تقصده. فقد انتقد القرآن الكريم ممارسات المسيحيين واليهود فى سورة التوبة، الآية ٣١ التى تقول: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله الله هو سبحانه عما يشركون﴾.

إيكيدا: يقول هنرى كوربن[٥٧] (١٩٠٣ – ١٩٧٨) فى كتابه تاريخ الفلسفة الإسلامية، إنه لا توجد فى الإسلام سلطة كهنوتية تقوم بالوساطة بين البشر والله، ولا يوجد "أب"، أو سلطة بابوية ولا حتى مجلس مهمته اتخاذ القرارات فى المسائل العقيدية.

أريد أن أتأكد من تلك النقطة، هل الصحيح أنه لا يوجد سلطة دينية فى الإسلام تقف بين الإنسان والله؟

طهرانيان: هذا صحيح، لا توجد سلطة دينية تدرجية فى الإسلام. ليس لدينا أشياء مثل رئيس المعبد أو الكاتدرائية، وليس لدينا أشياء مثل مجلس الكنيسة الكاثوليكية المختص بالمسائل المتعلقة بالعقيدة الرسمية.

إيكيدا: هناك مساجد فى كل أنحاء العالم، فمن هو إذن المختص بإدارة تلك المساجد؟

طهرانيان: الكنائس المسيحية فى كل أنحاء العالم تحت سيطرة الفاتيكان، بينما يدير المساجد أفراد المجتمع المحلى الذى تقع فيه تلك المساجد.

إيكيدا: لدى سؤال آخر، هناك فى الإسلام طائفة من البشر تسمى "العلماء"، وهؤلاء قادة دينيون نراهم على شاشات التليفزيون من آن لآخر. أليس هؤلاء فى مكانة تشبه مكانة القساوسة ورجال الكهنوت؟

طهرانيان: من الصحيح أن "العلماء" يختصون بالبحث وبتفسير القرآن، كما أنهم يدرسون الدين للمؤمنين. إنهم يفعلون أشياء تشبه ما يفعله القساوسة ورجال الكهنوت

---

(٥٧) هنرى كوربن (١٩٠٣– ١٩٧٨) فيلسوف وعالم لاهوت، وأستاذ فى الدراسات الإسلامية فى جامعة السربون فى باريس. دافع عن مفهوم الوحدة الأساسية للديانات التوحيدية الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلام. كما درس فى جامعة طهران، وله العشرات من المؤلفات منها عن ابن سينا، وابن عربى، والصوفية الإيرانية.

فى المسيحية واليهودية، ولكنهم لا يعملون كوسطاء بين الله والبشر. كذلك لا توجد درجات بينهم، رغم أن وزن اجتهاداتهم ومدى الاحترام الذى يلقونه يختلف من شخص لآخر استناداً إلى مستوى علمهم. ولكن فى بعض فروع الإسلام مثل المذهب الشيعى، ظهرت طبقة متعددة الدرجات من رجال الدين. والعلماء فى الإسلام ممثلون للطبقات والجماعات المختلفة فى المجتمع. هم قادة فى مجتمعاتهم، ودورهم فى المجتمع هو التعبير عن آراء البشر الذين يمثلونهم.

إيكيدا: أرى ما تعنى، فقد أشار رسول المسلمين محمد إلى انحطاط الحاخامات اليهود، والقساوسة المسيحيين الذين رآهم.

طهرانيان: نعم، لقد فعل ذلك حقا، فقد جاء فى سورة التوبة، الآية ٣٤، ما يلى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذين آمنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(٥٨).

إيكيدا: إن انتقاد الإسلام للكهنوت الفاسد يذكرنى بإصلاحات مارتن لوثر(٥٩). ففى سعيه نحو "الإيمان فقط"، سعى لإنشاء علاقة مباشرة بين الله والبشر دون وساطة من الكنيسة أو الكهنوت، وسعى إلى العودة إلى الإنجيل. وبهذا المعنى اعتبرت أن ظهور الإسلام فى القرن السابع "إصلاحاً".

طهرانيان: هناك قدر كبير من الحقيقة فيما تقول، أوافق على ملاحظتك، فقد أكد الإسلام على المساواة بين المؤمنين أمام الله.

إيكيدا: "العودة إلى الأصول"، طالما أننا نتذكر دائماً دعوة رسول الله محمد، فإننا لن نقع فى فخ التعصب.

---

(٥٨) يشير إيكيدا وطهرانيان إلى آية قرآنية، ثم يضيفان أن رسول المسلمين هو الذى قالها. والآيات القرآنية عند المسلمين من عند الله، وليست من عند رسولهم، الذى هو واسطة لإيصال الآيات للبشر.

(٥٩) مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦)، مصلح دينى مسيحى أسس حركة الإصلاح الدينى التى عُرفت بالحركة البروتستانتية، وكانت فى جوهرها احتجاجاً على ممارسات الكنيسة الكاثوليكية، وبالذات فيما يتعلق بصكوك الغفران. أسفرت حركته عن تأسيس مذهب دينى جديد هو البروتستانتية.

لقد سعى المسيح، ومحمد، وشاكيامونى، إلى تحرير البشر. ولذلك، فقد ألهموا كل من هو فى ضائقة، وساعدوا المرضى. وقد فعل نيشرين الشىء ذاته. وإذا عدنا إلى نقطة البدء لدى هؤلاء المؤسسين العظام، فإننا سنستطيع أن نتغلب على الصراعات والاضطرابات .

وقد بدأت حركتنا، سوكاجاكاى، بالدعوة إلى "العودة إلى عصر دايشونين"(٦٠). ولكن لأن رجال الكهنوت كانوا شديدى التمسك بسلطتهم وهيبتهم، فقد فعلوا كل ما يمكنهم فعله لعرقلة حركتنا. وقد اعتاد معلمى والرئيس الثانى لحركة سوكاجاكاى، جوشى تودا، أن يقول "يمكن أن تُحل جميع المشكلات إذا ما اجتمع مؤسسو ديانات العالم ومدارسه الفلسفية، لكى يتحاوروا حول القضايا".

طهرانيان: غالبًا ما يظهر التعصب حينما تهتز ثقة البشر بعقيدتهم، فى ظل التحديث السريع أو ما شابهه من الظواهر، وقد قال المفكر الفارسى شمس الدين حافظ، "أفهم حرب الأمم الاثنين والسبعين. فقد فشلوا فى معرفة الحقيقة، وساروا فى طريق الأوهام".

إيكيدا: نظرا لأن الإسلام انتشر فى أقاليم متباينة، فإن مسلمى العالم يتسمون بخصائص مختلفة. وقد أوضح عالم الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكى كليفورد جيرتز(٦١)، إلى أى حد يختلف مسلمو المغرب عن مسلمى إندونيسيا. ما هو القاسم المشترك الأعظم الذى يجعل من هؤلاء المسلمين المختلفين مسلمين؟

---

(٦٠) نيشيرين دايشونين، راهب بوذى عاش فى الفترة من سنة ١٢٢٢ حتى سنة ١٢٨٢ فى اليابان فى مقاطعة أوا، وأسس ما عُرف باسم بوذية نيشيرين، مذهب بوذى يتضمن عدة مذاهب فرعية. والاسم نيشيرين دايشونين يعنى القديس العظيم نيشيرين. سبق أن عرفنا فى الهامش الأول من الفصل الثالث بوذية نيشيرين .

(٦١) كليفورد جيرتز (١٩٢٦ - ٢٠٠٦)، عالم أنثروبولوجيا أمريكى عمل أستاذًا فى جامعة برنستون، وبرز فى مجال "الأنثروبولوجيا الرمزية"، وهو العلم الذى يهتم بدور الفكر (الرموز) فى المجتمع، فالفكر يوجه السلوك، وله الفضل فى إعطاء علم الأنثروبولوجيا بعدا إنسانيا يتعلق بحياة الشعوب.

طهرانيان: يتفق المسلمون على أن للإسلام أسسًا خمسة هى: (١) الشهادة، وتعنى الشهادة أن "لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله". ويضيف الشيعة إلى تلك العبارة، "وعلى ولى الله"، ويقصدون بذلك على بن أبى طالب ابن عم الرسول عليه الصلاة والسلام وزوج ابنته فاطمة. (٢) الصلاة، وتعنى أداء الصلاة خمس مرات يوميا بمواجهة الحرم المكى الشريف، وذلك فى الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء. (٣) الزكاة، وتعنى إعطاء نسبة محددة من فائض الأموال للمستحقين. (٤) صيام رمضان، أى الصوم خلال الشهر القمرى رمضان، بالامتناع يوميا عن الطعام والشراب والتدخين والاتصال الجنسى من وقت الإمساك قبيل الفجر حتى غروب الشمس. (٥) الحج، أى الحج إلى مكة المكرمة مرة واحدة فى العمر، لمن استطاع إلى ذلك سبيلا.

إيكيدا: إذن، فهذه هى الممارسات الرئيسية للمسلمين.

إذا ظل الدين فى عصرنا مجرد شىء شخصى يهدف إلى تضميد الجراح الشخصية، فإنه سيتحول إلى شكل من أشكال الأنانية، لا يزيد عن كونه أداة للسلوى والتخفيف عن ذهن الإنسان. وإذا اقتصرت وظيفة الإيمان الدينى على مجرد تخفيف معاناة القادة المحاربين بحيث يستطيعون تركيز جهودهم على تحقيق النصر مرة أخرى، فإن مجتمعنا لن يتغير إلى الأحسن على الإطلاق. بالعكس، ففى الإسلام يمارس المسلم الإيمان فى سياق حياته اليومية. فهناك إذن بعد اجتماعى لهذا الدين.

طهرانيان: بالضبط، وكما قلنا آنفا، فإن هذا ما يميز البوذية أيضاً.

إيكيدا: من بين الأسس الخمسة التى أشرت إليها، فإن شهر رمضان، شهر الصوم، معروف لدينا جيداً. لا يمكنك حتى أن تشرب قدحاً من الماء خلال فترة الصوم. ومهما كانت قوتك أو ثروتك، فإنه لا يمكن إعفاؤك من هذا الالتزام. فالصوم مكتوب على الجميع.

طهرانيان: تنطبق هذه القاعدة على الجميع بصرف النظر عن المكانة الاجتماعية أو الثروة. هناك مساواة كاملة من أجل تطهير النظام الهضمى، وتذكير الأغنياء بمعنى الجوع.

إيكيدا: بالطبع، فإن المرضى والمصابين، والنساء الحوامل لا يلتزمون بالصوم فى شهر رمضان. بهذا المعنى، فالقاعدة ليست ملزمة للجميع فى شهر رمضان. كما أن الحج إلى مكة ليس ملزماً إلا لمن استطاع إليه سبيلا.

طهرانيان: نعم. وبالمناسبة هل حدث أن عشت فى دولة إسلامية خلال شهر رمضان!؟

إيكيدا: نعم. لقد كانت زيارتى الأولى لإيران خلال شهر رمضان. بالنسبة لبعض مدمنى العمل كاليابانيين والأمريكيين، قد يبدو أنه من المستحيل أن يعمل المرء ومعدته خاوية أثناء فترة الصوم. ولكن أعتقد أنه من المفهوم أن يكون للمرء وقت مقدس فى حياته اليومية، وأن يغرس "ضبط النفس" فى مجتمع يحكمه اقتصاد السوق حيث يحكم "طلب المستهلك" السوق بأكمله.

حينما زرت دولاً إسلامية خلال شهر رمضان، كنت أتخوف أن يبدو الناس متجهمين وغير ودودين، ولكن بالعكس وجدت المناخ متسما بالبهجة إلى حد كبير.

طهرانيان: فى ذلك الشهر تصبح أكثر وعيا بدينك. ويقول بعض الناس إنه يتولد لديهم شعور بالإنجاز. ففى غمار الحياة اليومية، يمكن أن ينشأ لدينا شعور بالخمول، ولكن شهر رمضان يغرس فى المسلمين شعوراً بالتناغم. أتذكر حينما كنت فى الخامسة عشرة، وهو سن المراهقة لدى الأطفال المسلمين، كيف كنت متشوقاً لمشاركة عائلتى فريضة الصوم. كنا نستيقظ قبيل الفجر لتناول السحور، ولأداء الصلاة. كان لدينا شعور بالبهجة لأداء تلك الشعائر.

إيكيدا: إحدى العلامات المرتبطة بالإسلام هى أن المسلم يمكنه أن يؤدى الصلاة فى أى مكان يوجد به. فالمسلمون صغارا وكبارا، رجالاً ونساء نشاهدهم يسجدون على سجادة للصلاة سواء فى المسجد أو فى المكتب، أو حتى فى الجامعة.

طهرانيان: هم يصلون فى اتجاه الكعبة التى تقع فى مكة المكرمة. ففى المسيحية والبوذية، هناك أديرة وكنائس يصلى فيها الناس فى اتجاه شىء ماثل أمامهم يقومون

بعبادته. أما فى الإسلام، فحتى إذا كنت فى المسجد، فأنت توجه صلاتك فى اتجاه مكة عبر جدران المبنى الذى تصلى فيه. إن سبب هذه الممارسة فى الإسلام هو التأكيد على النفى الكامل لعبادة الشىء، وهو فارق جوهرى بين المسلمين وغيرهم من اتباع الديانات الأخرى. فى أى مسجد تجد تجويفًا فى الحائط يوجه المصلى إلى اتجاه مكة المكرمة.

إيكيدا: نرى فى الأفلام التليفزيونية الوثائقية عن العالم الإسلامى، مشهد الأذان المتصاعد من المئذنة فى ساعة الفجر، حيث يتضمن الأذان دعوة المسلمين إلى الصلاة، "حى على الصلاة"، "حى على الفلاح"، "الصلاة خير من النوم"، هذه الكلمات التى استمعت إليها ساعة الفجر تركت أثرًا لا يمحى فى عقلى. دعنى أسألك عن شىءٍ آخر، ماذا يقول المسلمون فى صلاتهم؟

طهرانيان: نقول "الله أكبر"، ثم "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، باللغة العربية.

إيكيدا: هذه هى الكلمات ذاتها التى تقولها عندما تعلن إيمانك بالإسلام. معنى ذلك أن أصوات الأذان، ومقولات إعلان الإيمان، هى مقولات تنطق باللغة العربية، أليس كذلك؟

طهرانيان: هذا صحيح. فاللغة العربية لغة عالمية. نحن نحيى بعضنا الآخر بالقول، "السلام عليكم".

إيكيدا: كما أتذكر أنكم تقولون "السلام عليكم" لمن هو على يمينك ولمن هو على يسارك عند الانتهاء من الصلاة. هل هذا صحيح؟

طهرانيان: نعم. إن صلاتنا ترمز إلى توجه ماورائى، يواجه بموجبه المسلم ربه فى علاقة ثنائية مباشرة، وإلى توجه اجتماعى ينظر بموجبه المسلم إلى الآخرين نظرة ملؤها العطف القلبى.

إيكيدا: إن الحديث عن الصلاة يذكرنى بموقف طريف، فقد شاهدت امرأة يابانية، صديقها المسلم يصلى كل يوم عدة مرات، فتعجبت عن السبب الذى من أجله يفعل ذلك. فقد ظنت أن هناك معضلة كبيرة تؤرق حياته. وأخيرا سألته "ماذا تطلب من الله؟

النجاح فى الامتحانات؟" جاءت الإجابة فى شكل تأنيب، "أنت لا تسأل الله معروفا، هذا ليس من الصلاة".

طهرانيان: الصلاة تؤدى امتثالا لأوامر الله، وهذا يختلف عن الدعاء، أى طلب المعروف من الله تعالى، ويمكن أن يحدث الدعاء أثناء الصلاة، وهو أمر مفيد يقرب المسلم من الله تعالى. وفى كل الحالات، فإن الصلاة تتم امتثالا لأوامر الله ولتحقيق السلام.

إيكيدا: أفهم ذلك. ما هو مهم بالنسبة للموقف الذى سبق أن أشرت إليه هو أن اليابانى غالبًا ما يصلى لشىء مقدس لتحقيق النجاح فى الامتحانات، أو لتحقيق السعادة لأسرته فى رأس السنة. إن المثل الشعبى الذى يقول: "المرء يتجه صوب الله فقط عندما يواجه معضلة"، ينطبق على كل من ينسون الله والصلاة بمجرد تحقيق ما ينشدونه. وفى هذا الإطار فإن الزيارات التى تتم عند قدوم العام الجديد للمعابد والمزارات، هى معظمها زيارات رمزية، أو روتينية أكثر منها صلوات مخلصة أو نابعة من القلب. وفى هذا السياق فإن من يؤدون الصلاة يوميا يعتبرون "أشخاصًا ضعفاء يلتمسون العون من الآخرين".

وفى مجتمع يعج بهذه الأفكار، فإن سوكاجاكاى بلورت لعدة سنوات حركة يصلى فى إطارها الأعضاء يوميا فى تعبير مخلص عن إيمانهم.

طهرانيان: أتفهَّم ما تقوله تماما؛ فالوعى الذى يصحب الصلوات يجعلنا نتفهم مزايانا، واحتياجات الآخرين.

نحو نموذج للتعايش بين الحضارات

طهرانيان: بعد وفاة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، تكونت الدولة الأموية سنة ٦٦١[٦٢]، ثم حلت محلها الدولة العباسية سنة ٧٥٠، وقد استمرت الأخيرة حوالى خمسمائة عام.

---

(٦٢) الدولة الأموية، هى الدولة الإسلامية الأولى بعد نهاية حكم الخلفاء الراشدين، والتى تأسست فى دمشق سنة ٦٦١م على يد معاوية بن أبى سفيان، وحملت لواء الخلافة الإسلامية. أرست تلك الدولة مبدأ الوراثة فى تولى السلطة، وميزت العناصر العربية فى الدولة عن العناصر الأخرى. وفى عهدها توسعت الدولة الإسلامية لتضم شمال إفريقيا وشبه جزيرة أيبريا، انتهت الدولة سنة ٧٥٠ على يد العباسيين.

اتسمت الدولة الأموية، بسيطرة العناصر العربية على العناصر غير العربية، فقد فرضت الدولة ضرائب باهظة على الشعوب غير العربية المتحولة إلى الإسلام، وميزت العرب عنهم اجتماعيا. أما الدولة العباسية فلم تميز بين العرب وغير العرب، وفى ظلها كان معيار المكانة هو ما إذا كان الشخص يعتقد فى الله ورسوله. وبالتالى فقد تبوأت العناصر غير العربية، الفرس والأتراك، مناصب السلطة الحكومية. وكما ترى، فقد جسدت الدولة العباسية المفهوم الإسلامى القائل إن الناس سواسية أمام الله سبحانه وتعالى، وهو المفهوم الذى يجسد روح رسالة القرآن الكريم.

إيكيدا: أعلم أن بعض الدارسين يصنف الدولة الأموية على أنها إمبراطورية عربية، والدولة العباسية على أنها إمبراطورية إسلامية. ولهذا التصنيف معنى منطقى.

أريد أن أسألك، كيف انتشر الإسلام فى ظل الدولة العباسية إلى الشعوب غير العربية؟ يبدو لى أن الإسلام انتشر بقوة خلال الفترة العباسية لأنه أصبح دينا عالميًا ليس فقط من الناحية المفهومية ولكن أيضًا كحركة تاريخية.

طهرانيان: يتصور الكثيرون أن الإسلام هو "دين الصحراء" وأنه "دين عربى"، ولكن لكى أوضح لك إلى أى حد انتشر الإسلام خارج إطار العالم العربى، دعنى أذكر لك رقمًا واحدًا، وهو أن عدد مسلمى العالم حوالى ١,٤ مليار نسمة وأن ٢٩٠ مليون منهم فقط عرب. لقد انتشر الإسلام بسرعة شديدة خلال القرن الأول لظهوره من شبه الجزيرة العربية، إلى آسيا، وإفريقيا، وأوروبا.

إيكيدا: هذه الأرقام دليل دامغ على عدم صحة الصور النمطية التى طورها الاستشراق عن الإسلام. لكى أعطيك مثالاً آخر، دعنى أذكر لك أنه فى فرنسا، فإن الديانة الكاثوليكية هى الأكثر انتشارًا، ولكن الإسلام، وليس البروتستانتية، هو الديانة الكبرى الثانية من حيث الانتشار فى تلك الدولة. نحن فى حاجة إلى إزالة الصور المزيفة عن الإسلام على أنه دين الصحراء أو أنه ديانة للعرب وحدهم، وذلك فى أسرع فرصة ممكنة.

طهرانيان: أوافق على ذلك. لقد كان من الممكن أن يتخذ الإسلام المسار ذاته الذى اتخذته بعض الديانات ليصبح دينًا "قبليا"، أو "قوميا". كان من الممكن أيضا أن يصبح دينًا عربيا بحتًا، ولكنه لم يأخذ أيا من تلك المسارات.

إيكيدا: هذا صحيح تماماً، ولكن كيف انتشر الإسلام فيما وراء حدود القبلية، أو العرق؟

طهرانيان: لقد أصبح الإسلام ديناً عالميا لأسباب كثيرة. أولها أن القرآن ينص على: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات، الآية ١٣).

إيكيدا: تريد أن تقول إن القرآن ذاته هو مصدر عالمية الإسلام، فطالما أن الإسلام مبنى على الوحى الإلهى، فإن رسالة القرآن ليست مجرد رسالة نظرية أو مبدأ مجرد ولكنها هدف ينبغى أن يسعى إليه الجميع.

طهرانيان: بالضبط. العامل الثانى وراء عالمية الإسلام هو أن انتشاره السريع داخل الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية أدى إلى وصوله إلى مجموعات عرقية ودينية عديدة أخرى.

إيكيدا: من الصور الشائعة عن الإسلام أنه انتشر عن طريق إجبار المجموعات العرقية والدينية الأخرى على الاختيار بين "السيف أو القرآن". ولكن أى حكم تسلطى مبنى على القوة لا يصمد طويلاً، حتى إذا بدا أنه نجح فى المدى القصير. من خلال ما قلته، من الواضح أن التفاعل مع مجموعات وتقاليد عرقية ودينية متعددة جعل تنوع الثقافات فى الإسلام أمراً ممكناً.

طهرانيان: هذا صحيح، لقد أسس العباسيون دولتهم على مبدأ التسامح مع التنوع الثقافى. لقد سبق أن تحدثنا فى حوارنا عن تنوع الحضارة الإسلامية، وأشرنا إلى أمثلة محددة. ولكن دعنى هنا أذكر لك أمثلة أخرى. لقد كان ابن رشد أحد الفلاسفة الأرسطيين الذين أثروا إلى حد بعيد فى علم اللاهوت الأوروبى فى العصور الوسطى. وكان ابن رشد مسلما ولد فى قرطبة، وهى مسقط رأس الفيلسوف الرومانى سينيكا(٦٣)،

(٦٣) سينيكا لوسيوس (٤ ق. م - ٦٥م)، فيلسوف وسياسى وأديب رومانى، كان من ألمع الكتاب فى العصر الفضى للأدب الرومانى، ولد فى قرطبة وتأثر بفكر الرواقيين وطوره واعتبر أحد قادة فكرهم، وعمل مدرسا لنيرون الذى أصبح إمبراطوراً للدولة الرومانية سنة ٥٤م، ولكنه اتُهم بمحاولة اغتياله، وتوفى منتحراً بناء على أمر الإمبراطور. أثر أسلوبه الأدبى على الأدب الأوروبى فى عصر النهضة.

والقسيس والعالم المسيحى هوسيوس[٦٤]، والحاخام اليهودى ميمون[٦٥]، بالإضافة إلى آخرين. كانت قرطبة مكانًا تتفاعل فيه الحضارات وتختلط.

إيكيدا: لقد كانت قرطبة واحدة من المدن الثلاث الكبرى فى العصور الوسطى، بجانب القسطنطينية، وبغداد.

طهرانيان: هناك مسجد مشهور فى هذه المدينة كان يصلى فيه المسلمون يوم الجمعة، والمسيحيون يوم الأحد، وذلك حينما كانت إسبانيا تحت حكم المسلمين. كذلك كانت قرطبة مركزًا تجاريًا ينشط فيه التجار اليهود. لقد كانت المدينة برهانًا تاريخيًا حقيقيا على أن الديانات المختلفة يمكن أن تتعايش جنبًا إلى جنب، وأن تزدهر سويًا. ولم تكن قرطبة استثناء. فقد كانت هناك نماذج أخرى، لعل من أهمها سيراييفو فى البوسنة والهرسك.

إيكيدا: بمناسبة سيراييفو، فقد كتب إيفو أندريتش[٦٦]، الأديب اليوجوسلافى الحائز على جائزة نوبل فى الأدب سنة ١٩٦١ يقول:

"فى جوف الليل فى سيراييفو. دقت ساعة الكاتدرائية الكاثوليكية دقتين بكل وقار. وبعد حوالى دقيقة، أعلنت ساعة الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية الوقت بكل هدوء. وبعد لحظة، صنعت ساعة برج المسجد الإسلامى صوتا قويا مشيرة إلى أن الساعة بلغت الحادية عشر فى مكة. أما اليهود، الذين لا تحمل معابدهم أى ساعات أبراج، فإنهم يعيشون طبقًا لوقتهم هم".

---

(٦٤) هوسيوس (٢٥٦ – ٣٥٨) أسقف قرطبة، وكان من كبار المدافعين عن المسيحية الكاثوليكية فى المناظرة الآرية التى قسمت الكنيسة فى القرن الرابع .

(٦٥) موسى بن ميمون (١١٣٥ – ١٢٠٤) فيلسوف وعالم طبيعة يهودى ، ولد فى قرطبة بإسبانيا، وهاجر منها إلى القاهرة بعد استيلاء الموحدين على قرطبة سنة ١١٤٨، وعمل طبيبًا لصلاح الدين، سلطان مصر والشام أنذاك. وقد أهلته مساهماته فى الفكر اليهودى لأن يسمى، "موسى الثانى" كما أهلته مساهماته الفلسفية لكى يُعد أحد أعظم فلاسفة العصور الوسطى، وأثر فى كثير من الفلاسفة وفى مقدمتهم سان توماس الأكوينى.

(٦٦) إيفو أندريتش (١٨٩٢ – ١٩٧٥) قصصى يوجوسلافى ولد فى البوسنة، وعمل دبلوماسيا فى وزارة خارجية يوجوسلافيا بعد تأسيس الدولة سنة ١٩١٩، واشتهر بكتابة القصة القصيرة، وحصل على جائزة نوبل فى الأدب سنة ١٩٦١ .

لقد علمت أنه فى يوجوسلافيا بنى المسلمون كنيسة لجيرانهم الكاثوليك عندما لم تمكنهم قدراتهم المالية من بنائها بأنفسهم.

طهرانيان: إن النثر الذى كتبه أندريتش يشهد بشكل رائع على تعايش عناصر مختلفة، وعلى التفاوت بين العناصر المتعايشة. وهناك العديد من المدن فى أوراسيا تتسم بالسمات ذاتها.

إيكيدا: لقد قدم الأديب الإسبانى خوان جويتسلو[٦٧] فى روايته مذكرات سيراييفو، صورة حديثة لهذه المدينة البلقانية، رغم أن معظم الرواية مخصص للمآسى التى حدثت فيها بعد انتهاء عصر التعايش فى تلك المدينة.

فى مقابلة مع محطة تليفزيون يابانية تحدث جويتسلو بهدوء عن التنوع الدينى فى سيراييفو. فهى من أكبر المدن الإسلامية فى البلقان. ولكن الأديب الإسبانى كان مندهشًا من التجاور بين المسجد الإسلامى والمعبد اليهودى والكنيسة الأرثوذكسية.

وعلى مستوى الحياة اليومية للبشر، فإن التعايش الدينى ممكن. فقد كانت سيراييفو ومدن أخرى كثيرة فى يوجوسلافيا – وفى أماكن أخرى تمزقها الآن الحروب الدينية الدموية – كانت حتى وقت قريب نماذج للتعايش الدينى، فقد تشارك المؤمنون بديانات مختلفة فى كثير من الأشياء.

التركيز على الحياة اليومية للبشر

إيكيدا: يشير تسونيسابورو ماكيجوتشى، الرئيس المؤسس لحركة سوكا جاكاى والجغرافى النابه، فى أطروحته الأشهر، جغرافية الحياة البشرية، إلى أن شعوب البحر تتسم عمومًا بالانفتاح والتسامح. ذلك أن لتلك الشعوب تاريخ طويل من الاتصال بين الثقافات.

(٦٧) خوان جويتسلو روائى إسبانى، ولد سنة ١٩٣١، ناقش فى رواياته القضايا الوجودية التى يعانى منها المجتمع الإسبانى، وذلك بشكل واقعى يمس مصالح مختلف الطبقات الاجتماعية، خلافًا لمعاصره أورتيجا جازيت الذى اتهمه جويتسلو بتوجهه النخبوى.

وأعتقد أن المدن التى تقع فى واحات الصحارى تشبه المدن البحرية. فالصحراء تعادل المحيط، وواحاتها هى موانيها، وجمالها هى سفنها، وقوافلها تشبه أسطولاً يمخر عباب البحار.

طهرانيان: إن هذا التشبيه صحيح تماماً، والصورة التى نقلتها هى مرآة للواقع.

إيكيدا: إن سكان المدن - أو الواحات متصلون دائمًا بالثقافات وبالمجموعات العرقية الأخرى، فقد شجعوا تلك الاتصالات واستفادوا منها. وقد انتشر الإسلام فى فارس ومصر من خلال الطرق التى كانت تربط بين الواحات آنذاك (الموانى)، والتى كانت منتشرة فى الصحارى الواسعة (البحار). وقد أدى اعتماد المسلمين على تلك الطرق، إلى اتسام الإسلام بخصيصتى العالمية، والتنوع الثقافى.

طهرانيان: ورغم ذلك، فإنه من الصحيح أيضًا أن العرب الأوائل قد اتسموا بعدم التسامح وعزل الآخرين. فقد عامل الفاتحون العرب غير المسلمين بقسوة.

إيكيدا: يمكن أن يتسم البشر بالحمق والقسوة فى أوقات معينة، كما يمكن أن يتسموا بالحكمة والتسامح فى أوقات أخرى. ويمكن أن يكون البشر شديدى الضعف إلى حد ارتكابهم الجرائم، ولكن البشر أيضًا يؤدون بامتياز أعمالاً نبيلة. إنها أعجوبة أن تكون إنسانا.

طهرانيان: يعلمنا التاريخ أن كل الأمم تقريبًا قد تصرفت بأخلاق الفرسان فى أوقات معينة وبأخلاق القساة فى أحيان أخرى.

إيكيدا: أخذًا ما قلته فى الاعتبار، فإننا يجب أن نتعلم من التاريخ الأهمية المحورية للعلاقات والمبادلات اليومية. فسواء فى سيراييفو أو فى قرطبة، فقد اعتادت الشعوب التى تؤمن بديانات مختلفة أن تعيش بسلام جنبًا إلى جنب.

طهرانيان: أحيانا ينسى البشر حقيقة أساسية فى الحياة وهى أنهم يمكن أن يندفعوا بسيكولوجية الجماعة نحو العداء والصراع تجاه بعضهم الآخر.

إيكيدا: يرتبط بفكرة التعايش، غرامى بصخب السوق. ولا أعنى بالسوق هنا السوق المالى الذى تتبادل فيه بلايين الدولارات فى آن واحد بمجرد كتابة أرقام معينة

على لوحة أرقام الحاسب الآلى، ولكن ما أقصده هو ما يعرف بالفارسية "البازار"، أو بالعربية "السوق"، وهو المكان الذى ينبض بالحياة، ويجسد التشارك والتعايش. هناك تجد الابتسامات الودودة لرجل مسن وزوجته العجوز وهما يديران متجراً صغيراً. وهناك تقابل أشخاصاً غرباء عنك تماماً ولكنهم كرماء وعطوفون.

طهرانيان: هذه الأسواق توجد فى كل مكان من العالم الإسلامى. لقد شاهدت بازاراً نابضاً بالحياة على أطراف مدينة عشق أباد عاصمة تركمانستان. بالعكس، كانت المخازن الحكومية فى المدينة خاوية وميتة.

إيكيدا: لست متيماً "بالأيام الخالية المجيدة"، ولا أريد الانخراط فى نوع من الرؤية الدخيلة التى طالما انتقدها إدوارد سعيد. كل ما أريد أن أقوله هو أنك حينما تركز على الحياة اليومية للبشر، فإنك تبدأ فى تفهم إمكانية التعايش بين الثقافات المختلفة. إن قرطبة، وسيراييفو، المدينتين اللتين تحدثنا عنهما، هما مخزون ثرى للحكمة الإنسانية، وينبغى أن نتعلم منهما دروساً حول كيف يمكن أن تتعايش الجماعات المختلفة سوياً؟

طهرانيان: هذا بالضبط ما يجب أن نتعلمه، نحن أبناء الجنس البشرى، أو بالأدق ما يجب أن نتذكره فى هذه الحقبة من التاريخ.

العامل الإنسانى

إيكيدا: يُقال إن العصور الحديثة بدأت مع المقولة الديكارتية(٦٨) "أنا أفكر، إذاً أنا موجود". معنى ذلك أن الفكر الإنسانى والعقل يؤكدان الوجود الإنسانى؛ أى أن التفكير يسبق الوجود.

طهرانيان: لقد سبق ذلك عبارة "أنا أشك، إذاً أنا أفكر"، ثم "أنا أفكر، إذاً أنا موجود". لقد فتحت عبارات ديكارت للبشر إمكانية الشك والتفكير بحرية ودون قيود.

---

(٦٨) رينيه ديكارت (١٥٩٦ – ١٦٥٠)، فيلسوف وعالم رياضيات فرنسى يسمى أحياناً "با الفلسفة المعاصرة" ومن أهم إسهاماته تقديمه للأساليب العلمية الاستنباطية العقلانية ، وأن الشىء لا يتم قبوله إلا بعد إثباته بتلك الأساليب فى إطار المفهوم الذى قدمه "أنا أفكر إذاً أنا موجود".

ولكن هذه الحريات قادت البشر إلى حملات لا حصر لها من القتل تحت ستار الدفاع عن مصلحة أو أيديولوجية معينة.

إيكيدا: إننى أفهم عبارة "أنا أفكر، إذًا أنا موجود" بالمعنى العكسى، "أنا موجود، إذا أنا أفكر" وهى عبارة قالها سان توماس الأكوينى[٦٩]، أعظم فيلسوف فى العصور الوسطى المسيحية، والذى كان متأثرًا بالفلسفة الإسلامية. هذه العبارة تدلنا على المعنى الحقيقى للحياة، "أنا أكون"، و"أنت تكون". هذه المفاهيم تدل على قيمة الحياة التى لا يمكن لأحد أن ينكرها.

إن أية فكرة أو فلسفة أو دين تصبح ذات وجه واحد، إذا تم نزعها من سياقات واقع الكائنات البشرية، والحياة اليومية للبشر. لقد حان الوقت لكى نعيد تأكيد الوزن الفعلى للحياة البشرية فى كل المجالات: العلم، والتكنولوجيا، والاقتصاد، والطب، والسياسة، وهكذا.

طهرانيان: من الممكن أن نقول إن الإسلام قد ازدهر فى الحقبة العباسية لأنه أظهر اهتمامًا كافيا بالقضايا الحقيقية للبشر. كذلك فالزكاة، وهى واجب دينى، أصبحت تعنى من الناحية الفعلية مساعدة اليتامى والأرامل والفقراء. والافتراض المستتر خلف ذلك كله هو السعى لبناء عالم مثالى على وجه الأرض، فى الوقت الذى يقوم فيه البشر بواجباتهم الدينية.

إيكيدا: رغم أن البوذية ليست ديانة توحيدية، فإنها تحمل فى طياتها معانى مشابهة. "فالبوديسوتفا[٧٠] يَسْمُون بأنفسهم من ناحية، ولكنهم من ناحية أخرى

---

(٦٩) سان توماس الأكوينى (١٢٢٥ - ١٢٧٤) فيلسوف وراهب إيطالى، حصل على الدكتوراه فى اللاهوت سنة ١٢٥٦، وعُين أستاذًا للاهوت بجامعة باريس، من أهم مساهماته فى الفكر الفلسفى تأكيده على التكامل بين العلوم العقلية، والإيمان الدينى.

(٧٠) بوديسوتفا، مصطلح سنسكريتى يشير إلى الشخص الذى يتميز بسمو روحه واستنارته، وكان المصطلح يشير فى البداية إلى بوذا وجواتاما. وفى بوذية ماهيانا يشير المصطلح إلى الشخص الذى مر بالمراحل العشر للسمو الروحى الخالص، ولكنه يؤخر الحصول على المكافأة النهائية، ثيريفادا، للعمل على إنقاذ البشر. وفى العادة يشير المصطلح إلى تجسيد لفضائل بوذا.

يهبطون إلى مستوى غير المستنيرين لإنقاذهم". بعبارة أخرى، بينما يسعى البوديسوتفا إلى التنوير، فإنهم يبذلون قصارى جهدهم لتحسين الظروف الفعلية للمجتمع باعتبار أن ذلك هو قمة التعبير عن حكمة بوذا.

طهرانيان: فى قصيدة شعرية جميلة بعنوان "مؤتمر الطيور" للشاعر الصوفى فريد الدين العطار(٧١)، الذى عاش فى القرن الثانى عشر، يقدم الشاعر استعارة ذات دلالة لتصوير أفراح وأتراح الرحلة الروحية للإنسان. كما قلت آنفا، فإن الصوفية تأثرت كثيرًا بالبوذية.

إيكيدا: يقال إن فريد الدين العطار كان من معلمى جلال الدين الرومى، هذا الشاعر والمفكر الصوفى العظيم. أريد أن أستمع إلى القصة، وقصيدة الشعر التى أشرت إليها.

طهرانيان: لقد اجتمعت كل طيور العالم فى شكل مؤتمر لكى تتناقش حول مكان وجود إلهها الأسطورى شمروخ (العنقاء). وقد قاد الهدهد المناقشة موضحًا أنه يعرف أين يعيش شمروخ فى مرتفعات الجبال. ولهذا فقد تبعت الطيور الهدهد فى رحلة طويلة مروا خلالها بأودية سبعة سميت باسم مراحل التطور الروحى للصوفية.

إيكيدا: البحث عن الحقيقة يتحول إلى قصة مغامرة، وهذا جانب مهم من الحضارة الإسلامية يدور حول التبادل والتجارة. ما هى تلك الأودية السبعة؟

طهرانيان: تستمر الطيور فى رحلتها عبر أودية الحب، والمعرفة، والدهشة، والقناعة، والثروة، والفقر(٧٢). وعبر الرحلة الطويلة تخرج بعض الطيور عن المسار لأعذار مختلفة، كأن تدعى أنها شاهدت أشياء أخرى، أو أنها تعبت.

---

(٧١) فريد الدين العطار (١١٤٥ – ١٢٢١) هو فريد الدين محمد بن إبراهيم العطار، ولد فى نيسابور (خراسان حاليا) شاعر فارسى ذو توجهات صوفية. ومن أهم مؤلفاته كتاب "مؤتمر الطيور" (منطق الطير)، وهو عمل شعرى يجسد التوحد بين الإنسانى والإلهى.

(٧٢) تحدث طهرانيان عن ستة أودية فقط بينما أشار فى الحوار إلى سبعة أودية، وربما كان الوادى الأخير هو الوادى السابع المقصود.

إيكيدا: قصة مدهشة حقًا، الطيور تقرر الخروج من الرحلة لأسباب متعددة، إن ذلك يظهر مدى عمق فهم الشاعر لتنوع البشر.

طهرانيان: وحينما وصلت الطيور إلى قمة الجبل كان من المفترض أن يوجد شمروخ، ولم يكن قد بقى من الطيور سوى ثلاثين. فنظرت تلك الطيور حولها!

إيكيدا: ولم يكن شمروخ هناك.

طهرانيان: هذا صحيح، نظرت الطيور حولها، ولم تجد إلا ذواتها، شمروخ. وفى اللغة الفارسية تعنى كلمة شمروخ ثلاثين طائرًا، وهذا تلاعب رائع بالكلمات. ولكن من خلال تلك الاستعارة، فإن العطار يعلمنا أن الألوهية تكمن فى الترابط بين شتى مناحى الحياة. ولهذا، فإن "نحن" إنما تعنى "أنا".

إيكيدا: يمكن أن نجد استعارة مشابهة أيضًا فى الروايات البوذية. فالمثل الأعلى ليس شيئًا موجودًا بعيدًا عن متناولنا. إنه يكمن فى عملية البحث عن هذا المثل. وتعلمنا البوذية أن "عالم الساحة"[٧٣] هو "أرض الضوء الهادئ إلى الأبد" هذا العالم ملىء بالمعاناة، ولكن الطريقة التى يتحمل بها البشر هذه المعاناة، هى طريقة بوذا.

وهناك أيضًا فكرة أخرى فى البوذية، وهى أن الرغبة الدنيوية تعادل الاستنارة. ذلك أن عدم وجود المعاناة لا يعنى السعادة. وتكمن عظمة أن تكون إنسانًا فى التغلب على المعاناة.

طهرانيان: أفهم ذلك. إذا أردنا أن نوفق بين الإيمان الدينى، والمجتمع الحقيقى، يجب أن نبدأ فى فهم ما تُعلمنا إياه الاستعارة التى أوضحتها، والفلسفة البوذية التى شرحتها لى.

إيكيدا: أتفق معك تمامًا على ذلك، فى إحدى قصائد الشاعر البنغالى العظيم رابندرانات طاغور فى ديوانه "جيتانجالى"، يقول:

---

(٧٣) عالم الساحة مصطلح بوذى يشير إلى المعاناة والمثابرة.

دع هذه الترانيم، والأغانى، وروايات حبات الخرز.

حينما يعبد الناس ربهم فى هذا الركن المظلم المقفر لمعبد أغلقت أبوابه.

فحينما تفتح عيونك لترى الله، فإنك لا تجده أمامك.

فهو هناك فى كل مكان حيث يحرث الحارث الأرض القفر.

وحيث يقوم صانع الطرق بتحطيم الصخور.

فالله معهم فى الشمس وفى الظل.

وفى كل من تغطى ثوبه بالتراب.

انزع هذا الحجاب المقدس، واهبط مثله إلى خيث الأرض المتربة.

ما أراه فى هذا الشعر هو تناغم كامل بين الإنسانية الحديثة والمعتقد الدينى. والحق أن أسلوب البوديسوتفا فى بوذية ماهايانا ينطلق من الروح ذاتها.

طهرانيان: هذا صحيح، فالعلمانية الحديثة والإيمان الدينى ليسا بديلين متعارضين. بالعكس، بدون الإيمان الدينى، فإن مستقبل الحداثة يصبح قاتما.

إيكيدا: لقد قال ماهاتما غاندى شيئًا مماثلاً، وللأسف، فقد برهنت خبرة القرن العشرين على صحة هذا القول.

طهرانيان: نعم. فبدون البوصلة الروحية والمعنوية التى تقدمها معظم الديانات، فإن العالم الحديث يمكن أن يدمر ذاته من خلال التلوث، والاكتظاظ السكانى، والحروب النووية، والبيولوجية، والكيميائية، أو الموت البطىء فى أتون الفقر الروحى والمعنوى.

إيكيدا: لقد كانت راشيل كارسون(٧٤) واحدة من أوائل العلماء الذين حذروا من خطورة الأزمات البيئية فى عصرنا. وقد استعملت مصطلح "الشعور بالدهشة"، وهو

---

(٧٤) راشيل كارسون (١٩٠٧ - ١٩٦٤) كاتبة أمريكية تخصصت فى علوم الأحياء المائية، وألفت عددا من الكتب عن عالم البحار، حصلت على جوائز عديدة، كما دافعت عن حماية البيئة، وفى كتابها "الربيع الصامت" الصادر سنة ١٩٦٢ عارضت استعمال المبيدات الكيميائية.

المصطلح الذى أفسره على أنه يعنى "الشعور بالهيبة" تجاه الآخرين وتجاه المجهول، هذا هو الشعور الذى نفتقده فى عصرنا. فنحن نعتقد أن كل شىء قابل للتنبؤ، وأنه ليس ثمة شىء نعتقد أنه مجهول أو لا يمكن سبر غوره. نعتقد أن البشر قادرون على الضبط والتأثير على كل شىء.

طهرانيان: هذا هو بالضبط أساس النزعة الإنسانية العلمانية. ولكن النزعة الإنسانية تخاطب المعضلات الكبرى لمصائر البشر، أى نهايتنا، وقابليتنا للانكسار، وضعفنا المعنوى، وهى أمور يتداركها الإيمان الدينى. ولهذا فإن هذا الإيمان يجذبنا ويسحرنا.

إيكيدا: بدلا من احتقار الآخرين ومعاداتهم، يجب أن ننظر إلى كل ما حولنا بشعور من الإعجاب والورع، عندئذ نشعر "بجاذبية الوجود"، و"معنى الحياة". ولكى نحتفظ بهذا الشعور حيا ونقيا، فإن التواصل الدينى مع كل ما هو سرمدى، وكل ما يتخطانا، يصبح أمراً حيويا.

طهرانيان: أجد نفسى فى اتفاق كامل معك حول ما قلت.

الفصل الخامس

الانبعاث الروحى والدينى

إيكيدا: أوضحت مراراً فى هذه الحوارات أن التواصل مع الدين يضعف باستمرار فى عصرنا، وبالذات لدى الأجيال الناشئة. هل هذه الظاهرة موجودة أيضاً فى الدول الإسلامية؟

طهرانيان: حسناً، من الملاحظ أنه فى الدول الإسلامية فإن الأجيال الناشئة تكون أكثر اهتماماً بدراسة الإسلام، وممارسة العبادات الدينية من الأجيال السالفة.

ولكن للغرابة، فإنه فى حالة إيران، برغم أن رجال الدين يمارسون السلطة، فإن الناس أكثر انتقاداً لإساءة استعمال تلك السلطة لتحقيق أهداف سياسية.

إيكيدا: علمت أن عدداً من المسلمين الشبان الذين درسوا فى أوروبا أو الولايات المتحدة عادوا إلى أوطانهم يملؤهم الغضب من الحضارة الحديثة، وعادوا إلى تقاليدهم الإسلامية.

فالروح الدينية فى اليابان والغرب تخبو بشكل واضح، ويزداد انجذاب أعداد غفيرة من الشباب إلى السحر والشعوذة.

طهرانيان: هذا صحيح، رغم أن هذا يبدو غريباً فإن الاعتقاد الشعبى فى السحر والشعوذة يزداد كلما ازداد التقدم العلمى، ويبدو لى أنه رغم أن الثقة فى المؤسسات الدينية تتراجع، فإن الشوق إلى القيم الروحية يزداد.

إيكيدا: كان من المفترض أن يقودنا التقدم العلمى والتكنولوجى إلى خروجنا من

ربقة الجهل البشرى ودخولنا فى مستقبل زاهر، ولكن إلى ماذا قاد هذا التقدم؟! فالضوء هو ضوء قنابل النابالم، والوميض هو وميض القنابل الذرية. وهذا التقدم لم ينه ظلمات الجهل البشرى، ولكنه أنهى حياة ملايين لا تحصى من الأبرياء. إن الوميض الشرير للدمار الشامل، وليس ضوء الأمل الذى ينير كل شىء فى الحياة، هو ما نراه أمامنا، وهو ليس إلا ظلمات العنف وقد طال مداها إلى منتهاها.

طهرانيان: هذه تراجيديا القرن العشرين حقا، كلما زاد العنف تشعر النفس البشرية بالضياع.

إيكيدا: لقد كان المفهوم الأصلى للتكنولوجيا هو أنها أداة يمكن من خلالها إنتاج أشياء ذات قيمة، ولكنها انتهت لكى تكون أداة لإنتاج القنابل الذرية واستهلاك كميات هائلة من المعلومات، وإنتاج مجتمع الجهل بالمعلومات.

طهرانيان: والتليفزيون هو المثال على التكنولوجيا المستهلكة للمعلومات التى نتحدث عنها. فنحن نحصل على كميات هائلة من المعلومات من خلال التليفزيون والحاسب الآلى. ولكنى أشك أن هذه المعلومات قد أدت بنا إلى مجتمع أكثر معرفة بالمعلومات، أو إلى حياة ذات مغزى. فى الغالب، فإننا نستخدم التكنولوجيا وأدوات الراحة الحديثة، لكى نستهلك بشكل أكثر معلومات مشتتة.

إيكيدا: التكنولوجيا تستعمل الآن للاستهلاك، وليس للإنتاج، حتى أننا نستهلك التكنولوجيا ذاتها.

طهرانيان: يتم تحسين وتطوير التكنولوجيا وأدواتها بشكل متزايد فى زماننا، ويدفع ذلك البشر إلى شراء النماذج الجديدة حتى قبل أن يستعملوا النماذج القديمة استعمالاً فعليا. ومن الواضح أن المجتمع التكنولوجى قد تحول إلى وحش يستهلك ذاته.

إيكيدا: استهلاك الشىء يعنى الإقلال من قيمته. إن السلعة الجديدة التى قمت بشرائها تساوى فى قيمتها السعر الذى دفعته، وإذا كانت نموذجًا جديدًا، فإن قيمتها

تزداد كلما شعرت بأهمية امتلاكها. ولكن ما إن تتقادم السلعة، أو ما أن يمتلك الآخرون النموذج ذاته، فإن قيمة السلعة تتناقص وتغدو راغبًا فى شراء سلعة جديدة ذات قيمة أكبر. إن هذا النمط من الاستهلاك لا يوفر للإنسان متعة خلق قيمة جديدة.

إن روح الدين عكس هذا النظر تمامًا. ويمكن أن نسميها "روح خالقة للقيمة". بالنسبة لى فإن روح الدين هى حالة ذهنية تتشارك فى التضامن مع الجميع بما فى ذلك حجر عادى على قارعة الطريق. إنها روح تسعى إلى رفاهية البشر فى كل أنحاء الأرض والذين قد لا نلتقى بهم أبدًا.

طهرانيان: كما أشرت، فإن الروح الإنسانية تخلق قيمة متزايدة، ولكن استهلاك الأشياء يؤدى إلى قيمة متناقصة ويمكن أن ينصرف القول ذاته إلى الحب والمعرفة، كلما أحببت أكثر، حصلت على الحب أكثر، وكلما تشاركت فى المعرفة، زادت معرفتك.

إيكيدا: بشكل آخر، روح الدين هى نوع من القدرة الذهنية التى تحول العدمية إلى مستقبل مضىء، وتحول اليأس إلى الأمل. فالمتشكك يرى أن كل شىء عديم القيمة وفارغ المضمون، ولا يمكن أن تخلق روح مثل هذا الشخص أى شىء ذى قيمة. لقد أتى العلم بالضوء إلى العالم الخارجى للإنسان، ولكن ظل العالم الداخلى لهذا الإنسان مظلمًا. أليست الفلسفة، أو ما أسميه "الروح الدينية" هى ما سيضئ عالمنا الداخلى؟

طهرانيان: أعتقد ذلك، أنت لا تعنى "بالروح الدينية" الإيمان بدين معين، أو بمجموعة محددة من العبادات والمؤسسات، ولكنك تعنى بها حالة ذهنية عامة، أى اتجاهًا نحو الحياة، أليس كذلك؟

إيكيدا: نعم، هذا صحيح. ورغم ذلك، فإنه من سوء الحظ أن الروح الدينية تتدهور فى زماننا. كيف نتعامل مع هذا التطور الخطير؟ لحسن الحظ يمكننا أن نستقرئ التاريخ للحصول على إجابة.

طهرانيان: بالقطع تقدم البوذية والإسلام حلولهما، كما سبق أن أشرنا. لقد بدأ كلاهما فى شكل حركات للخلاص الروحى للجماهير من الخرافة.

إيكيدا: طبعًا، نحن لا نتحدث عن أى مذهب دينى محدد.. كما أفهمه، فإن كلمة "الإسلام" تعنى "الخضوع الإيمانى لله". أعتقد أن هذا ما يتفق مع تعريف بول تيليك (١٨٨٦ - ١٩٦٥) للدين على أنه "اهتمام بالأساس النهائى للوجود".

طهرانيان: هذا صحيح حقا، فالإسلام يعنى المشاركة الكاملة والبسيطة، والتعاطف مع الوجود فى جميع أشكاله. إنه يعنى السلام النشيط، حالة تجمع بين الحب والشجاعة.

إيكيدا: لقد تحدثنا أيضًا عن الإسلام باعتباره "حركة إصلاح دينى"، فمن خلال مطالبته "بالخضوع النشيط" فإن رسول الإسلام محمد كان يعبر عن انتقاده الديانات القبلية السحرية، وتشككه فى اليهودية والمسيحية فى عصره. هل هذا صحيح؟

طهرانيان: نعم، فالقرآن الكريم يقول: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (البقرة ، الآية ١٣٩). هذه الآية تشير إلى أن القرآن يعتبر أن اليهودية والمسيحية قد خرجا عن مسارهما، وتشير أيضًا إلى رفض الشرك بالله لدى القبائل.

أريد أن أضيف أن ما ذكرته عن تيليك يذكرنى بسنوات دراستى فى جامعة هارفارد عندما درست تحت إشرافه. لقد كان معلما عظيما، تعلمت منه الكثير عن الروح الدينية التى تشترك فيها كل التقاليد الروحية العظيمة.

إيكيدا: أعلم ذلك، لقد لجأ تيليك إلى الولايات المتحدة بعد وصول الحزب النازى إلى السلطة فى ألمانيا، كان يدرس فى هارفارد عندما كنت تدرس هناك. أنت محظوظ لأن تدرس تحت إشراف هذا العالم العظيم.

طهرانيان: أعتقد ذلك أيضًا. ومعلمك جوشى تودا، كان معلما موهوبا أيضًا، إنه بالفعل شىء عظيم أن يكون معلمونا أناسًا عظامًا مثل هؤلاء.

إيكيدا: إن كتاب بول تيليك «شجاعة أن تكون» (سنة ١٩٥٢) أعطى الأمل لمن عاش منا بعد أوشفيتز وهيروشيما. إنه عمل خالد، رصيد عظيم لبنى البشر.

طهرانيان: نعم، فإن تيليك فى هذا الكتاب يواجه بشجاعة الكرب واليأس الذى يسود فى عصرنا، ويقول، "ومع ذلك، دعونا نستمر فى الحياة".

إيكيدا: إن الكلمة المحورية فى الكتاب هى "ومع ذلك"؛ فهى كلمة تعادل العبارة التى قالها فيكتور فرانكل[(٧٥)]، هذا المحلل النمساوى النفسى العظيم، فى كتابه بالألمانية: خبرة عالم نفس فى معسكر اعتقال، الصادر سنة ١٩٤٧، وهو أعظم كتاب فى القرن العشرين، العبارة التى تقول، "دعونا نقول نعم للحياة".

طهرانيان: لقد مر فرانكل بتجربة الاعتقال فى أوشفيتز، ورأى خلالها أسوأ جوانب الطبيعة البشرية. ورغم ذلك كان يثق فى الإنسانية، وتبنى منهجًا إيجابيا تجاه الحياة.

إيكيدا: يماثل موقف فرانكل، ذلك الموقف الذى وصفه أنتونيو جرامشى[(٧٦)] بـ "تشاؤم الفعل، وتفاؤل الإرادة"، والذى جعله إدوارد سعيد شعارًا له.

ويمكن إعادة صياغة عبارة "تفاؤل الإرادة" بمعنى "شجاعة ألا تستسلم". الأشخاص الذين يتمثلون الصفة لا يهملون الإمعان فى الجوانب السلبية للواقع، ولكنهم لا يتوقفون أبدًا عن السير قدمًا.

طهرانيان: أوافقك تماما. ولكن أود أن أضيف إلى شعار جرامشى عبارة "حنو القلب". فقد فعل ذلك البوذيون والمسيحيون والمسلمون فى دياناتهم. فهؤلاء جميعًا لديهم

---

(٧٥) فيكتور فرانكل (١٩٠٥ - ١٩٩٧) عالم نفس نمساوى يهودى، أسس علم العلاج الروحى والتحليل الوجودى، و"المدرسة النمساوية الثالثة" فى العلاج النفسى. أُعتقل فى معسكرات الاعتقال الألمانية بين عامى ١٩٤٢، ١٩٤٥، وخرج منها ليؤلف كتابه الأشهر "ومع ذلك... قل نعم للحياة: خبرات عالم نفس فى معسكرات الاعتقال" بالألمانية، والمنشور بالإنجليزية باسم "بحث الإنسان عن المعنى".

(٧٦) أنتونيو جرامشى (١٨٩١- ١٩٣٧) منظر سياسى إيطالى، كان مؤسسًا وقائدًا للحزب الشيوعى الإيطالى، واهتم فى كتاباته بتحليل الثقافة والقيادة والسياسة، وهو من كبار المنظرين الماركسيين، ويعرف بالمفهوم الذى صاغه باسم "الهيمنة الثقافية" باعتباره أداة لتكريس الدولة فى النظام الرأسمالى.

التوجه ذاته، والموقف ذاته. فهم ينظرون إلى لجة الموت واليأس فى الوقت الذى يتحولون فيه إلى الحياة والأمل. وطبقًا لتقاليد هاواى، فإن هناك مرشدين يجب أن يتبعهما المرء فى حياته، الآلوها والكويونو والآلوها هو المرادف للحب، فى حين أن الكويونو مرادف للشجاعة، أى أن تدافع عما تؤمن بأنه حق.

إيكيدا: "تفاؤل الإرادة" يختلف تمامًا عن هذا النمط الطائش من التفاؤل الذى بموجبه ينخرط البشر فى تحقيق نزواتهم والسعى وراء العادة بدون حتى الالتفات إلى تعقيدات الواقع. لا يمكننا الاكتفاء بتقريع هتلر والنازيين للبؤس العظيم الذى ألحقوه بالبشرية فى هذا القرن. وقد تحدث تيليك عن احتمال أن تتحول الديمقراطية إلى مجرد الرضا بما تحقق، وأن يؤدى الاستهتار، واللامبالاة، والعدمية، إلى تحللها.

لقد كانت رسالة تيليك فى كتابه، شجاعة أن تكون، هى الحاجة إلى قوة الإرادة لتستمر فى الحياة رغم الظلمات الكامنة فى أعماق الوجود الإنسانى.

طهرانيان: عندما كنت طالبا للدراسات العليا فى جامعة هارفارد كنت أدرس مقررات الأستاذ تيليك كمستمع. لقد كان فهمه للدين باعتباره "الاهتمام بالأساس الخالد للوجود" قريبًا من فهمى له، وينطبق تعريفه للدين على الإسلام، فالقرآن الكريم يستعمل عبارة "الدين القيم"، بمعنى "الدين الخالد الذى لا يتغير"، وذلك للإشارة إلى عالميته.

إيكيدا: أريد أن أضيف أن تنبيه الرسول محمد إلى العودة إلى "عصر إبراهيم"، لم يكن دعوة أصولية للعودة إلى المصدر الأصلى للعقيدة، ولكنه بحث عن "الدينى"، أى بحث عن شىء أكثر عالمية من أى دين معين.

طهرانيان: فى محاضرتك الثانية فى جامعة هارفارد بعنوان "بوذية ماهايانا، وحضارة القرن الحادى والعشرين" (سنة ١٩٩٣)، تطرقت إلى أهمية "ما هو دينى"، و"الروح الدينية" اللذين تتحدث عنهما دائما باعتبارهما وجهين لعملة واحدة.

إيكيدا: هناك فى البوذية مصطلح "والدة بوذا"، ويقصد به، من بين أشياء متعددة، "دارما". إنها التعاليم الأساسية التى ولد منها بوذا. إن المفهوم يشير إلى الاهتمام البوذى بما هو عالمى، وما هو خالد.

"الاهتمام بما هو سرمدى قد يبدو على أنه عبارة تتسم بالتعصب ونفى الآخر، ولكن التعصب النافى للآخر لا يمكن أن يكون "سرمديا". فالمتعصبون ضيقو الأفق، وغير عقلانيين، ولا ينصب اهتمامهم على أساس الوجود الإنسانى، ولكن على أهدافهم الذاتية ومصالحهم الخاصة. وأحيانا يصير التعصب القوة الدافعة للحماس القومى.

"الاهتمام" يعنى بحث المرء عن مصدر الوجود الإنسانى بكل ما يتضمنه من الخير وقوة الخير الكامنة فى الطبيعة الإنسانية. فالبحث عن إجابة لأسئلة من نوع "ما هو الكائن الإنسانى؟"، "لماذا ولدت؟"، لا يمكن أن يكون بحثًا نافيًا للآخر. أريد أن أقول إن "الاهتمام بما هو "سرمدى" هو هم إنسانى بالأساس.

طهرانيان: ولكن كما قلت أنت دائمًا، فالنزعة الإنسانية يجب ألا تظل قاصرة على البشر. يجب أن تهتم النزعة الإنسانية بالأساس الكلى للحياة الإنسانية، بما فى ذلك كل المخلوقات، صغيرها وكبيرها. الغلطة الأساسية للتنوير الأوروبى هى وضع البشر فوق الطبيعة.

النبى والمنجم

إيكيدا: ربما نكون قد بعدنا قليلاً عن الموضوع الرئيسى لحوارنا، ولكن الأنبياء يظهرون فى الكتب اليهودية والمسيحية والإسلامية المقدسة. وفى اليابان، فإن مصطلحى النبى والمنجم مصطلحان مترادفان. ولذلك يعتقد اليابانيون أن الأنبياء يمتلكون قوة خارقة للطبيعة تمكنهم من التنبؤ بالمستقبل . يعتقد الكثيرون فى اليابان أن الأنبياء منجمون.

طهرانيان: بصفة عامة، نحن نستعمل المصطلحين، ولكن بمعان مختلفة تماماً. ومن ثم فإننا أسرى للغاتنا. ولهذا فإن منهج الحوار الذى يأخذ فى اعتباره اللغة وحدها نقطة انطلاق ويحاول أن يفكك المعانى التى تستتر خلف المصطلحات - هو منهج جيد للحوار والفهم المتبادل.

إيكيدا: إننى أشاركك هذا الرأى، فحينما يستعمل شخص ما مصطلح "النبى"، يجب أن يكون حذرا فيما يتعلق بالسياق الذى يستعمل فيه هذا المصطلح ويتوصل إلى حكم على المصطلح على هذا الأساس. فغالبا يقفز الناس إلى حكم تحكمى يستند إلى مفاهيمهم المسبقة بدون أن يتكبدوا عناء محاولة فهم السياق المحدد للمصطلح.

فإذا نظرنا إلى التقاليد البوذية نجد أن شاكياموني والعالم البوذى ناجاريونا[٧٧] كانا حذرين فى استعمال اللغة. فقد حرصا على إعلام معاصريهم كيف أن العادات اللغوية، والمفاهيم المسيطرة يمكن أن تكون مضللة.

طهرانيان: أتفهم ما تقول تماماً.

إيكيدا: تفرق البوذية بين صياغة الكلمة، ومعناها، والنية وراءها. فالصياغة تنصرف إلى المعنى السطحى أو الحرفى لجملة معينة. أما المعنى، فإنه يأخذ فى اعتباره التركيب والسياق الضروريين لفهم دلالة الكلمة أو الجملة. أما النية فهى تنصرف إلى وعى الكاتب الذى استعمل الكلمة أو الجملة. وفى السياق البوذى فإن النية تعنى روح بوذا.

ومن بين المصطلحات الثلاث السالفة الإشارة إليها، فإن النية هى الأهم. فهناك فارق شاسع بين ما إذا كانت الكلمة أو الجملة مدفوعة بنية خبيثة للخداع أو السيطرة على الآخرين، وما إذا كانت مدفوعة برغبة حقيقية لتحقيق رفاهيتهم.

---

(٧٧) آتشاريا ناجاريونا فيلسوف هندى عاش فى الفترة بين سنتى ١٥٠ و ٢٥٠م ، أسس مدرسة ماديما كا (الطريق الوسط) فى بوذية ماهايانا، وقد انتقلت تلك المدرسة إلى الصين باسم مدرسة "الأطروحات الثلاث". ويرى الكثير أنه أهم مفكر بوذى بعد جواتاما بوذا .

وحينما يخلط اليابانيون بين النبى والمنجم لمجرد أن نطق المصطلحين متشابه فى اللغة اليابانية، فإن ذلك مؤشر على أنهم لم يتخطوا المستوى الأول، وهو الاقتصار على المعنى الحرفى للجملة أو الكلمة.

طهرانيان: يرتبط مفهوم "النبى" فى الأديان عموما بما يسمى بالتصوف فى علم الأديان. والتصوف يختلف تمامًا عن الغموض، حيث يهتم بالخبرة أكثر ما يهتم بالمذهب، فهناك أشكال كثيرة للغموض فى العالم، كنشأة ونهاية الكون والحياة. ويسلم التصوف بهذه الأشكال من الغموض، وبدلاً من أن يحاول تفسيرها، فإنه يقبلها بكل ورع وإعجاب.

إيكيدا: إن كلمة "صوفى" تثير الصورة الذهنية للمعجزة أو للظاهرة أو للقوة التى تتخطى الطبيعة. ولكن الصوفى المسلم المعروف سفل بن عبد اللاه[٧٨] يقول "إن المعجزة الأكبر هى أن تحول شيئًا سيئًا إلى شىء حسن".

طهرانيان: نعم، تركز الصوفية على الخبرة، وليست المعجزات. إنها تتبع الروح وليست حرفية التشريع.

إيكيدا: بالطبع لا يمكن الاستغناء عن الكتب المقدسة؛ فهى نقطة الانطلاق فى أى دين رئيسى. ولكن بمرور الزمن يضيف الدارسون وعلماء الدين تفسيراتهم وشروحهم للكتب المقدسة، وسرعان ما يصبح المفسرون أكثر أهمية من الأنبياء الأوائل. وفى هذه العملية، فإن مقاصد النصوص سرعان ما تدخل عالم النسيان.

وحينما يحدث ذلك يظهر الأنبياء أحيانًا، منتقدين النصوص الدينية السابقة عليهم، والمذاهب المعتنقة، ورجال الدين الفاسدين، والسلطات الكهنوتية. ويقوم هؤلاء الأنبياء بتقديم المقاصد الإلهية فى محاولة منهم لإعادة روح الدين إلى المؤمنين، وذلك كله استنادًا إلى خبرتهم الدينية الخاصة. وقد حدث ذلك فى ديانات متعددة مرات ومرات.

---

(٧٨) لم أتمكن من التعرف على شخصية هذا الصوفى الذى أشار إليه إيكيدا .

طهرانيان: هذا صحيح : ففى الزرادشتية، هناك نبوءة مفادها أنه كل ألف عام يظهر نبى جديد ليرشد بنى البشر. ولهذا تقول الأساطير إن الأنبياء الزرادشتية الثلاثة كانوا يبحثون عن المسيح من خلال استطلاع النجوم.

إيكيدا: إن ظهور الأنبياء مع رسالاتهم كان مهما إلى حد بعيد، ولكن الروحانية قد تتحول إلى عمل اعتباطى. فمع نهاية القرن العشرين ظهر "أنبياء" و"منجمون" قدموا لنا رسالات وتنبؤات تضلل الجماهير، وتغرس فيهم نوعًا من القلق غير المطلوب.

طهرانيان: بالضبط، ولهذا نحن فى حاجة إلى عدد من المعايير الثابتة لكى نحكم على مدى أصالة النبوات.

إيكيدا: هذا صحيح.

طهرانيان: ما هى إذن تلك المعايير؟

إيكيدا: إذا ما نظرنا إلى تلك الحركات التاريخية التى أسفرت عن إصلاحات كبرى، فإننا فى حاجة إلى أنبياء يرشدون البشر إلى "العودة إلى التعاليم الأولى"، ولا يقدمون تنبؤات تحكمية. كان مارتن لوثر واحدًا من هؤلاء[٧٩]. كذلك، فقد طالب نيتشيرين دايشونين "بالعودة إلى روح لوتس سوترا". لقد كان مقصده هو تحرير روح الكتاب المقدس الأصلى من التفسيرات الجامدة التى قدمها العلماء البوذيون.

"افعل كما علمنا بوذا"، هى عبارة أخرى مهمة فى البوذية استخدمها نيتشيرين فى تجاوز السلوك الاعتباطى، وتحقيق عالمية نبوته. بعبارة أخرى، فإن المحك الحقيقى لنبوة نيشرين كان مدى قربه من شاكيامونى.

---

(٧٩) مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) راهب ومصلح دينى مسيحى ألمانى أسس المذهب البروتستانتى. انتقد الكنيسة الكاثوليكية والسلطة البابوية، مؤكدًا أن الإنجيل هو المصدر الوحيد للسلطة الدينية وأن الخلاص يعتمد على الاعتقاد فى عيسى المسيح دون وساطة من الكنيسة. وقد ألهبت تلك الأفكار حركة الإصلاح البروتستانتى، وغيرت من مجرى الحضارة الغربية. كان من المعادين لليهود والداعين إلى تدمير معابدهم ومنازلهم ومصادرة أملاكهم، وهى الأفكار التى اعتمدت عليها ألمانيا النازية ضد اليهود .

طهرانيان: إن الإسلام ذاته رسالة متكررة، ولكنها أبدية، نقلها الله إلى البشر من خلال أنبيائه. ومن ثم، فإن النبى ليس منجما. إنه رسول الله المختار لتحذير البشر فيما يتعلق بالنتائج المترتبة على أفعالهم. وقد اعتبر رسول الله محمد أنه مجرد إنسان ينقل رسالة الله الخالدة التى نقلها الأنبياء قبله من آدم إلى نوح، وموسى، وعيسى.

إيكيدا: وربما يكون هذا هو السبب الذى أدى إلى العنت الذى واجهه الأنبياء من ذويهم. لأنهم كانوا يحذرون البشر، فقد اضطهدهم من يمسكون بناصية القوة، وتعرضوا للاحتقار والازدراء العام.

يمكن أن ينغمس البشر فى التأمل الذاتى وسط صلواتهم العميقة. فحينما يكون البشر مستغرقين فى صلاة عميقة، فإنهم قد يفكرون فى متاعب الآخرين ويبكون. وحينما يصل البشر إلى حافة الشعور بالانهزام أمام الصعوبات المختلفة، فإنهم يمكن أن يستعيدوا شجاعتهم من خلال الصلاة العميقة. وهذا هو الدين، وهذه هى الصلاة، وهذا هو الإيمان. وكل مجتمع ينظر إلى الإيمان الدينى بازدراء هو مجتمع فقير روحيا. وفى ظل هذه المجتمعات نجد أن الديانات الراسخة تنحدر إلى الأنانية بأشكالها، كما أن الشعوذة والأسطورة سرعان ما تخلبان لب البشر.

طهرانيان: إن هذا الإحساس بالأزمة هو ما أدى بالرسول محمد إلى انتقاد وإنذار مجتمعه، تماماً كما فعل بوذا والمسيح. وينتمى مارتن لوثر إلى هذه المجموعة.

إيكيدا: لقد بدأت بوذية نيشرين بالأسلوب ذاته. فقد واجه نيشرين الديانات القائمة فى عصره، والتى أصبحت ذات طابع أرستقراطى يحتقر الناس العاديين، وتدهورت لكى تكون مجرد شعائر شكلية.

كذلك، بدأت حركتنا سوكا جاكاى كحركة إصلاح دينى هدفها تنشيط البوذية، والتى تحولت منذ بداية عصر شوجون توكوجاوا(٨٠) إلى دين شكلى، أى دين يُستخدم فقط فى الجنازات والتأبين. شعارنا هو "العودة إلى روح شاكيامونى، والروح الأصلية لنيتشيرين دايشونين".

---

(٨٠) توكوجاوا شوجونيت، المقصود بتوكوجاوا ذلك الإقطاعى اليابانى الذى عاش بين عامى ١٥٤٣ و ١٦١٦، وأنشأ أول لقب عسكرى باسم "الشوجون" (كالجنرال حاليًا) وتلقب به، وأنشأ ما عُرف باسم "توكوجاوا شوجونيت" سنة ١٦٠٠ التى استمرت حتى سنة ١٨٦٧، أى حتى عهد تحديثات ميجى، وقد استمر توكوجاوا برأس الشوجونيت (أى الإقطاعية العسكرية) التى أسسها حتى وفاته سنة ١٦١٦.

تنشيط الجماعة الروحية

إيكيدا: انتهينا من التاريخ، والآن دعنا نتعامل مع قضية ما يمكن أن يسهم به الدينان للمجتمع المعاصر، أى ما هى أهمية الإسلام والبوذية فى عصرنا.

طهرانيان: بالتأكيد دعنا نفعل ذلك.

إيكيدا: نحن نعيش فى فترة تتسم "بالانقسام والمواجهة". فالعديد من الأيديولوجيات، والرؤى، وحتى الهوايات، والتفضيلات الذاتية، تفرق بين البشر. وهذه الفوارق ليست مجرد انعكاسات للذاتية الفردية. فغالبًا ما يتم تلفيق هذه الفوارق لتغذية شعور البشر بالانتماء إلى مجموعات نمطية جامدة.

طهرانيان: أعتقد أن هذا صحيح تمامًا، فالحراك السريع يقود إلى الاهتزاز النفسى، وهو ما يقود إلى اضطراب الهوية، وهو ما يؤدى بالإنسان إلى الإيمان بالخرافة، مما ينتهى بدوره إلى أن تكتسب هويات البشر شعورًا زائفًا بالأمن. وعلى سبيل المثال، فإن الاستشراق يوظف الصراع بين الشرق والغرب. وقد قُدمت خرافة الرأسمالية ضد الشيوعية كهوية زائفة إبان الحرب الباردة. وقد جعلت هذه الصور النمطية من الحوار المفتوح والمخلص أمرًا مستحيلاً.

إيكيدا: ما أود أن أضيفه هنا هو إمكانية وجود جماعة يمكن للبشر أن يجتمعوا فى إطارها دون استثناء أى أحد. وأعنى بذلك المصطلح الإسلامى، الأمة، والمصطلح البوذى المرادف شامغا.

طهرانيان: هذا موضوع كبير، أول شىء يطرأ على الذهن هو الأصل الاشتقاقى لكلمة "الدين"، ففى اللغة الإنجليزية تعنى الكلمة "أن تربط، وأن توثق، وأن تصل".

إيكيدا: فى اليهودية والمسيحية والإسلام، فإن كل إنسان "مرتبط" بالله. هل هذا صحيح؟

طهرانيان: فى ديانات بنى إبراهيم، فإن اليهود والمسيحيين والمسلمين يدخلون فى عهد مع الله على أن يعيشوا حياة التقوى. وهذا العهد يطلق عليه فى اللغة العربية "الميثاق".

هذا الميثاق فى الإسلام ينشأ مع النطق بالشهادتين، "لا إله إلا الله، محمد رسول الله". فبنطق الشهادتين يصبح الإنسان، بصرف النظر عن نوعه أو جنسه أو جماعته العرقية، مسلما. وبمجرد إنشاء الدولة الإسلامية الأولى فى المدينة كان يمكن لأى إنسان أن يدخل فى العهد (البيعة) مع الرسول محمد لكى يستظل بحماية الدولة الجديدة. وهكذا تم إنشاء الأمة الإسلامية. هناك سورة فى القرآن تقول ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران، الآية ١٠٤).

لقد كان تكوين الأمة فى المدينة دلالة على أن الوقت قد حان لكى تتحول العلاقة بين الله وجماعة المؤمنين به فى مكة إلى علاقة اجتماعية حركية بين البشر.

إيكيدا: كان ذلك دلالة على أن الوقت قد حان لكى يغرس المؤمنون فى المجتمع عدداً من صفات الله كالرحمة، والكرم، وإحقاق الحق. أليس كذلك! وقد كانت وظيفة الأمة بناء الأساس لهذه الحياة الاجتماعية.

طهرانيان: هذا صحيح، فالأمة ليست مجموعة دينية منعزلة عن المجتمع، ولكنها بذاتها مجتمع يشترك أعضاؤه فى الإيمان ذاته. فكل سورة فى القرآن تبدأ بعبارة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾(٨١). وهؤلاء الذين يتهمون الإسلام بأنه دين السيف لا يعرفون عم يتحدثون.

إيكيدا: مع تكوين الأمة أصبح الإسلام بمثابة مؤسسة مجتمعية تتأسس على الإيمان بالله، وحتى ذلك الوقت كانت الجماعة القبلية تتأسس على رابطة الدم.

طهرانيان: لقد وجه أحد أعداء الرسول محمد اتهاما له بأنه ينتهك رابطة الدم، فقد كانت تلك الرابطة قوية وليست محل نقاش. وبالعكس، فإن أساس بناء الأمة كان هو "الإيمان بالله".

---

(٨١) الآية الأولى من سورة الفاتحة، وتفتتح بها كل سور القرآن ما عدا سورة براءة.

إيكيدا: قد تكون الجماعة التى تنهض على رابطة الدم قوية، ولكنها بحكم التعريف جماعة مغلقة. ولهذا، فإنها يمكن أن تنتج التمييز والاضطهاد.

طهرانيان: "المسلمون سواسية كأسنان المشط، ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى"، هذا حديث شهير للرسول محمد.

لم تكن جماعة الإسلام تتكون من المسلمين فقط. فالذميون، أى من يعتنقون الديانات السماوية الأخرى، كانوا جزءًا من أمة الإسلام.

إيكيدا: كذلك لم تكن الجماعة البوذية جماعة مغلقة ولكنها كانت بمثابة جسر بين المبادئ البوذية، والحقائق الاجتماعية. فالشامغا، وهى الجماعة البوذية الأولى، كانت تعنى التجمع والتضامن والنقابة.

طهرانيان: هل كانت الشامغا شيئًا موجودًا قبل ذلك فى المجتمع الهندى؟ أو أنها نشأت أصلاً فى البوذية؟

إيكيدا: لقد طبق شاكيامونى فى الجماعة البوذية نموذجًا كان موجودًا فى المجتمع الهندى. فى هذه الأيام، أسفر زرع محصول الأرز عن نشأة المدينة، وكان النشاط الاقتصادى فى حالة من النمو. وقد انتهج بعض هذه الدول - المدينة، نهجًا جمهوريًا ديمقراطيا، وكان نشاطهم الاقتصادى يتمحور حول الجماعة التى تشبه النقابة. وكان النظام الجمهورى، والجماعة التى تشبه النقابة، هى ما سُمى بالشامغا.

طهرانيان: إذن فقد اشتق بوذا نموذج جماعته الدينية من النظام الجمهورى الديمقراطى الذى كان قائمًا فى المجتمع. هذا أمر مثير حقا.

إيكيدا: هذا صحيح، لقد كانت الشامغا جماعة إنسانية مثالية بالنسبة لشاكيامونى.

طهرانيان: أستطيع أن أتبين بعض أوجه الشبه مع مفهوم الأمة.

إيكيدا: لقد شجعت الجماعة البوذية ممارسة أربع أدوات تقود الكائنات ذات الحس إلى التحرر، وهى:

- إعطاء الصدقات، روحيا وماديا.

- الحديث المحب.

- إفادة الكائنات الحية من الأداء الجيد للبدن، والحديث، والعقل.

- السعى لكى تستفيد مختلف الكائنات الحية بالفوائد ذاتها التى يجنيها المرء.

طهرانيان: هذه كلها مؤشرات محددة وعملية للأداء.

إيكيدا: نعم، حقا، لقد كانت الشامغا مركز نشاط وضع التعاليم البوذية محل التطبيق فى المجتمع. وعلى أى حال، فإنه طالما أن أى دين حقيقى يجب أنه يخاطب قضايا الانضباط الذاتى وخلاص الآخرين، فإنه من الطبيعى أن يقدم الدين نموذجًا مجتمعيا من خلال تكوين جماعة نموذجية من المؤمنين.

طهرانيان: أوافق، فهذا هو بالضبط نموذج الأمة أيضًا. ورغم ذلك، فغالبًا، ما تبتعد الوقائع عن المثاليات بسبب النقص البشرى. فالحربان اللتان حدثتا فى الخليج الفارسى فى أعوام ١٩٨٠ - ١٩٨٨، وفى عام ١٩٩١ وضعت المسلمين فى مواجهة المسلمين.

إيكيدا: خلال فترة العصور الوسطى فى التاريخ اليابانى، كان هناك كاهن شديد العزلة إلى حد أنه لم يعرف عن الحرب الأهلية التى كانت تجرى بين قبيلتى التايرا (هايكى) وميناموتو (جينجى)[٨٢]. بالنسبة للكاهن ربما يكون ضروريا أن ينعزل لفترة

(٨٢) حرب التايرا وميناموتو، التايرا هى قبيلة يابانية قديمة، ويُشار لها أحيانًا باسم هايكى. وهم فرع من فروع العائلة الإمبراطورية اليابانية، تتألف من الأحفاد الذين لم يكن لهم حق اعتلاء العرش منذ عهد الإمبراطور كاجو سنة ٨٢٥، وهى واحدة من القبائل الأربع المهمة التى سيطرت على التاريخ السياسى اليابانى خلال فترة إمبراطورية هيان. ومن تلك القبائل الأربع قبيلة ميناموتو التى شكلت فرعًا آخر من العائلة الإمبراطورية اليابانية، وكانت تسمى أحيانًا جينجى. وقد حدثت حرب بين القبيلتين من سنة ١١٨٠ حتى سنة ١١٨٥، عرفت باسم حرب جينجى حول السيطرة على البلاط الإمبراطورى وبالتالى السيطرة على اليابان، قرب نهاية عصر إمبراطورية هيان، وأسفرت عن سقوط التايرا وصعود نفوذ ميناموتو يوريتومو سنة ١١٩٢ .

من الزمن بالابتعاد عن الانخراط فى وقائع الحياة لكى يتدرب على حياة الزهد، ولكن الكاهن الأكبر هو قائد النظام الدينى، وبالتالى عليه أن يعرف ماذا يحدث فى المجتمع العلمانى. فإذا لم يعرف، فإن ذلك يعنى أن نظام الرهبنة قد أصبح نظاما مغلقا. لقد علم شاكيامونى حوارييه أن يسافروا فى البلاد بوصفهم كهنة متجولين لكى يساعدوا فى جلب السعادة للبشر.

والمنظمة بؤرة محورية تتفاعل فيها المثاليات والوقائع. كما أن المنظمة التى تنبض بالحيوية تستطيع أن تغير الواقع فى اتجاه المثال المنشود، وفى الوقت ذاته فإن التفاعل مع الواقع فى إطار منظمة يسهم فى منع تحول ما هو مثالى إلى دوجما ضيقة.

طهرانيان: لسوء الحظ، فإن الفردية قد ذهبت فى السنوات الأخيرة إلى مدى بعيد، وذهب معها ذلك الاتجاه نحو تجنب الارتباط التنظيمى. ولحسن الحظ، فإن الدول الإسلامية تلتقى بشكل دورى فى إطار منظمة تسمى "منظمة المؤتمر الإسلامى"(٨٣).

إيكيدا: تستحق الجماعات المنغلقة منا كل النقد. يجب أن ندرس بدقة أية منظمة من حيث مثالياتها المعلنة ونوع المساهمات التى تقدمها للمجتمع.

هناك أنواع عديدة من المجموعات البشرية، بما فى ذلك العائلة، فإذا اعترضنا على وجود المنظمات تماماً(٨٤)، فإننا سننتهى إلى وضع نجد فيه أن جهاز الدولة قد تحول إلى جسد هائل. وفى الواقع، فقد شهد القرن العشرون أمثلة عديدة أصبحت فيها الدولة شديدة البأس.

---

(٨٣) منظمة المؤتمر الإسلامى، تأسست طبقا لقرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الثالث الذى انعقد فى جدة فى فبراير- مارس سنة ١٩٧٢، فى أعقاب حريق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩ ، وللمنظمة هيكل تنظيمى يتألف من مؤتمر القمة، ومؤتمر وزراء الخارجية، والأمانة العامة، بالإضافة إلى عدد من المنظمات التابعة كالبنك الإسلامى للتنمية. ومقر المنظمة هو مدينة جدة، كما أنها تضم حاليا ٥٧ دولة تعرف نفسها بأنها دول إسلامية .

(٨٤) يقصد طهرانيان بذلك المنظمات غير الحكومية .

ويستتر خلف الميل الراهن لتجنب المنظمات عاملان أساسيان هما الأنانية، وطغيان الدولة، وما نحتاجه الآن هو أن نبنى شبكة من التضامن بين البشر عبر الحدود والدول القومية.

طهرانيان: أعتقد ذلك أيضًا والحوار هو الطريق لبناء مثل هذه الشبكة، ولمعهد تودا حاليًا مجلس استشارى دولى يضم حوالى ٤٠٠ مواطن عالمى نابه، ويزداد عددهم.

إيكيدا: الحوار بمثابة "الدماء" بالنسبة للمنظمة، فهو الذى يحمل المواد الغذائية والأوكسجين فى الجسم ويحفظه على قيد الحياة. فوجود أو غياب هذه الدماء يحدد ما إذا كانت المنظمة ستحيا أو ستموت.

وجهات نظر حول المساواة

إيكيدا: تعد المساواة إحدى الخصائص الأساسية لإنشاء جماعة مثالية، ومنظمة حقيقية. ففى إحدى المرات، قام نيشرين باستدعاء أكثر القادة قوة فى عصره "حكام هذه الدولة- الجزيرة الصغيرة" (كتابات مختارة لنيشرين، مطبعة جامعة كولومبيا، ١٩٩٠، ص ٣٢٢). لقد كان يعرف تماما من هم، كائنات تافهة لا يعلمون شيئًا بالمرة عن العالم الذى يحيط بهم.

وقد وصف نيتشيرين دايشونين نفسه بأنه "ولد فقيرًا ووضيعًا فى عائلة كاندالا... وبما أن قلبى مولع بلوتس سوترا، فإننى لا أخشى حتى بونتين[٨٥] أو تايشاكو[٨٦]..." (رسائل نيتشيرين، مطبعة جامعة كولومبيا، ١٩٩٦، ص ٥٦). وكاندالا هو مصطلح يطلق على المهمشين الذين ينخرطون فى مهن تعد وضيعة أو غير نظيفة[٨٧]، كما أن بونتن وتايشاكو يعتبران بمثابة إلهين فى ذلك الوقت.

---

(٨٥) بونتين هو الاسم اليابانى للإله الهندى براهما.

(٨٦) تايشاكو اسم يابانى للإله الهندى أندرا، إله الرعد والبرق أو ملك الآلهة.

(٨٧) كاندالا اسم عام لكل الطوائف المنبوذة، أى التى تقوم بأعمال وضيعة من منظور البراهما الهنود، ويطلق عليهم البراهما مصطلح شاندالا.

فبريط نفسه بمن يتم التمييز ضدهم، أعلن دايشونين "نبل الروح" من خلال الإيمان بلوتس سوترا من منظور الإنسان القابع فى قاع المجتمع. كذلك أعلن دايشونين المساواة الأساسية للنوع بقوله، "يجب ألا يوجد أى تمييز بين البشر، سواء كانوا رجالاً أم نساء" (رسائل نيتشيرين، ص ٣٦١).

طهرانيان: بالنسبة للإنسان الحديث، فإن هذه الكلمات ليست شيئًا مبهرًا. ولكن اليابان فى القرن الثالث عشر كانت مجتمعًا مختلفًا تمامًا. والتعبير عن هذه الكلمات فى هذا الوقت كان يعنى اضطهاد من يقولها.

إيكيدا: يكمن تفرد المفهوم البوذى للمساواة فى رؤية طبيعة بوذا على أنها كامنة فى كل إنسان. إنها ليست مبنية على العطف على من يتم التمييز ضدهم، ولكنها تتأسس على احترام طبيعة بوذا والموجودة فى كل البشر بالقدر ذاته.

جاء فى الفصل العاشر من لوتس سوترا، بعنوان "البوديسوتفا لا يذم أحدًا" كان البوديسوتفا ينظر إلى كل البشر الذين يقابلهم باحترام، يصل إلى حد عبادتهم لأنهم يحملون شيئًا من روح بوذا. والمصطلح السنسكرينى للعبادة هو ناماس كارا، أو ناماس تى، وكلاهما يعنى "أحترمك".

طهرانيان: وحتى اليوم يقول الناس فى الهند ونيبال "ناماس تى" وذلك لتحية الآخرين. والتحية الهندية التى تتضمن ضم كفى اليد معًا والانحناء هى رمز للصلاة للإله الكامن فى الآخر.

إيكيدا: فى الأغلب فإن هذه التحية مستمدة من التقليد ذاته. دعنى أوجز ما قلت: إن أساس المفهوم البوذى للمساواة هو احترام الآخرين. إذا كنت تريد أن تساعد الآخرين المحتاجين لأنك أعلى منهم مرتبة، وأكثر منهم بركة، فإن طيبتك هذه ليست إلا نوعًا من الأنانية. يجب أن تكون أعمال الإيثار نابعة من احترام عميق لطبيعة بوذا الكامنة فى الشخص الذى تساعده؛ يجب أن تفكر فى أنك عندما تساعد هذا الشخص، فإنك تقدم خدمة لروح بوذا، وبهذا الشكل تمنع تحول الإيثار إلى النفاق.

طهرانيان: هذه كلمات تثير الإعجاب حقًا. سأحفر كلماتك فى قلبى.

لقد تحدثنا كثيرًا عن المفهوم الإسلامى للمساواة، ولكن دعنا نقارنه بالمفهوم البوذى للمساواة. لقد ظهر الإسلام فى عام ٦٢٢م حينما كان العرب - بالإضافة إلى الإمبراطورية الفارسية الساسانية(٨٨)، والإمبراطورية البيزنطية(٨٩) فى غربى أسيا - يتميزون بأشكال بشعة من عدم المساواة تشبه نظام الطوائف.

إيكيدا: وقد أصبحت مكة، بموقعها على هامش الإمبراطوريات الكبرى فى غربى آسيا وأوروبا، مركزًا تجاريًا حيويًا بين جنوبى وغربى أسيا. ورغم ذلك، فإنه فى الوقت ذاته فإن العوز الموجود جنبًا إلى جنب مع الوفرة كان يزداد، كما أن التباينات الاقتصادية كانت تتسع.

طهرانيان: كما هو الحال دائمًا، فإن الرخاء لابد أن يكون الوجه الآخر لتضخيم عدم المساواة. وكما رأينا، فإن رسالة التوحيد والمساواة بين البشر التى قدمها رسول الإسلام محمد، سرعان ما اكتسبت الأتباع ولكنها جلبت عليه أيضا انتقام قبيلته قريش. ومن ثم، كان عليه وعلى المؤمنين برسالته أن يهاجروا من مكة إلى المدينة. وقد وضعت الدولة الإسلامية الأولى فى المدينة أسس المساواة بين المسلمين وغير المسلمين.

إيكيدا: تقصد دستور المدينة.

طهرانيان: نعم، فقد نص الدستور على المساواة بين المسلمين جميعًا أمام الله عدا من تميز منهم بتقوى الله.

---

(٨٨) الإمبراطورية الفارسية الساسانية، هى الإمبراطورية الفارسية الثانية . استمرت خلال الفترة من ٢٢٦ إلى ٦٥١م . أسسها أردشير وسقطت أمام الفتح الإسلامى، وشملت ولايتها إيران والعراق وأرمينيا وأفغانستان وشرقى تركيا (الحالية) وأجزاء من الهند وباكستان وأسيا الوسطى .

(٨٩) الإمبراطورية البيزنطية، إمبراطورية رومانية شرقية ، كانت تعتنق الأرثوذكسية وتتحدث اليونانية، وكانت عاصمتها القسطنطينية، ونشأت أساسًا فى الأناضول فى القرن الرابع وانتهت فى القرن الخامس عشر بعد أن سقطت عاصمتها فى يد العثمانيين سنة ١٤٥٣ .

إيكيدا: كان يسمح لغير المسلمين بأن ينظموا شئونهم باعتبارهم ذميين، إذا دفعوا الضريبة. أليس كذلك؟

طهرانيان: نعم. أصبحت جماعاتهم المستقلة تحت حماية الدولة الإسلامية. وفى هذا الوقت، كان الرق وقتل البنات الصغار من العادات الشائعة فى شبه الجزيرة العربية. لقد حظر الإسلام تماماً قتل البنات الصغار، كما نص على إمكانية تحرير العبيد إذا أسلموا. وأصبح تحرير العبيد من أعمال التقرب إلى الله.

إيكيدا: لم نسمع من قبل أن الإسلام كان سبباً فى تحرير العبيد.

طهرانيان: لقد عانت النساء واليتامى من أوضاعهم السيئة فى ذلك الزمن؛ ولهذا قنن الإسلام الأحوال الشخصية بالتفصيل لكى يحمى حقوق الأطفال. وبالمعايير الراهنة، فإن القوانين الإسلامية المتعلقة بالزواج والطلاق والمواريث تكرس عدم المساواة بين الرجال والنساء(٩٠)، ولكن المجتمعات الإسلامية تحاول تغيير ذلك الحال.

إيكيدا: ولأن النبى محمد ولد يتيما، فقد وضع عدداً من القواعد التى تضمن الحماية الكريمة للأيتام ولكل من يعيش فى عوز.

وفى المجتمعات القبلية قبل الإسلام، كان حق الميراث مقصوراً على الذكور، ولكن النبى محمد أعطى للنساء واليتامى حق الميراث كذلك.

طهرانيان: إن القاعدة سيئة السمعة الواردة فى القرآن والتى تبيح للرجل أن يتزوج أربع نساء، بشرط أن يستطيع أن يعدل بينهن، يمكن تفسيرها على أنها تقررت لمساعدة الأرامل واليتامى اللاتى فقدن أزواجهن أو آباءهن فى الحروب.

كذلك، فقد وضع النبى محمد قواعد للتعايش بين المسلمين وغير المسلمين، متقدمة بكثير على مستويات التسامح السياسى والدينى فى زمانه. ومن ثم، فقد كان الإسلام نظاماً متقدماً بالنسبة لعصره.

---

(٩٠) ليس صحيحا أن قوانين الأحوال الشخصية فى الإسلام تكرس عدم المساواة بين الرجال والنساء .

إيكيدا: تقصد ضمان الأمن لغير المسلمين من الذميين، والذى ورد فى دستور المدينة. إن إدماج الأقليات فى النظام القانونى للمدينة شىء يثير الإعجاب.

طهرانيان: لقد أكد بعض المؤرخين الأوروبيين والأمريكيين أن المجتمعات التقليدية الإسلامية، أظهرت قدرا كبيراً من المساواة والتسامح بشكل يفوق الغرب المسيحى التقليدى.

إيكيدا: على سبيل المثال، فإن المؤرخ مارك كوهين[٩١]، خلص من مقارنته بين المجتمعات الإسلامية فى العصور الوسطى واضطهاد اليهود فى أوروبا، إلى أن الذميين كانوا محميين فى المجتمعات الإسلامية ولم يكونوا مضطهدين، رغم وجود بعض أشكال عدم التساوى فى نظام الضرائب.

طهرانيان: على سبيل المثال، فإن نظام الملة فى الدولة العثمانية أعطى للأقليات الدينية درجة من الاستقلالية لم تتمتع بها الأقليات المسيحية المضطهدة فى العالم المسيحى ذاته. ولكن مع نشوب الحروب العربية الإسرائيلية، فإن مركز اليهود فى الدول الإسلامية اهتز. وفى بعض الدول، مثل إيران والسودان، يتم اضطهاد البهائيين[٩٢] والمسيحيين أيضاً.

إيكيدا: على سبيل المثال، لقد أقام اليهود مجتمعاتهم الخاصة التى استطاعوا من خلالها الحفاظ على تقاليدهم الثقافية. والمساواة ليست مرادفاً للتماثل. يجب أن نسلم بوجود اختلافات بين البشر، ولكن يجب ألا نميز بينهم استناداً إلى تلك الاختلافات. وإزالة الاختلافات بين البشر لا تعنى إطلاقا تحقيق المساواة.

---

(٩١) مارك كوهين، باحث أمريكى، ولد سنة ١٩٤٣، أستاذ تاريخ الشرق الأدنى فى جامعة برنستون، وتخصص فى دراسة حال اليهود فى العالم الإسلامى، وله فى ذلك كتاب "بين الهلال والصليب"، وهو أحد كبار الدارسين لهذا الموضوع .

(٩٢) البهائيون هم اتباع "الدين البهائى"، الذى أسسه الميرزا حسين على النورى (بهاء الله) فى فارس فى القرن التاسع عشر. يؤكد الدين البهائى على الوحدة الروحية للبشر والأديان والآلهة، ويعتقد البهائيون أن بهاء الله هو رسول الله فى سلسلة الرسل ، وبذلك الاعتقاد ليسوا من المسلمين . ويبلغ عدد اتباع هذا الدين حوالى ٥٠ مليون نسمة بعيش حوالى نصفهم فى الهند .

طهرانيان: إن التوجه فى المجتمعات الجماهيرية الحديثة نحو استعمال المقياس ذاته لتحديد وضعية الإنسان، ليس توجها عادلاً. واختبارات الذكاء هى مثال على ذلك، فباستخدام اختبارات نمطية تقيس الاستعداد اللفظى والرياضى، يتم التغاضى عن أشكال أخرى للذكاء، مثل البراعة الجسمانية، والموهبة الموسيقية، والمهارات الاجتماعية(٩٣).

إيكيدا: بالضبط، فاختبارات الذكاء لا يمكن أن تقيس درجة احترام الآخرين، أو شجاعة الإنسان فى خوض الحرب ضد الشر رغم أن هذه الصفات الروحية هى أعظم الفضائل البشرية.

طهرانيان: يتطلب إقامة العدل والمساواة أن ننطلق من افتراض التفاوت الإنسانى، والاحتفال بقيمته. إن المجتمع يخدم قضيتى المساواة والعدل بشكل أفضل عندما يجعل من تحقيق الإمكانات المختلفة لكل فرد شرطًا لتحقيق إمكانات كل فرد آخر. فاختلافات النوع والعرق والسن يجب أن تُحترم وأن يُحتفى بها بدلاً من أن تكون أساسًا للتمييز.

إيكيدا: يجب أن تكون التفاوتات أساسًا للاحترام، وليس التمييز. هذه فعلاً فكرة رائعة. أوافق تمامًا على ما تقول.

إن الرؤية البوذية التى تقوم على الكلمات التالية، "الكريز والبرقوق والخوخ والمشمش"، هى أيضًا بمثابة تأكيد للفردية والتنوع. فلكل فاكهة مذاقها وقيمتها الخاصة. وحينما تدع كل إنسان يظهر فرديته، يستفيد المجتمع من ثراء وثمار التنوع.

طهرانيان: هذا حقيقى تماما.

---

(٩٣) اختبار الذكاء (IQ) هو اختبار نمطى يتألف من عدة اختبارات فرعية هدفها قياس مدى ذكاء الشخص. وتتضمن الاختبارات حل عدد من المشكلات خلال فترة زمنية محددة وتحت الإشراف، ومن تلك المشكلات تذكر الأحداث الغريبة ، والسرعة الإدراكية، وتنتمى الاختبارات إلى رقم معين يعطى للشخص .

الفصل السادس

صدام الحضارات

إيكيدا: فى ديسمبر سنة ١٩٩٨، شنت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى هجوماً بالقنابل على العراق.

طهرانيان: فى تقديرى يجب ألا ننظر إلى العراق باعتبارها مشكلة معزولة عما عداها. لقد حان الوقت لكى تجتمع الدول المعنية لإنشاء أدوات لبناء أمن مشترك فى منطقة الخليج الفارسى ككل، من منظور بعيد الأمد. يجب أن تجتمع دول الخليج الثمان، والدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن لإجراء حوارات عميقة حول كل القضايا ذات الأهمية.

إيكيدا: لعل من أهم الأمور هو البحث عن رؤية شاملة ومتعددة الأبعاد لهذا الإقليم، تتضمن خططاً لتخفيض التسلح بهدف تخفيف حدة التوتر الكلى، وبناء تعاون اقتصادى إقليمى. أتمنى أن أرى معهد تودا يتعامل مع تلك المشكلات باحثاً لها عن حلول محددة.

طهرانيان: فى الحقيقة، لقد أنشأ المعهد "منتدى الأمن لغربى آسيا" والذى عقد اجتماعات فى إستانبول سنة ١٩٩٩، وفى قبرص سنة ٢٠٠٠، ولقد تعاملنا مع أصول المشكلة، واقترحنا عدداً من المشروعات نحو حل شامل. ويشكل الدبلوماسيون والعلماء الذين شاركوا فى تلك الاجتماعات نواة صانعى السلام فى المنطقة.

إيكيدا: حسناً، لقد جاءت هذه المبادرة المهمة فى وقتها. أتمنى لكم كل النجاح. إبان حرب الخليج فى يناير سنة ١٩٩١، كتبت قصيدة شعر تعبر فيها عن رؤيتك لتلك

الحرب، كما أن ابنتك مريم، وكان عمرها ستة عشر عامًا آنذاك، كتبت قصيدة شعر ردًا على قصيدتك. لقد كان ذلك حوارًا جميلاً بين الأب وابنته. وتقول قصيدتك فى أحد أجزائها:

الحروب

تستحضر الشياطين فينا

شياطينى

أجلدك بالسياط

بلسانى الأحمر السام

ورماح الغضب الباردة لكى افترس

كل إنسانيتك

بطمعى وتفاهتى اللامحدودة

وفى خطابه التاريخى فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٥٧، الذى طالب فيه بحظر القنابل الذرية والهيدروجينية، تحدث جوشى تودا أيضًا عن الشيطان: "نحن شعوب العالم، لدينا جميعًا الحق فى أن نحيا. وكل ما يهدد حقنا فى الوجود هو شيطان، إبليس، وحش!" إن شعرك يعكس إلى حد كبير صيحات معلمى.

طهرانيان: إننى معجب أشد الإعجاب بالرؤساء الثلاثة الأوائل لسوكا جاكاى. لقد واجهوا جميعًا صعوبات شخصية هائلة، ولكنهم كرسوا حياتهم لما فيه منفعة البشرية. ومن خلال أعمالهم الشجاعة، بلوروا قيما نبيلة وجميلة. إن أعدادًا لا يمكن حصرها من البشر تعانى فى عالمنا، ولكن عددا قليلاً منهم يستطيع إعادة توجيه حياته نحو القضية النبيلة وهى القتال من أجل بنى البشر.

إيكيدا: لنتغلب على متاعبنا الشخصية، ونحول أنفسنا إلى أشخاص جدد يمكن أن يسهموا فى تحقيق الخير للبشر، هذا هو نموذجنا المثالى "للثورة الإنسانية". إنه أيضًا نقطة الانطلاق لحركتنا من أجل السلام العالمى.

لقد أنشئ معهد تودا لوضع الأسس اللازمة لإرشاد البشر لتحقيق السعادة. ربما لا يكون هناك ثمة شيء مثير فى عملنا، ولكن الشيء المهم هو أن نستمر فى تحقيق الهدف النبيل مثلما تتحطم الموجات على الصخور. فالمياه تعود فى شكل موجات لا نهائية، لتنحر الحواف الخشنة والقاسية للصخور. والإنسان الذى يبذل مثل هذا الجهد الذى لا يكل هو حقيقة "بطل" بين الكائنات البشرية. وحتى الآن، كنا نتحدث عن البوذية والسلام. والآن دعنا نركز نقاشنا حول "الحوار المفتوح" بين الحضارات.

رؤى للحضارات ، توينبى وغيره

إيكيدا: تذكرنا كلمة "حضارة" بالنظريات التى قدمها مفكرون من أمثال أوزوالد شبنجلر(٩٤)، وأرنولد توينبى. ففى رؤاهم الكلية للتاريخ الإنسانى، وظفوا مفهوم "نشأة وسقوط الحضارات"، رغم التفاوت الشديد بين نظرياتهم. ففى كتابه "اضمحلال الغرب"، افترض شبنجلر أن كل حضارة كانت منغلقة على ذاتها، ومنعزلة عن الحضارات الأخرى، وتتضمن كل العناصر اللازمة لها. افترض كذلك أن كل الحضارات شهدت العملية ذاتها، بدءًا من "الميلاد"، وصولاً إلى "الاضمحلال". وقد شهد التاريخ هذه العملية تتكرر فى مختلف أرجاء العالم.

من ناحية أخرى، لم يعتقد توينبى أن عمليات تطور الحضارات اتخذت نمطًا واحدًا. ففى كتابه «دراسة التاريخ» وظف توينبى أفكار "التحدى والاستجابة"، وأكد أنه حتى مع توافر الظروف الطبيعية ذاتها (التحديات)، فإن الحضارات تستجيب بشكل مختلف، مما أنتج أنماطًا مختلفة من التطور.

(٩٤) أوزوالد شبنجلر (١٨٨٠- ١٩٣٦)، فيلسوف ألمانى، اشتهر بتقديم نسق فلسفى يفسر تاريخ الثقافة الإنسانية، وذلك فى كتابه "تدهور الغرب"، حيث أكد أن كل ثقافة تمتلك "روحا" وأسلوبا فريدا خاصا بها، وأن كل الثقافات تمر بدورة تشبه دورة الكائنات الحية، وأن الثقافة الأوروبية دخلت المرحلة الأخيرة لوجودها وهى مرحلة التوسع التكنولوجى والسياسى.

طهرانيان: إن موضوع الحضارات هو موضوع مثير دائما. لقد وضحت الرؤى العامة لكل من شبنجلر وتوينبى، وقد وظف كلاهما استعارات عضوية لكى يقول إن الحضارات، مثلها مثل الكائن الحى، تمر خلال دورات من الميلاد، والشباب، والنضج، والشيخوخة، والموت. هناك آخرون، من أمثال كارل ماركس[٩٥]، وماكس فيبر[٩٦]، وسيجموند فرويد[٩٧]، وبيتريم سوروكين[٩٨]، وإلياس نوربرت[٩٩]، والعديد من علماء الأنثروبولوجيا الذين اهتموا بمشكلات الثقافة والحضارة، كيف تنشأ، وتتطور، وتضمحل، وتموت.

إيكيدا: لقد كان لدى اهتمام شخصى برؤى تاريخ الحضارات، مما أدى إلى حوار استمر عشرة أيام حول الموضوع مع أرنولد توينبى فى منزله فى لندن. لقد كان ذلك منذ ثلاثين عامًا، ومازالت لدى ذكريات عطرة عن حواراتنا.

---

(٩٥) كارل ماركس (١٨١٨- ١٨٨٣) فيلسوف ثورى وناشط سياسى ألمانى أسس بالاشتراك مع إنجلز الفلسفة الشيوعية المعاصرة، وقدم مفهوم "الاشتراكية العلمية" باعتبارها النهاية الحتمية للتطور التاريخى للبشرية، وأكد أن المادية الجدلية هى محرك التاريخ، وأن هذا التحريك يأخذ شكل صراع الطبقات. كانت فلسفته هى ملهم الثورة البلشفية فى روسيا سنة ١٩١٧ والثورة الشيوعية فى الصين سنة ١٩٤٩ .

(٩٦) ماكس فيبر (١٨٦٤- ١٩٢٠) هو ماكسيمليان فيبر، فيلسوف وعالم اجتماع ألمانى، يعتبر مؤسس علم الاجتماع والإدارة العامة المعاصر. من أشهر أعماله دراسة عن "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" والتى دشنت أعماله عن علم الاجتماع الدينى، كما أن أعماله عن البيروقراطية أسهمت فى علم الإدارة العامة .

(٩٧) سيجموند فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩) عالم نفس نمساوى أسس مدرسة التحليل النفسى، وهى مدرسة تركز على فحص العمليات العقلية اللاشعورية، وتطوير أدوات للعلاج النفسى بناء على ذلك. واشتهر بنظريته عن الأصول الجنسية للنظام العصبى، وأثر اللاشعور. من أهم كتبه محاضرات تمهيدية جديدة حول التحليل النفسى وموسى والتوحيد".

(٩٨) بيتريم سوروكين (١٨٨٩- ١٩٦٨) عالم اجتماع وناشط سياسى روسى أمريكى. سُجن فى الفترة القيصرية من تاريخ روسيا، وكان عضواً فى حكومة كيرنسكى المؤقتة. وعارض الثورة البلشفية وحكم عليه بالإعدام ثم بالنفى. هاجر إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٢٣، وأسس قسم علم الاجتماع بجامعة هارفارد. من أهم كتبه كتاب "الديناميات الاجتماعية والثقافية"، حيث قسم المجتمعات طبقا لهويتها الثقافية، وتنبأ بانهيار الحضارة الغربية، كما اشتهر بنظريته فى الدورات الاجتماعية.

(٩٩) إلياس نوربرت (١٨٩٧- ١٩٩٠)، عالم اجتماع ألمانى يهودى الأصل ، ركز فى أعماله على العلاقة بين القوة والسلوك والعاطفة والمعرفة عبر الزمن، ويعتبر مؤسس "علم الاجتماع التكوينى"، كما أنه مؤلف كتاب "عملية الحضارة" .

وقد سجلنا حوارنا فى كتاب "اختر الحياة"، الصادر عن مطبعة جامعة أكسفورد سنة ١٩٧٦ . فى هذا الحوار رفض توينبى فكرة أن البيئة الطبيعية تحدد مستوى الابتكارية لدى البشر، وبدلا عن تلك الفكرة أكد على الأهمية المحورية لكيف يستجيب البشر للتحديات البيئية باعتبارها مصدر الابتكارية.

طهرانيان: لقد قرأت كتاب "اختر الحياة" باهتمام عظيم.

الرؤى المتمركزة حول الغرب للتاريخ والهيمنة الثقافية

إيكيدا: اعتقد أن أحد أهم إسهامات توينبى، هو تقديمه للفكرة المضادة للفكرة التى كانت سائدة عن التاريخ باعتباره متمركزا حول الغرب. إن تقدم الأنثروبولوجيا الاجتماعية - بالإضافة إلى عوامل أخرى - قد أدى إلى إنهاء هيمنة القيم الغربية، وأدى إلى بروز النسبية الثقافية، والتى ترفض الاعتراف بأى تراتب تدرجى للثقافات. وقد كان توينبى رائدًا للترويج لرؤية أكثر توازنا للتاريخ.

طهرانيان: أعتقد أن هذا صحيح تمامًا. فحتى هذا الوقت، كان الاتجاه الغربى السائد يؤكد أن الغرب هو ذروة لكل ما يعتبر "متحضرًا"، بالمقارنة بالثقافات والحضارات الأخرى والتى تأتى متأخرة عنه.

لقد فقدت تلك النظرة مصداقيتها تمامًا. وعلى أى حال، فإن الغرب لم يستطع أن يتباهى بحضارته "المتقدمة" إلا فى العقدين الأخيرين، فليس ثمة مؤرخون يستطيعون الادعاء بتفوق الغرب فى العصور الأخرى.

إيكيدا: فى بداية حوارنا، تحدثنا عن أثر الإسلام على أوروبا، والآن هناك ثمة اعتراف مشترك بأن الغرب لم يكن سيدًا بصفة دائمة.

طهرانيان: إن أحد الأمثلة الصارخة للنظرة المتمركزة حول الغرب للتاريخ هو قيام الأنثروبولوجى إدوارد تايلور[١٠٠] فى القرن التاسع عشر بالتطبيق الصارم لنظرية

---

(١٠٠) إدوارد تايلور (١٨٣٢- ١٩١٧) عالم أنثروبولوجيا إنجليزى، أسهم فى الدراسة العلمية للأنثروبولوجيا، يمثل تيار "التطورية الثقافية" فى هذا الحقل، حيث رأى أن هناك أساسا وظيفيا ثقافيا لتطور المجتمعات ينطبق عليها جميعا .

التطور. إن كتاباته سنة ١٨٩٥ تقول: "يمكن تصنيف الحياة البشرية إلى ثلاث مراحل: الوحشية، والبربرية، والمتحضرة، وحشية الغابات البرازيلية، وبربرية النيوزيلندى أو الداهومى، وتحضر الأوروبى."

لم يتحدَّ أحد هذا التعالى الغربى بشكل حقيقى إلا بعد حدوث حربين عالميتين بين أطراف غربية؛ وحرب باردة، وعمليات متعددة لإبادة الجنس، وتهديد نووى، وأزمة بيئية، مما أظهر زيف هذا التعالى.

إيكيدا: بما أننا قد رأينا عواصف "اللاإنسانية" والمآسى المتعددة التى عصفت بأوروبا، فإننا نتساءل عما هو بربرى حقيقة، وما هو تقدم حقيقة. فى الوقت ذاته يجب ألا نتطرف فى الاتجاه المضاد قائلين إن الحضارات غير الغربية أكثر سموًا. مثل هذه النظرة المتحيزة لا تقودنا إلى أى شىء.

يجب أن نكون حذرين للغاية كيلا نقع أسرى الهيمنة الثقافية بالنظر إلى حضارتنا باعتبارها أكمل الحضارات. إن خطر الهيمنة الثقافية كامن ليس فقط فى الحضارة الغربية، ولكن فى الحضارات الأخرى أيضًا.

طهرانيان: حديثًا أوضح بعض العلماء مثل إدوراد سعيد، وميشيل فوكو[١٠١]، وناعوم تشومسكى[١٠٢]، أن مشروعات الهيمنة الثقافية لا تنبع فقط من أى تفوق حقيقى لثقافة على غيرها، ولكنها تعبر أساسا عن السعى نحو القوة والسيطرة. والحق، أنه فى عصر العولمة، لا يمكننا أن نتحدث عن التفوق أو التدنى الثقافى، ولكن يجب أن نركز على الحوار الثقافى والتفاوض.

---

(١٠١) ميشيل فوكو (١٩٢٦– ١٩٨٤) فيلسوف وناشط وعالم اجتماع فرنسى، عُرف بدراساته النقدية للمؤسسات الاجتماعية والعلوم الاجتماعية، وللعلاقات بين السلطة والمعرفة، والخطاب. من أشهر كتبه "الجنون والحضارة"، و"تاريخ الجنس"، و"أركيولوجية المعرفة".

(١٠٢) ناعوم تشومسكى، عالم لغويات وفيلسوف وناشط سياسى أمريكى، ولد سنة ١٩٢٨، وعمل أستاذا فخريا للغويات فى معهد ماساشوستس للتكنولوجيا. وتعتبر نظريته فى قواعد اللغة التتابعية إحدى أهم المساهمات لعلم اللغويات فى القرن العشرين، بالإضافة إلى مساهمته فى تعميق فكر اليسار الأمريكى المعارض للهيمنة الأمريكية.

إيكيدا: وهذا هو بالضبط ما يسعى حوارنا إلى تحقيقه.

طهرانيان: حقا، نحن ذاهبون إلى عصر ما بعد الهيمنة والذى سيكون فيه الحوار والتفاوض الحقيقى أكثر أهمية من القوة والسيطرة.

الحضارة: أداة لتنظيم الثقافات

طهرانيان: قبل أن نستطرد، دعنى أوضح الفروق المفاهيمية بين الثقافة والحضارة.

إيكيدا: نعم، فغالبًا ما يتم الخلط بين المصطلحين.

طهرانيان: إننى اعتبر أن "الثقافة" هى بمثابة التعبير عن أشكال الحياة الإنسانية، أما "الحضارة" فهى بمثابة محاولات ضبط وتوجيه الأشكال الثقافية نحو تكوينات مادية و (أو) أخلاقية معينة. وبالتالى، فالحضارات تُنظِّم بشكل واع، كما أنها تشكل أنساقا اجتماعية معقدة تتكون من تكوينات قانونية، وتكنولوجية، واقتصادية، وسياسية وتشمل ثقافات متنوعة.

فهناك، على سبيل المثال، حضارة غربية تشمل ثقافات بريطانية، وفرنسية، وألمانية، وأمريكية، وغيرها. وهناك أيضًا حضارة عالمية إنسانية تنشأ نتيجة تفاعل الحضارات الشرقية، والغربية، والجنوبية، والشمالية، وبالتالى، فإن الحضارة هى وحدة مفيدة للتحليل.

إيكيدا: مع صعود العولمة فى العقود الأخيرة، فإن مصطلح "الحضارة العالمية" يصبح له معنى حقيقى بكل تأكيد. ولكن التوجه الراهن نحو العولمة يبدو أنه يفتقر إلى مسار واضح، بما يؤدى إلى ظهور عوامل جديدة لعدم الاستقرار.

وبما أن العولمة هى اتجاه لا يمكن صده، فنحن إذن فى حاجة إلى رؤية أو فلسفة واضحة تقدم لنا مسارًا واضحًا تتقدم فيه العولمة.

طهرانيان: صحيح، بما أن كل حضارة تعظم قيمًا ومعايير معينة على حساب قيم وقواعد أخرى فى بعض الأحيان، فنحن فى حاجة إلى بعض الوضوح فيما يتعلق بما يشكل معايير مرغوبة للحضارة العالمية التى هى فى طور التشكيل.

وأقترح أن نعتبر الحوار والتحول من النرجسية الثقافية إلى الإيثار الثقافى أساسًا لمثل هذا التطور الحضارى. ويبدأ ذلك من افتراض أن المركزية العرقية مازالت ظاهرة عالمية. بعبارة أخرى، فإن معظم التكوينات الثقافية تعتبر ذاتها أسمى من غيرها ما لم تواجه التحديات التى تحدث عنها توينبى من الداخل ومن الخارج. إن هذا هو السبيل إلى ظهور قيم جديدة أكثر فعالية. إن عبقرية سوكا جاكاى تكمن فى الاعتراف بتلك العملية وتثمينها.

إيكيدا: هذا هو لب الموضوع. فى مشروعى للسلام الذى قدمته فى ٢٦ يناير سنة ١٩٩٨، اقترحت فكرة "المنافسة الإنسانية"، والتى سبق أن قدمها ماكيجوتشى، والتى كان يُقصد بها "إفادة الذات فى الوقت الذى نفيد فيه الآخرين". بناء على تلك الفكرة، فقد طالبت بتغيير معاييرنا السلوكية من "التنافس"، نحو "خلق القيمة التشاركى". أعتقد أن هذا التحول ضرورى لفتح طريق "لحضارة عالمية" تُبنى على "التسامح"، و"التلاقح" – وهو طريق ثالث لا يقودنا إلى نظام عالمى متماثل تسوده مجموعة من القيم، ولا إلى نظام عالمى فوضوى وفسيفسائى.

طهرانيان: أتفق معك بكل جوارحى. يجب أن تتحول قيم بنى البشر من النرجسية الثقافية، إلى الإيثار.

التفاعل بين الثقافات، اليابان والغرب

طهرانيان: دعنا الآن نلقى نظرة على التاريخ الراهن. بصفة عامة فإن الاستجابة لتحديات التفاعل الثقافى تتراوح ما بين الرفض، إلى المحاكاة، إلى الأقلمة. ويوضح التقاء معظم الثقافات الآسيوية مع الغرب هذه النقطة. فتشير حالة اليابان على وجه الخصوص إلى أن استجابة اليابانيين الأولية للغرب كانت الرفض الكامل "للبرابرة".

إيكيدا: هذا صحيح، فقد كان مصطلح "البرابرة الجنوبيين" مصطلحا رمزيا، يحمل فى طياته ليس فقط الاحتقار، ولكن أيضًا الشعور بالعزة وعدم التوافق مع المجهول. هذا ما أعتقده. كان ذلك فى منتصف القرن السادس عشر أى سنة ١٥٤٩، قرب نهاية عصر موروماشى(١٠٣)، عندما وصل القديس فرانسيس زافيير(١٠٤)، المبشر الجزويتى(١٠٥)، إلى اليابان. وقد استعمل مصطلح "البرابرة الجنوبيين" من نهاية عصر موروماشى وحتى عصر إدو(١٠٦).

طهرانيان: حاولت اليابان فى المراحل التالية أن تغلق حدودها أمام التغلغل الغربى. ولكن بعد وصول الكومودور بيرى(١٠٧) إلى شواطئها بعد ثلاثة قرون، أى سنة ١٨٥٣، لم تستطع اليابان أن تقاوم القوة الغربية، والهيمنة الثقافية. فى سنة ١٨٥٤

---

(١٠٣) موروماتشى، أحد حكام اليابان الذين دشنوا ما يعرف باسم فترة موروماتشى (١٣٣٦ - ١٥٧٣)، وهى من فترات حكم الشوجونات. بدأت الفترة بحكم أول موروماتشى شوجون وهو أشيكاجاتا كاهو. وشهدت تلك الفترة إعادة إحياء الديانة الشنتوية، وبدء وصول الأوروبيين (البرتغاليين) إلى اليابان عبر ميناء كيوتو .

(١٠٤) القديس فرانسيس زافيير (١٥٠٦ - ١٥٥٢) قديس من إقليم الباسك الأسبانى، وكان من رواد التبشير المسيحى الرومانى الكاثوليكى، وأحد مؤسسى "جمعية المسيح"، وتعتبر الكنيسة الكاثوليكية الرومانية أنه حول بشرا إلى المسيحية أكثر من أى شخص آخر منذ عهد القديس بول. وكانت أنشطته مركزة فى جنوبى وشرقى آسيا .

(١٠٥) الجزويت هى "جماعة المسيح"، وهى طائفة كاثوليكية تنتمى إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، ويسمى أعضاؤها الجزويت، أو جنود المسيح لأن مؤسسها القديس إجناتيوس لويولا كان فارسا ثم أصبح كاهنا. وتعد تلك الجماعة أكبر الجماعات الكاثوليكية عددا، ولها كنائس فى ١١٢ دولة لنشر المسيحية. ويعد القديس سان فرانسيس زافيير من أبرز كهنة الجزويت .

(١٠٦) عصر إدو، ويسمى أحيانا فترة توكوجاوا، وهى فترة من التاريخ اليابانى تمتد من سنة ١٦٠٣ حتى سنة ١٨٦٨، وهى تتسم بحكم الإدو أو توكوجاوا شوجون والتى بدأت رسميا سنة ١٦٠٣ مع حكم أول إدو شوجون، وهو توكوجاوا لياسو، وانتهت الفترة مع مقدم عصر ميجى والذى اتسم باستعادة السلطة الإمبراطورية من آخر شوجون، وهو توكوجاوا يوشنبو. وتعرف فترة إدو بأنها بداية التحديث اليابانى المعاصر .

(١٠٧) الكومودور ماثيو بيرى (١٧٩٤ - ١٨٥٨)، ضابط بحرى أمريكى قاد السفن الحربية الأمريكية التى رست على الشواطئ اليابانية سنة ١٨٥٣، وأنذر توكوجاوا ليوشى، بغزو وفتح موانئ اليابان للتجارة، وأعطاهم مهلة للعام التالى لقبول الإنذار. وفى سنة ١٨٥٤ عاد بيرى ليوقع اتفاقا معهم حول فتح الموانئ اليابانية للتجارة تحت التهديد بالحرب، عرف الاتفاق باسم باسم "اتفاق كاناواجا" .

وقعت اليابان معاهدة صداقة وتجارة مع الولايات المتحدة، اختارت بموجبها منهجًا يقوم على محاكاة الغرب سعيًا لتحقيق التفوق فى العالم(١٠٨).

وقد عمقت مرحلة ميجى(١٠٩) من هذا الاختيار، ولكن عملية المحاكاة ذهبت إلى شوط أبعد فى القرن العشرين لتشمل محاكاة الإمبريالية والعسكرية الغربية.

إيكيدا: كما قلت يا دكتور طهرانيان، لقد بدأت اليابان فى طريق بناء "دولة غنية، وجيش قوى"، لكى تلحق بركب القوى الغربية. ولخشيتها من أن تتخلف فى السباق نحو السيطرة الاستعمارية، انخرطت اليابان فى تلك الأيام فى حروب خارجية بصفة مستمرة تقريبًا، فغزت جيرانها الآسيويين مرات ومرات.

وبالتالى، انتهى الأمر باليابان أن صارت عدوا لكل دول العالم تقريبًا حتى هُزمت على يد الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية.

طهرانيان: تعلم اليابانيون من هزيمتهم فى الحرب العالمية الثانية أنه لابد لهم أن يبدأوا فى إعادة البناء، وفى التخلى عن النزعة العسكرية، مع استحضار آخر منجزات العلم والتكنولوجيا من الغرب.

ومن خلال بعض الحركات الثقافية، مثل حركة سوكا جاكاى، مد بعض اليابانيين أيديهم لبقية العالم من أجل تنمية التبادل والحوار الثقافى، وذلك من أجل الابتعاد عن النرجسية الثقافية، والاقتراب من الإيثار الثقافى. إن حركة سوكا جاكاى الدولية، وهى الطبعة الدولية من سوكا جاكاى، ملتزمة بروح الحوار، وبقيم بوذية نيشرين، التى تدور حول قيم اللاعنف العالمى، والتعاطف.

---

(١٠٨) معاهدة كاناواجا معاهدة وقعها الكوموبور ماثيو بيرى الضابط بالبحرية الأمريكية مع ممثلى شوجون توكوجاوا ليوشى فى ٣١ مارس ١٨٥٤، وافقت بموجبها اليابان على فتح مينائى شيمودا وهاكودات أمام التجارة الأمريكية، وعلى اعتماد قنصل دائم للولايات المتحدة لدى اليابان. ودشنت المعاهدة إجبار اليابان على فتح أسواقها تحت التهديد باستعمال القوة العسكرية .

(١٠٩) ميجى اسمه الحقيقى موتسوهيتو، وكان إمبراطور اليابان بين عامى ١٨٦٨ و ١٩١٢ ، وهو الذى دشن فترة حكم شهدت خلالها اليابان عملية تحديث شاملة أدت إلى صعودها قوة كبرى. وقد أسس ما عرف باسم "فترة تحديثات ميجى"، وأسس الدولة على المفاهيم الشنتوية .

وعلى أى حال، إذا كانت قراءتى للتاريخ اليابانى صحيحة، فإنه من الممكن أن نطبق تلك الخبرة على الدول، والثقافات، والحضارات الأخرى أيضًا(١١٠).

إيكيدا: إن قراءتك للتاريخ الثقافى اليابانى صحيحة تمامًا. وإننى لممتن لكلماتك الرقيقة عن حركتنا. لقد تم إرساء التوجه الأساسى لسوكاجاكاى قبل الحرب حينما تم تأسيس الحركة. وقد دافع الرئيس الأول للحركة، ماكيجوتشى، عن فكرة "المنافسة الإنسانية" فى كتابه "جغرافية الحياة البشرية"، الصادر سنة ١٩٠٣ . فى هذه الفترة كانت اليابان تتحرك بسرعة صوب تحقيق هدف "دولة غنية، وجيش قوى".

وبعد الحرب، استمرت سوكا جاكاى فى السير على درب ماكيجوتشى، ودشنت حركة قوية من أجل سلام، وثقافة، وتعليم مبنى على الفلسفة البوذية.

وتنص الفقرة رقم ٨ من ميثاق سوكا جاكاى الدولية، والصادر فى خريف سنة ١٩٩٥ على ما يلى "سوف تحترم حركة سوكا جاكاى الدولية التنوع الثقافى، وتطور التبادل الثقافى، مما يسهم فى خلق مجتمع دولى مبنى على الفهم المتبادل والانسجام".

التقدم العلمى التكنولوجى والأخلاق الإنسانية

طهرانيان: يبدو أن التطور العلمى والتكنولوجى قد جعل من الممكن لبنى البشر أن يتمتعوا برفاهية غير مسبوقة، وثراء لم يُعرف من قبل، ولكن كما توضح خبرة القرن العشرين، فإنه لم يكن ثمة ما يضمن أن التقدم المادى سيكون مصحوبا بتقدم أخلاقى وروحى. فهذا القرن كان قرنًا تحقق فيه تقدم مادى مذهل. ولكنه فى الوقت ذاته كان أكثر العصور دموية فى كل التاريخ الإنسانى المدون.

ومع تفاقم معدلات القتل أو الضرب، وانتشار أسلحة الدمار الشامل، لم يتحقق بناء كوابح أخلاقية ومؤسسية موازية تتولى مهمة منع استعمال العنف لتسوية

(١١٠) يشير طهرانيان إلى إمكانية تطبيق الخبرة اليابانية على الدول الأخرى، وهو ما يتضمن الإشارة إلى إمكانية تحقيق التقدم الاقتصادى والتطور السياسى فى ظل قبول الاحتلال الغربى، وهى المقولة ذاتها التى قالها جورج بوش فى ٥ أبريل سنة ٢٠٠٢ ليبرر غزو العراق .

المنازعات الدولية. أضف إلى ذلك، أنه فى أتون الحروب يتحول البشر إلى برابرة حقيقيين، لا يلتفتون إلى أى معايير للسلوك الحضارى.

إيكيدا: كما أشرنا للتو، لقد كان للقرن العشرين جانب مضئ، وآخر مظلم. ويعتقد كينيث أرو، الأستاذ الفخرى بجامعة ستانفورد[١١١]، أن هذا القرن كان أفضل القرون من حيث التأثير، والنمو الاقتصادى، والمؤسسات الديمقراطية، والحريات الفردية، ولكنه فى الوقت ذاته، كان أسوأ القرون من حيث أنه أسفر عن أعداد فلكية من ضحايا الحروب، الصغيرة والكبيرة، والمذابح المدفوعة سياسيا، فى الوقت الذى تزايد فيه معدل تدمير البيئة العالمية.

وقد وصف كينيث أرو، الوجهين المتناقضين للقرن العشرين بأنهما انعكاس مباشر لازدواجية الطبيعة البشرية - الميل نحو الشر، والميل نحو الخير والوسطية. إننى أيضًا أشعر بقوة أنه فيما يتعلق بالأخلاق الإنسانية مازال أمامنا شوط كبير لكى نقطعه، ومن ثم فإنه مازالت هناك مشكلات متعددة أمامنا.

طهرانيان: أوافقك. والسؤال المهم هنا هو عن العلاقة بين التقدم الأخلاقى والتكنولوجى: هل يمكننا حقيقة أن نعتبر الأمة الأكثر تقدما من الناحية التكنولوجية، أكثر "تحضراً" من غيرها من الأمم؟ بالطبع لا يمكن، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار المعايير التى سبق أن اقترحناها آنفا، أقصد بذلك التحول من النرجسية الثقافية نحو الإيثار الثقافى.

ويتطلب الإيثار نسقًا من القيم وحالة ذهنية تمكننا من تفهم معاناة الآخرين. لا تستطيع الثقافات الإيثارية أن تحول الآخرين إلى موضوعات تقوم بتدميرها أو التلاعب فى مصائرها.

---

(١١١) كينيث أرو اقتصادى أمريكى، ولد سنة ١٩٢١، حاز جائزة نوبل فى الاقتصاد بالاشتراك مع جون هيكس سنة ١٩٧٢، وكان آنذاك أصغر من حصل على تلك الجائزة، (فى عمر ٥١ عامًا). يعتبر مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكى الجديد، ومن أهم مساهماته أعماله عن نظرية الاختيار الاجتماعى، وعن التوازن الكلى، ونظرية النمو الذاتى، واقتصاد المعلومات.

إيكيدا: التعاطف مع معاناة الآخرين – هذا فعلاً أحد الصفات المحورية الضرورية لجعل التعايش مع الآخرين ممكنًا.

وفى هذا الصدد تقول الفيلسوفة الفرنسية سيمون فيل(١١٢)، "إن التفاخر بعظمة الأمة يؤدى إلى استبعاد الآخر، وبالتالى لا يمكن أن نتقاسمه مع الأمم الأخرى. وبالعكس، فإن الاهتمام بمعضلات الآخرين هو أمر من شأنه التواصل معهم". انطلاقًا من فكرة الاهتمام المشترك، بحثت سيمون فيل عن نزعة إنسانية أكثر عالمية. وقد وجدت فى مفهوم "التعاطف الإيثارى" المدخل للتغلب على التفاخر وضيق الأفق بالجماعة التى ينتمى إليها الإنسان – أى عقلية "نحن".

طهرانيان: أستطيع أن أذكر عددًا آخر من المصطلحات التى تعبر عن هذا التفاخر ضيق الأفق، أو ما أسميه "النرجسية الثقافية". ومن تلك المصطلحات، "عبء الرجل الأبيض"، "والقدر المحتوم"، و"ألمانيا فوق الجميع"، و"اليابان، أرض الآلهة (الشنتو.. إلخ).

شعارات مثل "الإنسانية فوق الجميع"، و"فكر عالميًا وتصرف محليًا"، وتعبيرات مثل "سفينة الأرض"، و"فرضية جايا"(١١٣) هى كلها أمثلة لنشوء حضارة عالمية.

إيكيدا: كذلك تعلمنا البوذية أهمية "تفهم معضلات الآخرين"، باعتباره مصدر التضامن الإنسانى عبر الثقافات والأعراق. و"التعاطف" الذى ينشأ من تفهم معضلات الآخرين هو أساس روح البوذية.

---

(١١٢) سيمون فيل (١٩٠٩ – ١٩٤٣) فيلسوفة وناشطة سياسية ماركسية فرنسية، عملت دفاعًا عن الطبقة العاملة، وحاربت فى الحرب الأهلية الأسبانية سنة ١٩٣٦ إلى جانب الجمهوريين، ولكنها بعد سنة ١٩٣٧ تحولت نحو الإيمان الدينى والروحى ومزجت إيمانها بالكاثوليكية مع الديانات الأخرى كالهندوسية والبوذية، وانضمت إلى المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألمانى.

(١١٣) فرضية جايا، هى فرضية إيكولوجية تقول إن العناصر الحية وغير الحية على الأرض هى نسق معقد مترابط، يمكن النظر إليه على أنه كيان عضوى واحد وإن كل عناصر الحياة تنتج أثرًا تصحيحيًا على بنية الأرض بما يؤدى إلى تطوير الحياة بصفة عامة. وتنسب الفرضية إلى إلهة الأرض الإغريقية المسماة جايا، وكان جيمس لفلوك هو أول من صاغ الفرضية بشكل علمى فى الستينيات ونشر كتابه سنة ١٩٧٩ المعنون باسم "جايا: نظرة جديدة إلى الحياة على الأرض" وفى سنة ١٩٨٨ عقد عالم البيئة ستيفين شنايدار مؤتمرا فى سان ديجو بالولايات المتحدة لمناقشة فرضية جارما.

طهرانيان: أفهم ذلك تمامًا. إن استعادة الإنسانية، بمعنى "تفهم معضلات الآخرين" هى المهمة الأكثر إلحاحًا فى عصرنا. ولتحقيق هذا الهدف يجب أن ننشئ الإيثار، وليس الأنانية، باعتباره قيمة جديدة تحكم العلاقات بين البشر. ففى علاقتنا مع الآخرين ومع الطبيعة، يجب ألا نحكم على الآخرين على أساس مصالحنا الضيقة، أو نعاملهم باعتبارهم موضوعات يتم التلاعب بها لتحقيق أهدافنا الأنانية.

ورغم ذلك، أشعر أن الطريق مازال طويلا أمامنا قبل أن نستطيع أن نحقق رؤية مارتن بيوبر عن علاقة "أنا - أنت"، وليس "أنا - الشىء" مع البشر والطبيعة، أى معاملة الآخرين باعتبارهم قيمة فى حد ذاتها.

إيكيدا: نعم، لكن يجب ألا نستسلم بصرف النظر عما إذا كان التقدم الذى نحققه بطيئًا وغير واضح. يجب أن نتقدم إلى الأمام، خطوة خطوة.

طهرانيان: أنت محق تمامًا، لأننا إذا لم نفعل ذلك، فلن يكون هناك أمل فى مستقبل البشرية.

دلالات مقولة صراع الحضارات

إيكيدا: إن السؤال عما إذا كان صدام أو صراع الحضارات أمرًا محتومًا، أصبح محورًا رئيسًا فى مناظرات السياسة الدولية فى حقبة ما بعد الحرب الباردة. وقد بدأت المناظرة الحالية نتيجة لنشر مقالة "صراع الحضارات"، التى كتبها صاموئيل هنتنجتون، الأستاذ بجامعة هارفارد، فى مجلة "الشئون الخارجية" سنة ١٩٩٣ .

طهرانيان: هذا صحيح. فمقالته المثيرة دشنت مناظرة ساخنة معها أو ضدها.

إيكيدا: لقد صنف هنتنجتون عالم ما بعد الحرب الباردة، الذى يتسم بنهاية المواجهة الأيديولوجية، إلى ثمانى حضارات، صينية، ويابانية، وهندية، وإسلامية، وغربية، وروسية أرثوذكسية، ولاتينية أمريكية، وإفريقية. وتنبأ بأن صدام الحضارات

سيسود السياسة العالمية فى القرن القادم، وأن الاختلافات بين الحضارات ستشكل خطوط الانقسام فى النزاعات الدولية المستقبلية. ويدلل على ذلك بنشوب عدد من الصراعات فى مناطق متعددة مثل يوجوسلافيا، وآسيا الوسطى، والشرق الأوسط، تأسيساً على الحدود بين الحضارات.

طهرانيان: إن المقالة التى تضع الغرب ضد باقى الحضارات تشبه بعض أفكار القرن التاسع عشر. أحب أن أشير إلى أن المساهمات التى قدمتها تلك المقالة قبل أن أنتقل إلى انتقادها. لقد أسهمت المقالة فى إدخال الثقافة، والحضارات، والقيم، والأخلاق، والمعايير فى السياسة الدولية. كذلك، فقد أسهمت فى إضعاف الرؤى المتمركزة حول الدولة فى الشئون الخارجية.

إيكيدا: هل تستطيع أن تفسر لنا هذه النقطة بشكل أكبر؟

طهرانيان: حسناً ينتمى هنتنجتون إلى جيل من علماء السياسة الأمريكيين الذى صنفوا أنفسهم كواقعيين. ويرى هؤلاء أنه لا يجب أن يكون للقيم، والأخلاق دور مركزى فى إدارة العلاقات الدولية. وهم يقولون أنه بينما تتبنى السياسة الداخلية على التوافق الأخلاقى، فإن هذا التوافق لا يوجد فى السياسة الدولية. وكما قال هانز مورجنثاو، (١٩٠٤ - ١٩٨٠) مؤسس المدرسة الواقعية[١١٤]، فإن السياسة الخارجية يجب أن تدار على أساس معيار وحيد، وهو المصلحة القومية. إن الاعتقاد فى مثل هذه النظريات هو ما دفع الولايات المتحدة إلى الدخول فى الحروب الكورية، والفيتنامية، وحروب الخليج الفارسى.

إيكيدا: حينما تعتبر أن المصلحة القومية هى القيمة الأسمى، وتستبعد الأخلاق من المجتمع الدولى، فإن الحرب تغدو أحد البدائل المتاحة فى إدارة الشئون الخارجية.

---

(١١٤) هانز مورجنثاو (١٩٠٤- ١٩٨٠) مؤسس المدرسة المعروفة فى علم العلاقات الدولية باسم "المدرسة الواقعية"، وجوهرها نظرية القوة. وطبقا لهذه المدرسة، تعتبر الدول هى الوحدات الرئيسة فى العلاقات الدولية، والقوة هى المحرك الرئيس لسياسات الدول نحو تحقيق مصلحتها الوطنية. ومن أهم كتبه "السياسة بين الأمم".

إن الدولة التى تعمل بهدى من هذا التفكير تجد نفسها مدفوعة نحو الدخول فى الحروب، وهذا هو النقد الأساسى الذى يوجه لإعطاء المصلحة القومية قصب السبق. هل تعتقد أن هنتنجتون لم يكن واحدا من هؤلاء الواقعيين؟

طهرانيان: نعم، وبهذا المعنى فإن هنتنتجتون كان "تنقيحيًا"، أى أنه كان ينتمى إلى المدرسة الواقعية الجديدة. وبهذه الصفة، اعترف بالدور المركزى للثقافات، والحضارات والمعايير، والقيم فى العلاقات الدولية. ولكن هذا الاعتراف اتخذ منحى جيوسياسيا تقليديا واقعيًا. فقد قلل من شأن التنوعات الثقافية الكبرى فى العالم، وطابق بين الحضارات وبين أقاليم محددة، واعتبر أن الغرب هو حضارة مختلفة عن بقية الحضارات. كذلك توجد إشارات صريحة وأخرى مستترة فى تحليله تشير إلى أن الحضارة الغربية اسمى من غيرها، ومن ثم فإن مهمتها "الحضارية" فى بقية العالم هى مهمة منطقية. ويشير هنتنجتون بالتحديد إلى أن التحالف الصينى - الإسلامى يشكل التهديد الأكبر للقيم والرؤى الغربية، ولهذا ينبغى مواجهته.

ثلاث نقاط فى نقد مقولة هنتنجتون

إيكيدا: هذا حقيقى، فقد شهدت حقبة ما بعد الحرب الباردة نشوب صراعات محلية متتالية ، كما لو أن التناقضات الكامنة طفت إلى السطح مرة واحدة. كذلك، فإن الركود العالمى صحبه نشوب مواجهات اقتصادية خطيرة. ولا يمكن أن ننكر أن الموقف العالمى مازال مهتزًا.

لقد أدت تلك المعطيات إلى أن يكون لمقولة هنتنجتون تأثير قوى على تفكير أناس عديدين، سواء وافقوا معه أو لم يوافقوا. فأنا شخصيا لدى شك كبير فى إمكانية تحليل هذه المشكلة المعقدة من منظور "صراع الحضارات". فالمشكلة أن تلك المقولة قد تضلل بعض الناس بدفعهم إلى الاعتقاد أن الصراعات بين الحضارات هى مسألة حتمية، فكثيرًا ما تؤثر التوقعات المستقبلية على سلوكنا الراهن. ولهذا يجب أن نفحص بدقة مقولة هنتنجتون.

طهرانيان: أوافقك تماماً. فى تقديرى، فإن مقولة هنتنجتون هى "نرجسية ثقافية" فى ثوب جديد. ويمكن انتقادها استناداً إلى ثلاثة أسس، فلسفية، وإمبريقية، وعملية فمن الناحية الفلسفية، يؤدى أى شكل من النرجسية الثقافية إلى ضيق الأفق والتمييز الثقافي. وعالمنا الراهن، عالم العولمة، ليس فى حاجة إلى ضيق الأفق، ولكنه بحاجة إلى الحوار بين الثقافات. كما أن قيما معينة تتطلب تطبيقاً عالمياً، خاصة القيم المتعلقة بحقوق الإنسان التى نص عليها الإعلان العالمى لحقوق الإنسان والوثائق المكملة له. وأخيرا، فإنه من تبسيط الأشياء، أن نعادل بين الحضارات والتكوينات الجغرافية، وأن نؤصل قيمها كما لو أنه لا توجد فروقات داخل كل حضارة.

إيكيدا: أتصور ذلك، ولكن من المتصور أن فكرة أن هناك حقوقاً للإنسان يتشارك فيها كل البشر، ليست مجرد معياراً خارجياً. لابد أن لهذه الفكرة بعداً عالمياً ينشأ من داخلها. أعنى بذلك مفاهيم المساواة، والكرامة الإنسانية والتى تتطور من خلال الفحص الأساسى لحياة الإنسان الداخلية. خلال المؤتمر العالمى لحقوق الإنسان الذى عقد سنة ١٩٩٣ فى فيينا، كانت الدول الصناعية، والدول النامية منقسمة بشدة حول تعريف حقوق الإنسان. كانت فكرة عالمية حقوق الإنسان محور الحوار فى هذا المؤتمر، ولكن يجب فحص هذه الفكرة بدقة فى ضوء ما قلته للتو، وإلا لن يكون باستطاعتنا أبداً أن نتجاوز خطر انهيار الحوار.

طهرانيان: أعتقد أننى أعرف ما تقصده، إذ توضح قراءة التاريخ منذ ظهور لوتس سوترا، وقانون حمورابى[١١٥]، والوصايا العشر[١١٦]، والماجناكارتا[١١٧]، والإعلان

---

(١١٥) قانون حمورابى، أحد أقدم التقنينات المحفوظة تاريخيا، وقد صدر على يد الملك اليابانى السادس حمورابى حوالى سنة ١٧٦٠ ق. م. وقد صدرت قبله خمسة تقنينات فى العهد البابلى. ويتضمن القانون قائمة الجرائم والعقوبات المفروضة على من يرتكبها، وكيفية تسوية المنازعات بين المواطنين وإرشادات حول السلوك الصالح للمواطن.

(١١٦) الوصايا العشر قائمة من الأوامر الدينية والأخلاقية أنزلها الله على موسى فى جبل سيناء، وتمثل مكانة محورية فى اليهودية والمسيحية. ومن أهم تلك الوصايا: إننى الرب إلهكم، يجب ألا تعبدوا إلها غيرى، لا تجعل لك معبودا آخر، احترم أباك وأمك، ... وغيرها.

(١١٧) الماجنا كارتا، المسمى اللاتينى لوثيقة "العهد الأعظم"، وهى ميثاق إنجليزى صدر سنة ١٢١٥، واعتبر من أهم وأقدم المواثيق التى أثرت على التطور الديمقراطى فى أوروبا والولايات المتحدة. فرض الميثاق على ملك إنجلترا التخلى عن بعض الحقوق واحترام عدد من الإجراءات القانونية، واحترام مبدأ سيادة القانون، ونصت الوثيقة على احترام حقوق معينة للمواطنين.

الأمريكى لحقوق الإنسان[١١٨]، والإعلان العالمى لحقوق الإنسان، أن النقاش حول حقوق الإنسان كان جزءًا من التفاوض الثقافى وبناء التوافق العالمى. ومن ثم، لا تستطيع دولة أو حضارة بعينها أن تدعى احتكار ملكية مفهوم حقوق الإنسان.

إيكيدا: حقا، إن هذا صحيح تمامًا، فبدلاً من أن تدعى احتكار مفهوم حقوق الإنسان لكى تبرهن على بعد نظرها وسمو ثقافاتها، فإن الدول ينبغى أن تركز على الحوار المفتوح والتعاون المخلص حول طرق تطبيق حقوق الإنسان فى كل أرجاء المعمورة.

طهرانيان: أعتقد ذلك أيضًا، ومن الناحية الإمبريقية فإن تحليل هنتنجتون معيب بشكل خطير. رغم أن الثقافات الوطنية، والحضارات الإقليمية مازالت وحدات مفيدة للتحليل، فإن عمليات العولمة السريعة من خلال السوق العالمية والهجرة والاتصالات قد خلقت ظروفًا للاختلاط الثقافى. ولكن هنتنجتون حاول أن يحيى أفكار القرن التاسع عشر عن القومية تحت ستار النقاء الحضارى، ومثل هذا النقاء لا يوجد إلا فى ذهن من يتصورونه.

إيكيدا: فى اليابان كذلك نجد فكرة متجذرة، ولكن التاريخ لا يشهد على صحة معظم عناصرها، وهى أن اليابانيين هم عرق متجانس. مثل هذا التحيز، يتحول بسرعة إلى وهم تحت تأثير العولمة السريعة.

طهرانيان: صحيح. واليوم – وباستثناءات قليلة – لا يستطيع أى مجتمع أن يدعى النقاء العرقى أو الثقافى. فكل المجتمعات تقريبا متعددة الثقافات، وهى تصبح كذلك تحت تأثير العولمة. وربما كان من الأوفق أن نتحدث إمبيريقيا عن تجدد الثقافات

---

(١١٨) إعلان الاستقلال الأمريكى، ويسمى رسميا "الإعلان الإجماعى للولايات المتحدة الأمريكية الثلاث عشرة"، هو إعلان أصدره المؤتمر القارى الثانى فى ٤ يوليو سنة ١٧٧٤ والذى أعلن أن المستعمرات الثلاث عشرة فى أمريكا الشمالية هى "ولايات حرة ومستقلة" وأعلن إنهاء أية روابط سياسة بينها وبين بريطانيا العظمى، ويعد الإعلان وثيقة تأسيس الولايات المتحدة. وقد أكد الإعلان على مفاهيم القانون الطبيعى وحقوق الإنسان .

والحضارات التقليدية من خلال الحوار الثقافى، والتفاوض، والاستعارة، والأقلمة، بدلا من التركيز على النقاء الحضارى. فالحدود التى وضعها هنتنجتون حول ثمانى حضارات غير واضحة وتحكمية.

إيكيدا: وهذا شعورى أيضًا. فتصنيفه يبدو أنه وضع لغرض التصنيف فقط، وليس لأى غرض أخر، فالحضارات الثمانى التى حددها تبدو، فى نظر كثير من العلماء، غامضة للغاية مفهوميا، وناقصة من حيث المصداقية.

تعقيد الصراعات المحلية

طهرانيان: أخيراً، فإنه من الناحية العملية، برهنت أحداث فترة ما بعد الحرب الباردة على أن مقولة هنتنجتون لا تفيد فى فهم الصراع والتعاون الدوليين. ذلك أن التعميمات الكبرى عن الحضارات لا تفسر لنا نشأة القومية العرقية كقوة تدفع نحو عمليات التجزئة فيما بعد الحرب الباردة. لا يمكن فهم الصراعات فى البوسنة، والقوقاز، والخليج الفارسى، وبين فلسطين وإسرائيل، وفى كوريا، وأفريقيا إذا نظرنا إليها كصراعات بين الحضارات.

إيكيدا: إننى أيضًا قلق من تلك التصنيفات المبسطة لهذه الصراعات الإقليمية. فإذا حاولنا أن نفسر كل شىء فى ضوء التفاوتات الحضارية، فإننا لن نعثر على الأسباب الحقيقية لتلك الصراعات، وسننتهى أيضًا إلى غرس أفكار جامدة ومفاهيم مخطئة فى عقول الناس. ويمكن أن يكون "الأثر السام" لتلك الصور النمطية أكثر إضرارا واستمرارا مما نتصور.

طهرانيان: بالضبط، وعلى سبيل المثال، فالصراع فى البوسنة هو صراع بين ثلاثة أجنحة عرقية سياسية، وهم الكروات الرومان الكاثوليك، والصرب الأرثوذكس المسيحيون، والبوسنيون المسلمون، ورغم ذلك، فإن المجموعات العرقية الثلاث هم سلاف عرقيا وثقافيا. إن الصراع بين أبناء عمومة ينتمون إلى العرق ذاته، ولكنهم انقسموا

تاريخيا بفعل الصراعات الإمبريالية فى البلقان بين الإمبراطوريات العثمانية، والنمساوية المجرية، والألمانية، والإيطالية.

إيكيدا: يصف العالم والشاعر والناقد الألمانى إنزنسبرجر[١١٩] عصرنا بأنه "عصر التحول من الحرب الباردة إلى الحروب الأهلية"، والصراع البوسنى هو أحد أهم نماذج تلك الحروب.

طهرانيان: نعم، والصراع فى القوقاز هو بين أذربيجان وأرمينيا، وبين جورجيا وأبخازيا، وبين روسيا وشيشنيا. وفى الصراعات الثلاثة ليس ثمة علاقة مهمة بين تلك الصراعات وبين صراعات الحضارات، فهى صراعات ناجمة عن صعود القومية العرقية والمطالب الإقليمية المتصارعة.

إيران الإسلامية وروسيا الرأسمالية تؤيدان أرمينيا المسيحية، بينما تؤيد الولايات المتحدة، وتركيا العلمانية، أذربيجان. إن المحور الرئيسى للخلاف هو موارد نفط بحر قزوين وليس المطالب الحضارية.

إيكيدا: هكذا هو الأمر، كثيراً ما تتضمن الصراعات الدولية فى العقود الأخيرة مصالح اقتصادية، سواء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر. أعتقد أنه يستحيل أن نتحدث عن هذه الصراعات بدون أن نأخذ البعد الاقتصادى فى الاعتبار. فالموارد النفطية، هى أحد العوامل الحاسمة فى الشئون الدولية؛ فالمزايا التى تتمتع بها الدول المنتجة للنفط لا يمكن إنكارها.

طهرانيان: فى الخليج الفارسى، فإن الصراع بين القوميات المتصارعة: إيران، والعراق، والكويت، وتركيا، وكردستان، كما أنه صراع بين المصالح النفطية الدولية والتطلعات القومية فى الإقليم. وهكذا شهدنا فى حرب الخليج الفارسى تحالفاً بين عدة حضارات تشمل الغرب المسيحى، والمملكة العربية السعودية، وهى الدولة الإسلامية الأصولية، والكويت، ضد صدام حسين.

---

(١١٩) هانز ماجنوس إنزبرجر (وليس إنزنسبرجر كما جاء فى الحوار)، ولد سنة ١٩٢٩، كاتب وشاعر ألمانى يشيع فى كتاباته الرؤية النقدية للمجتمع .

وتصور أجهزة الإعلام الغربية الصراع العربي الإسرائيلي على أنه صراع ديني وثقافي، ولكن هذا التصوير بعيد تمامًا عن الواقع. فالقراءة المتأنية للتاريخ تظهر أن الصراع هو بين قوميتين متصارعتين. يدعي كل منهما ملكية الأرض ذاتها استنادًا إلى دعاوي دينية مشكوك في صحتها.

وفي كوريا، فإن الصراع هو من مخلفات الحرب الباردة بين نظامين اجتماعيين اقتصاديين في أمة كورية متجانسة عرقيا، ومقسمة إلى شمال وجنوب.

وفي إفريقيا، فإن الصراع بين مختلف القبائل هو ثمرة للقبلية الإفريقية المستمرة، والتي غذتها الدولتان العظميان إبان الحرب الباردة لتحقيق مصالحهما.

إيكيدا: لكل هذه الأسباب، فإنك تقول إنه من غير الواقعي أن نطبق مقولة هنتنجتون على مختلف الصراعات الإقليمية في العالم. فلهذه الصراعات جذورها التاريخية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية. فلا نستطيع، ولا يجوز أن نضع قاعدة عامة تحدد العامل الرئيسي، والعوامل الثانوية التي تحرك تلك الصراعات.

طهرانيان: بالضبط. ففي التحليل الأخير يظل السؤال هو لماذا حظيت مقولة هنتنجتون بهذا الاهتمام الهائل حول العالم؟

إيكيدا: يبدو لي أن درجة الاهتمام العالمي التي حظيت بها مقالة هنتنجتون، لم تكن بسبب مضمونها، وإنما بسبب أهمية موضوع الحضارات.

طهرانيان: صحيح. أعتقد أن هناك سببين: الأول، أن التعصبات القديمة لا تنتهي بسهولة. فالنظم السياسية في الدول التي تتسم بالتنوع العرقي، مثل الولايات المتحدة، وروسيا وإيران، والعراق في حاجة في معظم الأحيان إلى أعداء خارجيين لبناء الوحدة القومية. فإذا لم يوجد عدو ظاهر، فإنها تقوم باختراعه. وقد قدم هنتنجتون نظرية عامة مريحة لافتعال الأعداء سواء في الشرق أو في الغرب. ومن ثم فالمتطرفون في الولايات المتحدة، والصين، والعالم الإسلامي يؤمنون بنظريته.

إيكيدا: إن نظرية هنتنجتون تعمل باعتبارهما أداة سهلة يستعملها البشر العدوانيون الذين يستبعدون الآخرين، وذلك لتهييج التناقضات. وهنا مكمن المأساة فى تلك النظرية.

أتذكر ما كتبتَه عن مقولة هنتنجتون فى مقالة منشورة فى سايكو شيمبون (٢٢ يونيو سنة ١٩٩٤). فى تلك المقالة كتبتَ قائلاً : "إن منهج هنتنجتون أحيا ببساطة الجراح القديمة"، و"إذا كنت تبحث عن عدو لتكرهه، فإن هناك طرقًا عديدة لاختراعه"، و"لكن اختراع عدو بهذه الطريقة ينطوى على مخاطرة تقسيم مجتمع متعدد الأعراق ومتعدد الديانات مثل المجتمع الأمريكى، من خلال تأكيد الولاءات للحضارات المتصارعة".

طهرانيان: نعم، أتذكر ذلك القول. "دعنى أضيف أن السبب التالى لشهرة مقولة هنتنجتون هو أنها حظيت بالقبول لدى بعض دوائر السياسة الخارجية الأمريكية. ومن ثم بدأ العالم يهتم بانعكاسات ذلك على التفكير الاستراتيجى لصانعى السياسة الخارجية الأمريكية.

أريد أن أضيف، أنه لحسن الحظ، فإن هناك أصواتًا حكيمة عديدة فى الولايات المتحدة تحذر من مخاطر انعكاسات مقولة هنتنجتون على اتباع سياسة أمريكية عدائية تجاه الصين والعالم الإسلامى.

إيكيدا: أشكرك على شروحاتك الواضحة. ليس أمامنا من بديل سوى أن ندافع بصبر عن "الحوار بين الحضارات"، لكى نتفادى "الصدام بين الحضارات"، وليس من المبالغة القول إن مصير البشرية فى القرن الحادى والعشرين مرهون بهذا الجهد.

الفصل السابع

الحوار بين الحضارات

طهرانيان: فى ١١ فبراير سنة ١٩٩٦ أنشئ معهد تودا للسلام العالمى وبحوث السياسة" وعُينتَ مديرًا له، ونحظى الآن بدعم وتعاون عدد كبير من العلماء حول العالم.

إيكيدا: سمعت أن جريدة هونولولو الأسبوعية غطت أنشطة المعهد تغطية شاملة.

طهرانيان: لقد نشرت على اتساع ثلاث صفحات تقريرًا بعنوان "كوكب السلام – معهد تودا يلعب دورا فى تحريك شعوب العالم نحو أرضية مشتركة". لقد كان هذا التقرير مفاجأة سارة. وهذا مجرد مثال واحد، حيث إننى أرى فى السنوات الأخيرة عددًا هائلاً من البشر المتطلعين نحو السلام يتحركون فى الاتجاه ذاته بشكل أو بآخر. أشعر أن قوة الدفع نحو السلام العالمى تتجمع.

إيكيدا: يبدو أن هذا صحيح. فكما أشرنا أنفًا، فإن الجمعية العامة للأمم المتحدة حددت سنة ٢٠٠١ باعتبارها "سنة الحوار بين الحضارات"، كما قررت أن تعتبر أن العقد الممتد من سنة ٢٠٠١ حتى سنة ٢٠١٠ هو "العقد الدولى لثقافة السلام وعدم العنف تجاه الأطفال فى العالم". يبدو أن المجتمع الدولى يتطلع بشوق إلى التخلى عن استمرار العنف والدمار الذى ابتلى به هذا القرن، وإلى خلق "ثقافة جديدة للسلام وعدم العنف" فى القرن القادم.

طهرانيان: إن احتمالات المستقبل بالنسبة للبشرية تتفاوت تفاوتا واسعًا اعتمادًا على نوع القيم التى ستسود فى القرن الحادى والعشرين.

إيكيدا: بالضبط. أتعشم أن يساعد حوارنا على تقديم توجه إيجابى للحضارة نحو هذا القرن الجديد.

طهرانيان: الحضارة هى نسق متماسك نسبيًا من الأنطولوجيا والإبستمولوجيا، والبراكسيولوجيا. فالأنطولوجيا، تمكننا من فهم أصول وغايات الكون، كما تمدنا الإبستمولوجيا بنظريات المعرفة والتعلم، فى الوقت الذى تقدم لنا فيه البراكسيولوجيا قواعد العمل. وتوجد هذه المكونات الثلاثة معًا فى علاقة عضوية فى أية حضارة.

بهذا المعنى، فإن هناك بالقطع اختلافات بين الحضارات، ولكننى أرفض الأفكار القائلة بوجود علاقة هيراركية بين الحضارات والثقافات، أى علاقة السمو والدنو. من الواضح أن بعض الحضارات أكثر تقدمًا من الناحية التكنولوجية، ولكن هذا لا يعنى ألبتة أى سمو معنوى لتلك الحضارات.

إيكيدا: أتفهم رأيك بشكل كامل. يمكن أن تكون هناك اختلافات نسبية بين الحضارات، ولكن هذا لا يعنى إطلاقًا أن إحداها أسمى من الأخرى. وهذا الفهم هو الافتراض الأساسى للحوار بين الحضارات.

طهرانيان: يمكنك بالطبع أن تقدم تصنيفات للتقدم المادى انطلاقا من مؤشرات محددة سلفًا. ولكن كل الثقافات والحضارات بالنسبة لى هى نتاج للخيال الإنسانى أُنشئت للتكيف مع، وتحويل، وتخطى الطبائع الإنسانية العامة التى تتسم بالمحدودية، والضعف الأخلاقى. فلكل حضارة أسلوبها المتفرد فى تمكين أعضائها من تخطى الذات، وتحقيق القوة المعنوية، ومقاومة القوة.

إيكيدا: أوافق على أن الخيال الإنسانى، وديناميية التغير، الذى هو نتاج لهذا الخيال، وهو ما يمكّن الثقافات والحضارات من أن تحيا.

طهرانيان: إن كل ثقافة وحضارة تتعامل مع أسرار الحياة ذاتها وذلك فى إطار موقعها الإيكولوجى والبيئى الفريد. ولهذا، أعتقد أن الاختلافات بين الحضارات يجب أن يُحتفى بها باعتبارها دلالات على العبقرية الإنسانية.

إن الحديث عن حضارات عليا وأخرى دنيا يعنى أننا نفقد القيمة المركزية للتنوع فى التاريخ الإنسانى المتتابع، وهو أيضًا دلالة على النرجسية الثقافية.

لا صدام ولا تعايش

إيكيدا: يبدو لى أن الاختلافات بين الحضارات ليست هى السبب الذى يدعوها إلى أن تتصادم مع بعضها. أعتقد أن السبب فى الصدام هو ذلك الاتجاه المتعصب الذى يؤمن بالتفوق. يجب أن نعيد التفكير فى النمط القائم على ثنائية "إما أو"، أى إما "الصدام"، أو "التعايش" بين الحضارات. فحتى إذا حققنا التعايش، فإنه لن يفيد الجنس البشرى طالما ظلت الحضارات متراصة ببساطة إلى جانب بعضها البعض.

طهرانيان: عادة ما يقع الفكر الإنسانى فى فخ الثنائيات، مثل الضوء والظلام، والخير والشر، والأبيض والأسود. هذا الأسلوب فى التفكير هو أكثر الأساليب بساطة وأقلها تطورا فى فهم العالم.

الحياة أكثر تعقيدا من ذلك: هناك درجات من الضوء والظلام، من الخير والشر، ومن الأبيض والأسود. ولكى نفهم هذه النقاط الدقيقة، نحن فى حاجة إلى أن نوسع من أبعاد حوارنا. وفى الفلسفة الصينية، فإن مفاهيم ين ويانج تقدم لنا طريقًا للخروج من قبضة الثنائيات. ومن ثم، فنحن مدعوون لكى لا نفكر على أساس إما/ أو، ولكن على أساس مختلف، وهو معًا/ و. ويؤكد مفهوما ين ويانج على الترابط العالمى بين الضوء والظلام، والخير والشر، والحياة والموت. لم تعد المشكلة تنحصر فى عمل اختيار قاطع، ولكن فى إقامة التوازن.

إيكيدا: بالإضافة إلى مفهومى ين، ويانج، فإن لدى الفلسفة الشرقية رؤى عالمية تختلف عن الازدواجية الغربية. فعلى سبيل المثال، لدينا فى البوذية فكرة أن الخير والشر هما شىء واحد متماثل. ولا يدلنا ذلك على مجرد الترابط بين الخير والشر،

ولكن أيضًا إلى الطرق المتاحة لتخطيهما معًا. ومن ثم، فإن الاحتكاك بين الحضارات ليس شيئًا سيئًا فى ذاته، المشكلة تكمن فى النتيجة. وقد رأى الفيلسوف كارل بوبر [(١٢٠)] أن الخطر الناشئ عن الاتصال بين الحضارات هو خطر هائل بلا شك، ولكن هذا الاتصال يمكن أن يكون مصدرًا أساسيًا للإبداع الثقافى.

وهناك أمثلة تاريخية كثيرة تدل على أن الاتصال بين حضارات مختلفة قد أدى إلى ازدهار ثقافات ثرية وإلى خلق قيم جديدة. والاتصال بين الحضارتين الصينية والهندية من خلال طريق الحرير، والامتزاج بين الحضارتين الإغريقية والإسلامية فى البحر المتوسط، هما مجرد نموذجين لما أقول.

طهرانيان: صحيح حقًا. فالتوتر بين الحضارات يمكن أن يكون إبداعيًا، كما يمكن أن يكون مدمرًا، ومن المحتمل أن يسفر عن النتيجتين.

إيكيدا: بصرف النظر عما إذا كان من الممكن توجيه الطاقة المولدة عن الاتصال بين الثقافات تجاه شىء مبدع حقًا، فإن هذا الأمر يعتمد، على مجهودات الطرفين، أى "الحوار".

ولنعد إلى كارل بوبر مرة أخرى. فهو يرى أنه حينما تتصل ثقافتان أو أكثر، يدرك البشر أن أسلوب الحياة والعادات التى كانوا يسلمون بها دون مناقشة لمدة طويلة، ليست أشياء مقدرة، وليست أشياء أساسية فى الطبيعة البشرية. يقول بوبر إن التاريخ هو عملية الوصول إلى هذا الإدراك. بمعنى آخر، فإن التاريخ يتقدم حينما يكتشف البشر أن ثقافتهم ليست ظاهرة طبيعية أو فريدة. فالاختلافات قد توفر حوافز إيجابية للبشر نحو التقييم الموضوعى لجذورهم الثقافية بالمقارنة بالحضارات الأخرى الغريبة عنهم. ويمكن أن يؤدى تراكم هذه الاحتكاكات إلى فتح آفاق جديدة.

---

(١٢٠) كارل بوبر (١٩٠٢ - ١٩٩٤) فيلسوف نمساوى بريطانى وأستاذ فى مدرسة لندن للاقتصاد. يعد من أهم فلاسفة العلم فى القرن العشرين. وصف فلسفته "بالعقلانية النقدية" مع التركيز على أن المقولة العلمية هى تلك التى يمكن دحضها. من أهم كتبه، "منطق الاكتشاف العلمى".

طهرانيان: هذا بالضبط هو هدف حوار الحضارات. ففى التحاور الأفلاطونى، فإن الحقيقة هى البحث عن الحقيقة من خلال حوار عقلانى، ومن خلال صدامات ومقاربات بين وجهات النظر. وطبقا للجدل الهيجلى والماركسى، فإن التقدم يتكون من وحدة الأضداد وصولا إلى الفكرة التأليفية، وهى التى تتكون من الفكرة، والفكرة المضادة.

إيكيدا: أصدقاء وأعداء. إن مثل هذا التصوير الثنائى ليس فقط هو التصوير الخطأ، ولكنه أيضا خطير، لأنه فى الغالب يغذى التعصب فى عقول البشر. وفى عصرنا، عصر المعلومات، فإن الصور الذهنية، التى غالبا ما تكون مشوهة ومضطربة، تسبق كل شئ فى معظم الأحوال، بما يؤدى إلى حجب الحقيقة، مما يجعل من الضرورى للبشر أن يتحاوروا وجها لوجه.

طهرانيان: فى هذا الصدد، دعنى أقدم كتابا مهما يسمى الفضاء الواسع، والذى ألفه عالم الفيزياء النظرية المشهور ميتشيو كاكو[١٢١]. حدد المؤلف عشرة أبعاد للواقع. ونحن نعلم فقط عن أربعة أبعاد للفضاء (الطول، والعرض، والعمق، والوقت). وقد برهنت نظرية السلسلة فى الفيزياء على الأبعاد الستة الأخرى.

نحن أسرى الأبعاد الأربعة إلى حد أننا لا نكاد ندرك الأبعاد الأخرى. ومن ثم، فإن من الحكمة أن نكون متواضعين فيما يتعلق بامتلاكنا الحكمة.

إيكيدا: بالضبط، سيكون الحوار بين الحضارات المبنى على العقل المفتوح، والتواضع، بمثابة الأداة للتغلب على الخصومات، ودفع العلاقات بين البشر إلى مستويات أعلى. لا أدافع عن الصدام أو الوجود جنبًا إلى جنب، وإنما أدافع عن طريق ثالث - الرخاء المشترك من خلال "الحوار بين الحضارات".

---

(١٢١) ميتشيو كاكو عالم أمريكى من أصل يابانى فى الفيزياء النظرية، ولد سنة ١٩٤٧، ويعمل حاليا فى سيتى كوليج فى نيويورك، وهو صاحب نظرية "السلسلة" فى الفيزياء.

روح الحوار فى أسئلة ملك ميليندا

إيكيدا: دعنا الآن نعرض نماذج متعددة من التاريخ. يذكرنى "الحوار بين الحضارات" أولا بالسوترا البوذية المسماة "أسئلة ملك ميليندا" (ميليندابانها). إنها سجل لحوارات الراهب البوذى ناجاسينا،[١٢٢] والملك الإغريقى ميليندا،[١٢٣] من بلاد باكتيريا،[١٢٤] والذى حكم شمال غربى الهند منذ حوالى ٢١٠٠ سنة فى النصف الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد. كان ذلك فى أعقاب حملة الإسكندر الأكبر حينما التقت الحضارتان الإغريقية والهندية، وأثرت كل منهما فى الأخرى.

طهرانيان: هذا الحوار مشهور باعتباره نقطة الالتقاء الروحى الكبرى بين العقل الغربى، والحكمة الشرقية.

إيكيدا: من الجدير بالملاحظة أن الحضارتين تمسكتا "بمنطق العالِم" طوال هذا الالتقاء، ولم تلجأ أبدا إلى "منطق الملك". قبل أن يبدأ الحوار، كان ناجاسينا يقول للملك، "يا صاحب الجلالة، إذا كنت ستتحدث بمنطق العالم، فإننى سأستمر فى الحوار معك. ولكن، إذا كنت يا صاحب الجلالة تريد أن تتحاور على أساس منطق الملك، فإننى لن أدخل فى أى حوار معك". فى تلك اللحظة يطلب الملك ميليندا من الراهب أن يشرح له الفارق بين منطق العالم، ومنطق الملك، ويرد ناجاسينا بقوله:

---

(١٢٢) ناجاسينا، حكيم بوذى عاش فى حوالى سنة ١٥٠ ق. م، وتعد إجاباته على الأسئلة التى طرحها الملك ميلنيدا عن البوذية من أهم الإضافات إلى البوذية.

(١٢٣) ميليندا، ويعرف أحيانا باسم ميناندر الأول، كان من حكام المملكة الهندية الإغريقية فى شمال الهند، من سنة ١٥٥ أو ١٥٠ ق. م حتى سنة ١٣٠ ق. م، وهو أول غربى يتحول رسميًا إلى البوذية. واشتهر بكتاب "أسئلة ميليندا"، والذى يسجل حواراته مع الحكيم البوذى ناجاسينا..

(١٢٤) باكتيريا، هو الاسم الإغريقى لدولة كانت تقع بين جبال الهندوكوش ونهر أموداريا فى شمالى أفغانستان الحالية، وعاصمتها باكترا (بلخ حاليا). وأهل باكتيريا هم الجدود الأوائل للعناصر الفارسية فى طاجيكستان الحالية وقد كانت باكتيريا موطنا للقبائل الآدية حوالى سنة ٢٥٠٠ - ٢٠٠٠ ق. م.

"عندما يتناقش العلماء حول موضوع بعضهم مع بعض، يحدث تقدم إلى الأمام، وتفسير للأمور، ويعترف أحدهما بالخطأ، وبالتالى يسلِّم بذلك، وتُرسم الخطوط والخطوط المضادة، ورغم ذلك فإنهم لا يغضبون. هكذا يفعل العلماء يا صاحب الجلالة، يتناقشون. وعندما يناقش الملك أمرًا ما يا صاحب الجلالة، ويقدم وجهة نظر، إذا اختلف معه أحد فى وجهة النظر تلك، فإنه أميل إلى فرض الغرامة عليه، قائلاً : ألحقِ العقوبات كذا وكذا بهذا الرفيق! وهكذا يتناقش الملك يا صاحب الجلالة".

وقد فهم الملك ميليندا المعنى العميق لكلمات ناجاسينا. وهكذا بدأت سلسلة طويلة ومثمرة من الحوارات بينهما.

طهرانيان: إن المنظور الذى تقدمه هذه الواقعة، بالغ الأهمية فى عصرنا. ذلك أن لميليندابانها سوترا مترادفات فى التقاليد الثقافية الأخرى، فالقوة والحوار نقطتان متقابلتان فى ساحة أى حوار.

إن منطق الملك هو القوة، ومنطق العالم هو الحوار. تستطيع أن تحقق القوة من خلال سونكى البندقية، ولكنك لا تستطيع أن تجلس على هذا السونكى. ولابد للملوك أن يستعملوا قوة الحوار أيضًا، إذا أرادوا أن يمدوا نطاق ملكهم. وقد أكد هذه النقطة فلاسفة سياسيون متعددون من أمثال أفلاطون، وأرسطو، ونظام الملك،(١٢٥) والفارابى،(١٢٦)

(١٢٥) نظام الملك، (١٠١٨ - ١٠٩٢) هو أبو على الحسن الطوسى نظام الملك. كان أحد كبار علماء ومنظمى الدولة السلجوقية حتى إن اسمه استمد من التنظيمات الحكومية التى أقامها فى الدولة. أسس المدارس النظامية، والتى كانت أول محاولة لإنشاء جامعات وقد ألف كتاب "سياسة نامة". وكتاب "دستور الوزراء".

(١٢٦) الفارابى (٨٧٢ - ٩٥٠)، فيلسوف مسلم ولد فى فاراب فى تركستان (كازاخستان حاليا)، وتعلم فى بغداد وأتقن الرياضيات والفلسفة والطب والموسيقى، واطلع على الفكر الإغريقى وتأثر به. وأهم كتبه فى الفكر السياسى الإسلامى كتاب "آراء أهل المدينة الفاضلة"، كما قدم شروحًا مطولة لمنطق أرسطو.

وابن رشد(١٢٧) ، وماكيافيللى(١٢٨) ، وهوبز(١٢٩) ، ولوك(١٣٠) ، وروسو(١٣١) .

إيكيدا: ومن المؤسف، فإن الحوار لم يحتل بعد مكانه المؤثر فى العالم. أعتقد أن "منطق العالم"، إذا استعملنا المصطلح الرمزى الذى صاغه ناجاسينا، يشير إلى حاجتنا إلى توظيف الحوار العقلانى، والمفتوح، فى أى عصر. وقد التزم البوذيون منذ عصر شاكيامونى بهذا المنطق، وذلك بأداء حوار على أساس حر ومتكافئ. من المدهش أن نعرف أنه منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة، قدم لنا حكماء الإغريق والهنود هذا النموذج القيم.

نظرية هابرماس فى الاتصال

طهرانيان: عند تأمل الأهمية المعاصرة "لأسئلة ملك ميليندا"، أعتقد أنه من المفيد أن ننظر إلى مفهوم "العقلانية الاتصالية" الذى قدمه الفيلسوف وعالم الاجتماع الألمانى يورجين هابرماس (١٣٢) . فقد ركز على "العقلانية الاتصالية" كأساس للتطور الديمقراطى.

---

(١٢٧) ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، فيلسوف عربى مسلم ولد فى قرطبة وعاش فى ظل دولة الموحدين فى الأندلس. درس وشرح وأضاف إلى الفكر الإغريقى، ودافع عن دور العقل فى فهم الكون.

(١٢٨) نيقولا ماكيافيللى (١٤٦٩ - ١٥٢٧) دبلوماسى وفيلسوف سياسى إيطالى اشتهر بكتابه "الأمير"، الذى تضمن الوسائل التى يجب أن يستعملها الحاكم للمحافظة على حكمه.

(١٢٩) توماس هوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩) فيلسوف سياسى إنجليزى اشتهر بكتابه "التنين"، ونظريته فى العقد الاجتماعى التى فسرها بشكل يبرر الحكم المطلق للملوك، والتغيير التدريجى فى المجتمع كان من أوائل المنادين بالأساس العلمانى للدولة، ومن أول المنظرين للفلسفة السياسية المحافظة .

(١٣٠) جون لوك، (١٦٣٢ - ١٧٠٤) فيلسوف إنجليزى، اشتهر بمفهومه الخاص لنظرية العقد الاجتماعى التى يبرر من خلالها نظام الحكومة المقيدة، ومن أشهر كتبه "رسالتان فى الحكومة" سنة ١٦٨٩ . ترك أثراً كبيراً على إعلان الاستقلال الأمريكى، وعلى أفكار روسو والثورة الفرنسية .

(١٣١) جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨)، فيلسوف عصر التنوير فى أوروبا والذى تركت أفكاره أثراً عظيما على الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩، وعلى تطوير الفكر الليبرالى من خلال فكره حول نظرية العقد الاجتماعى، ونمو القوميات، كما أنه روائى رومانتيكى .

(١٣٢) هابرماس (١٩٢٩ - ...) فيلسوف وعالم اجتماع ألمانى، ولد سنة ١٩٢٩. عُروف بمفهومه للمجال العام، والذى أسسه على نظريته عن السلوك الاتصالى فى كتابه "التحول البنيوى للمجال العام" سنة ١٩٦٢، و"منطق العلوم الاجتماعية" سنة ١٩٦٧، و"نظرية السلوك الاتصالى" سنة ١٩٨١ .

وهو يميز بين هذه العقلانية والأنواع الأخرى من العقلانيات بما فى ذلك العقلانية العملية، والأدائية، والنقدية.

يقصد بالعقلانية العملية ما نسميه غالبا، "المنطق العام" فى أى تقليد ثقافى معين. ولكن، ما يعد منطقا عاما فى ثقافة واحدة، قد يعتبر "لغوا عاما" فى ثقافة أخرى. وعلى سبيل المثال، فإن إعطاء البقشيش مقابل الخدمات التى تؤدى لك فى مطعم أو فندق هو ممارسة عامة، ولكن الأمر ليس كذلك فى اليابان.

ففى الغرب الرأسمالى، تعتبر الخدمة سلعة شأنها شأن أية سلعة أخرى، عليك أن تدفع ١٠، أو ١٥، أو ٢٠٪ مقابل أدائها. ولكن فى اليابان، فإن الخدمة تعد شرفًا، تتضاءل قيمته من الناحية الفعلية إذا حاولت أن تعطى بقشيشًا مقابله. ولكل من الممارستين منطقهما العام فى إطار محتواهما الثقافى الخاص.

إيكيدا: بعبارة أخرى، يقول هابرماس أن العقلانية العملية تنطبق فقط فى جماعة خاصة، أو مجموعة بشرية معينة.

طهرانيان: صحيح. أما العقلانية الأدائية فإنها أكثر عالمية بالمقارنة بالعقلانية العملية. فهى تتأسس على حسابات عقلانية حول كيفية إنجاز مهمة أو تحقيق هدف بأقل تكاليف ممكنة. ويعد العلم والتكنولوجيا هما أداتى العقلانية الأدائية، والتى تعتبر العالم بأسره، بما فى ذلك المجتمع والأفراد، موضوعات للتأثير فيها لتحقيق أهداف معينة.

أما العقلانية النقدية، فإنها بخلاف العقلانيتين السالفتين، تنطلق من مثاليات معيارية تستخدم لمقارنة، وانتقاد الظروف الحالية. وتشترك كل المدارس الروحية والأيديولوجية فى ممارسة هذا النوع من العقلانية من خلال انتقادها عوالمها من منظور عالمها المثالى.

إيكيدا: هناك أمثلة عديدة فى زماننا لشعوب وجماعات من البشر تعتبر مفاهيمها أو نماذجها النظرية، بمثابة أشياء مطلقة وتظل تنتقد الوقائع الموجودة التى لا تتسق مع مثالياتها. وقد شهد القرن العشرون مآسى متعددة نتجت عن تأثير الإيديولوجية، وأدت إلى موقف يشبه "سرير بروكرتس".

بروكرتس[١٣٣] هو اللص الأسطورى فى بلاد الإغريق القديمة، والذى كان يجبر ضحاياه على أن تناسب أجسامهم سريرا معينا من خلال تطويل أو تقصير أقدامهم. وبالمثل، فقد أصبحت النظريات التى صنعها الإنسان أسلحة خطيرة تجبر الأفراد على التماثل مع أو الخضوع لنظام أو مذهب؛ ومن ثم تدفع الناس والمجتمع إلى حال من الكآبة وتضع حبل المشنقة على رقابهم.

طهرانيان: أما العقلانية الاتصالية التى دافع عنها هابرماس، فإنها لا تنطلق من مفاهيم مثالية، باستثناء ما أسماه "مجتمع التخاطب المثالى"، وهو مجتمع يتسم بغياب القوة، وبالمساواة فى المقدرة والإمكانية الاتصالية لكل المشاركين فى حوار.

من الواضح، أن هذه الشروط لا تتوافر فى العالم الواقعى. ولكننا نستطيع أن نقترب منها من خلال خلق الظروف التى تتسم بالحرية والمساواة فى الاتصال. فرغم حواجز الزمن والمكان والثقافة، فإن حوارنا هو مثال واضح لمثل هذه العقلانية الاتصالية مما يتفق مع "منطق العالم".

إيكيدا: كتب هابرماس يقول إن المتحدث المخلص ملتزم بتعهد ضمنى بأن يتحدث بجدية، وأن يكون مسئولاً عن نتائج تعهداته اللفظية. وكما أشرتم، فإن الإخلاص وانفتاح العقل على الجانبين هما شرطان لازمان للحوار الجدى. وبهذا المعنى، فإن مقولة هابرماس "حوارات بدون هيمنة" تستحق منا التقدير الإيجابى. وقد تحفظ هابرماس على التفكير الذى يتعامل مع الاتصال على أنه فقط أداة للاستراتيجية.

---

(١٣٣) بروكرتس، شخصية أسطورية إغريقية. كان بروكرتس لصا لديه سرير حديدى يجبر المارة على النوم عليه، فإذا كان النائم أطول من السرير يقتطع من جسده ليناسب طول السرير، وإذا كان أقصر من السرير فإنه يطيل جسده، ولم يكن أحد يناسب طول السرير لأنه كان يغير طول السرير بحيث لا يناسب أيا من النائمين. واستمر ذلك حتى قبض عليه ثيوسيوس وقطع رأسه ورجليه ليناسب جسده حجم سريره ومن ثم ظهر مصطلح "سرير بروكرتس" للدلالة على معيار تحكمى يجب أن تتوافق الأشياء معه. كذلك ظهر مصطلح تحليل بروكرتس" ليشير إلى عملية توفيق البيانات لتناسب شكلاً معينًا (خطيا أو دائريا أو خلافه).

إيكيدا: بالإضافة إلى منطق العالم، اعتقد أنه من الشروط الأساسية للحوار المثمر وجود رؤية عالمية تمكن البشر من تجاوز الاختلافات بينهم فى الخلفية الثقافية والبيئية. وبالتالى، دعنا نركز الآن على جلال الدين الرومى (١٢٠٧ - ١٢٧٣)، وهو من أعظم ثلاثة شعراء فارسيين بجانب مصلح الدين السعدى (١١٨٤ - ١٢٩١)، وحافظ (١٣٢٦ - ١٣٩٠).

كان جلال الدين الرومى "شاعر الحوار بين الحضارات". عاش فى بلاد فارس فى الفترة ذاتها التى عاش فيها نيشرين دايشونين (١٢٢٢ - ١٢٨٢). لقد كان هذا العصر عصر التوسع الإقليمى للإمبراطورية المغولية فى معظم أوراسيا.

طهرانيان: نعم، لقد كان القرن الثالث عشر قرن الاضطراب العظيم فى غربى ووسط آسيا. لقد دمر الغزو المغولى مناطق فى العالم. وفى سنة ١٢٥٨ أنهى الخلافة العباسية فى بغداد[١٣٤].

لقد دمرت تماما مدن يزيد عدد سكانها على مليون نسمة، مثل نيسابور[١٣٥]، بحيث لم يبق فيها أى مظهر للحياة. ويقول المؤرخون إن المغول قتلوا القطط والكلاب أيضًا. وفى هذه الظروف الكارثية، تصبح الحياة مضطربة، ويسود اليأس أرواح البشر.

إيكيدا: خلال فترة الاضطراب تلك، ولد الرومى فى مدينة بلخ (باكتريا القديمة) فى الجزء الشمالى لما يعرف حاليا باسم أفغانستان.

طهرانيان: هذا صحيح. لقد أتى الرومى من عائلة من الفقهاء المسلمين الأفذاذ، فقد كان والده هو "سلطان العلماء" فى مدينة بلخ. وتقول إحدى قصائده الشعرية:

---

(١٣٤) الغزو المغولى أنهى الدولية العباسية، ولكن الخلافة العباسية استمرت، إذ إنها انتقلت إلى القاهرة سنة ١٢٦١ واستمرت بها حتى سنة ١٥١٧ .

(١٣٥) نيسابور مدينة تقع فى شمال شرقى إيران فى محافظة خراسان قرب مدينة مشهد، وهى مشهورة بأنها مسقط رأس الشاعر الفارسى عمر الخيام ومكان دفنه أيضًا .

هناك أتراك كثيرون لا يستطيعون فعلا أن يتحدثوا إلى بعضهم

وهناك أتراك وهنود كثيرون يتحدثون إلى بعضهم بحفاوة

إن لغة القلب جد مختلفة عن لغة اللسان

إيكيدا: رحل الرومى مع والده من فارس إلى العراق، ثم إلى شبه الجزيرة العربية، وسوريا حتى استقر فى مدينة قونية فى آسيا الصغرى (تركيا الحالية). ولدى الشعور بأن الروح التى ترعرت خلال سنوات التنقل هذه خلال شبابه تتجسد فى الكلمات التى اقتبستها عنه آنفًا.

طهرانيان: إن تركيزك على الرومى بوصفه شاعرًا للحوار بين الحضارات مناسب تمامًا. إن الكلمات التى ذكرتها برهان كاف على ذلك. لقد كان الرومى بمثابة جسر بين حضارتين حينما جمع بين تعاليم البوذية والإسلام ميراثان ثقافيان ولدا فى أقاليم مختلفة.

والآن دعنى أشرح قليلاً الخصائص الإقليمية لآسيا الوسطى حيث ولد الرومى وترعرع.

آسيا الوسطى ملتقى للحضارات

طهرانيان: منذ سنة ٦٠٠ قبل الميلاد وحتى سنة ٦٠٠ بعد الميلاد، كانت "باكتيريا" مركزا لحضارات إيرانية، وإغريقية، وهندية. وقد كانت بلخ، مسقط رأس الرومى، من توابع الإمبراطورية الفارسية فى ذلك الزمان، وسقطت فى قبضة الإسكندر الأكبر سنة ٣٢٨ ق.م. ولكنها استقلت سنة ٢٥٠ ق. م، وأصبحت إمارة قوية يعرفها الإغريق باسم باكتريا، وقامت بغزو بلاد فى عمق شمالى الهند، مما جعلها تتصل بالهندوسية، والبوذية.

وقد أدى صعود حكم أسرة كوشانا[١٣٦] فى آسيا الوسطى إلى نشأة بيئة سياسية مواتية لنمو البوذية. وقد دخلت البوذية الصين من خلال المبشرين الذين أتوا من آسيا الوسطى، ثم أتوا من الهند فى مرحلة لاحقة فى الوقت الذى ظهر فيه السيد المسيح تقريبا.

إيكيدا: نظمت "حملة طريق الحرير لجامعة سوكا"، حفريات فى أماكن أثرية مهمة على طول طريق الحرير فى أعوام ١٩٨٩ و ١٩٩١ و١٩٩٣، كجزء من برنامجها للتبادل العلمى مع أوزبكستان.

وهناك مواقع عديدة لعصر حكم أسرة كوشانا مازالت موجودة متمثلة فى الحصون والمستوطنات. ويروى أن موقع دالفارجنتيبا الذى حفره فريق جامعة سوكا كان قلعة مهمة لأسرة كوشانا.

وقد ازدهرت بوذية ماهايانا فى الهند فى عصر أسرة كوشانا، والتى وصلت إلى ذروة ازدهارها فيما بين القرنين الأول والثالث. كذلك، ازدهرت ثقافة جاندهارا[١٣٧] فى ظل الأسرة ذاتها. وقد كان الملك كانيشكا[١٣٨]، والمعروف عنه أنه كان أعظم ملوك أسرة كوشانا، نصيراً عظيماً للبوذية. وقد انعقد المجلس البوذى الرابع تحت رعايته. كذلك، فقد نشط فى عهده علماء مشهورون فى بوذية ماهايانا مثل ناجاريونا، وأشفاجوشا[١٣٩].

(١٣٦) إمبراطورية كوشانا، دولة عاشت منذ القرن الأول حتى القرن الثالث الميلادى فى المنطقة الممتدة من طاجيكستان الحالية حتى أفغانستان وباكستان عند نهر الجانك، وكانت عاصمتها "بلخ"، شمالى أفغانستان حاليا، أنشأتها قبيلة كوشان. كانت إمبراطورية كوشانا لعدة قرون حلقة الوصل بين الشرق والغرب، وكانت إمبراطورية متعددة الثقافات، وكان معظم سكانها من الزرادشت والبوذيين. ومن أهم ملوكها الملك كانيشكا.

(١٣٧) جاندهارا اسم مملكة قديمة استمرت من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن الحادى عشر بعد الميلاد. كانت توجد فيما يعرف حاليا بشمالى باكستان وغرب أفغانستان. وكان مركزها بيشاور الحالية، واستولى عليها محمود الغزنوى سنة ١٠٢١، وحكمها المسلمون واختفى اسم جاندهارا.

(١٣٨) كانيشكا، كان أحد ملوك إمبراطورية كوشانا، ويعتبره البوذيون أحد أعظم الملوك البوذيين لفتوحاته العظيمة، وحكم بين عامى ١٢٧ - ١٤٧م.

(١٣٩) أشفاجوشا (حوالى ٨٠ - ١٥٠م) شاعر وفيلسوف هندى ويعتبر أول روائى سنسكريتى، ومن أعظم شعراء عصره. قد تحول إلى البوذية وأصبح مستشارا للملك كانيشكا، ملك كوشانا. ألف كتاب "يقظة الاعتقاد" فى ماهايانا.

طهرانيان: لقد تشرفت بقراءة كتاب "آثار جنوبى أوزبكستان"، والذى وثق نتائج أعمال جامعة سوكا. لكى نتفهم كيف أصبحت أسيا الوسطى ملتقى للتجارة والحركة الثقافية، بما فى ذلك انتشار البوذية، يجب أن نعرف مثل تلك الخلفيات التاريخية.

وعبر طريق الحرير الجديد، تبادل التجار من الشرق والغرب السلع، فى الوقت الذى نقل فيه العلماء حكمتهم عبر حدود الفصل بين الديانات والتقاليد السياسية.

إيكيدا: يتضح أثر الجاندهارا على الفن البوذى الصينى من مجموعات التماثيل فى "كهوف الألف بوذا"، والرسومات الحائطية فى دونهوانج. [١٤٠] وطبقًا لبعض الخبراء، فإنه بدون صعود البوذية فى ظل رعاية الملك كانيشكا، فإن تطورها كدين عالمى كان يمكن أن يتباطأ لفترة طويلة. لا يمكن تجاهل دور هذا الملك فى تاريخ البوذية.

طهرانيان: عندما زرت أفغانستان سنة ١٩٧١، وآسيا الوسطى سنة ١٩٩٢، وسنة ١٩٩٤، شهدت عظمة التراث المتعدد الثقافات.

إيكيدا: نعم، أتذكر أنك قلت لى إنك كنت فى طريقك إلى طريق الحرير عندما التقينا لأول مرة فى طوكيو فى يوليو سنة ١٩٩٢ .

طهرانيان: خلال رحلتى سنة ١٩٧١، شهدت على ضفتى نهر الأموداريا على الحدود بين أفغانستان والاتحاد السوفيتى السابق، بقايا دولة - مدينة إغريقية محفوظة على حالها إلى حد كبير. وفى سهول باميان الواسعة، وعلى بعد أميال قليلة خارج كابول، شاهدت التماثيل العظيمة لبوذا محفورة فى الجبال المحيطة حيث يصل أطولها إلى ٥٣ مترًا.

وكانت معابد الرهبان تقع خلف التماثيل. كما أن سهل باميان ذاته كان نقطة تجمع لآلاف الحجاج البوذيين الذين يأتون من كل أنحاء آسيا ليتعبدوا معًا.

---

(١٤٠) دونهوانج مدينة فى شمال غربى الصين بمقاطعة جانسو، كانت واحة توقف مهمة على طريق الحرير القديم بين الصين وروما. تشتهر المدينة بوجود المعابد التى بناها الرهبان البوذيون فى الكهوف والمعروفة "بمعابد الكهوف" .

وفى متحف كابول، شاهدت شكلاً فنيًا فريدًا من نوعه تمامًا يجمع بين السمات والرموز الإغريقية والبوذية فى تصميمه للتماثيل والزخارف. ولسوء الحظ، فقد دمر المتحف خلال الحرب الأهلية فى أفغانستان. وقد دمرت حركة طالبان تماثيل بوذا والرسوم المائية على حوائط الكهوف سنة ٢٠٠٢ (١٤١) رغم الاحتجاجات الدولية.

استعادة الإنسانية : أى ضوء؟ ومن أى مصباح؟

إيكيدا: لقد أقامت آسيا الوسطى علاقات وثيقة مع الإسلام أيضًا. أليس كذلك؟

طهرانيان: نعم، لقد فعلت ذلك. عندما وصل الإسلام إلى آسيا الوسطى فى القرن السابع، لم يكن أمامه مفر من الدخول فى حوار مع التقاليد الثقافية السابقة فى هذه المنطقة. وقد شمل ذلك التقاليد الهندوسية، والبوذية، والتاوية(١٤٢) ، والهيلينية(١٤٣) ، والإيرانية (الزرادشتية، والميثرائية)(١٤٤)، والمانشانية(١٤٥) ، والمازداكية (١٤٦) . وهكذا، فقد أحضر الإسلام الاسهامات الدينية والثقافية للساميين (اليهود والمسيحيين والمسلمين) إلى منجم ذهبى ثقافى حقيقى.

---

(١٤١) قامت طالبان بتدمير تمثالين لبوذا فى مارس سنة ٢٠٠١ .

(١٤٢) التاوية، مصطلح يشير إلى مجموعة من التقاليد والمفاهيم الفلسفية والدينية الصينية التى تنتشر فى شرقى آسيا، وهى يركز على الجواهر الثلاث لتاو" وهى التعاطف، والوسطية، والتواضع، وتركز على العلاقة بين الإنسان والطبيعة، .

(١٤٣) الهيلينية، يقصد بها الحضارة الإغريقية بعد عصر الإسكندر الأكبر.

(١٤٤) الميثرانية، ديانة غامضة ظهرت فى عهد الإمبراطورية الرومانية. ويرى البعض أن المسيحية استمدت بعض أفكارها من تلك الديانة .

(١٤٥) المانشانية، إحدى الديانات فى عهد الإمبراطورية الساسانية فى فارس، ظهرت حوالى القرن الثالث بعد الميلاد. امتدت خارج فارس من الصين إلى الإمبراطورية الرومانية، ونسبت إلى نبهاماتى (٢١٠ - ٢٧٦) وكتبت باللغة الآرامية وتدور حول ازدواجية الكون والروح.

(١٤٦) المازداكية فلسفة دينية يؤمن أنصارها بازدواجية الحياة، والكون، والروح، وقد أسسها مازداك فى الربع الأول من القرن السادس فى فارس. وقد أكد مازداك على عدة مبادئ تشبه الاشتراكية المعاصرة حتى لقبة البعض بأنه أول اشتراكى فى التاريخى، حيث نادى بحظر الملكية الخاصة وخطر مؤسسة الزواج. وقد عارض الديانة الزرادشتية لتركيزها على المؤسسة الدينية.

إيكيدا: هل أنا محق فى فهمى أن الصوفية، وهى (الروحانية الإسلامية) نشأت نتيجة الامتزاج بين ثقافات وحضارات متعددة.

طهرانيان: نعم، لقد حدث ذلك. فرغم أن الصوفية استعملت كنايات ورموزًا إسلامية، فإن محتواها كان توافقيا ومتعدد الثقافات بامتياز. وقد تركز دورها التأليفى على روح القانون أكثر من حرفية القانون، وعلى الطريقة أكثر من الشريعة، ونبضات القلب أكثر من حسابات العقل، والحقيقة الباطنية أكثر من الأشكال الخارجية للشعائر، وعبادة المضامين أكثر من المعبودين، ووحدة الوجود أكثر من تنوعات الحياة.

إن رسالة الصوفية تشبه رسالة التاوية. فهى على غرار التاوية، تشير إلى "الطريق" وتقدم الشعر كأداة للوصول إليه.

إيكيدا: يقول الرومى فى إحدى قصائده :

مشتعل فى نفس المكان عشرة مصابيح مختلفة كلها فى أشكالها

ولكنك حين تتفرس فى ضوئها الكلى لا تستطيع أن تحدد أى ضوء

يأتى من أى من المصابيح .

وفى عالم الروح

لا تجد انقساما ، أيا كان

لا تفرد ، أيا كان

ويخبرنا الرومى، الذى ذهب إلى حد تصور وحدة الجنس البشرى، أنه حتى إذا كانت هناك مئات الدول، وآلاف الجماعات العرقية، فإنه لابد من وجود الضوء العالمى "للإنسانية" يشتعل فى الأعماق الباطنة للتنوع. ما هو مهم الآن هو أن نشعل ضوء الإنسانية فى قلب كل شخص، وأن نجمع هذه الأضواء معًا. هذا أيضًا فى تقديرى أفضل طريق لكى نعطى الحياة تقاليد عرقية وثقافية متنوعة.

الكون العظيم شعور بالنظام التكافلى

طهرانيان: إن عصرنا الراهن لا يختلف كثيراً عما دار فى القرن الثالث عشر فى غربى ووسط آسيا. فرغم التقدم العلمى والتكنولوجى العظيم الذى حققناه، فإن التوتر الناشئ عن التغير الدائم، والرغبة التى لا تنتهى فى مجتمعاتنا المولعة بالامتلاك، بالإضافة إلى ما يتسم به عالمنا البيروقراطى من تجريد للحياة وانعدام للمعنى - كل ذلك أدى إلى جعل البشر مشردين روحيا.

إيكيدا: لقد وصف الرئيس التشيكى فاسلاف هافيل[١٤٧] ، الظروف الإنسانية فى عصرنا بأنها أزمة فى "مقدرتنا على أن نكون سادة أنفسنا".

طهرانيان: نعيش أحيانا فى عالم بلا معنى وبلا عقيدة وبلا رابطة جماعية، وبلا توجه. لقد أدى البحث عن معنى عالمنا بأناس متأملين ومرهفى الحس إلى البحث فيما وراء عالمهم الثقافى الخاص، عن ثقافات وحضارات أخرى، لتقدم لهم إجابات عن المعضلات التى تواجههم.

ويفسر ذلك، فى رأيى، نمو حركة سوكا جاكاى الدولية فى أجزاء كثيرة من العالم الإسلامى، وإفريقيا، والولايات المتحدة، ونمو المسيحية فى الاتحاد السوفيتى السابق والصين. أينما وليت وجهك، يمكنك أن تلحظ بحثا عن معان للتوافق بين الأديان تتخطى القومية المعادية للآخرين، والمركزية القومية، والنرجسية الثقافية.

إيكيدا: لقد ناقشت المعضلة التى أسميتها "معانى للتوافق بين الأديان" فى محاضرتى فى جامعة موسكو الحكومية سنة ١٩٩٤ بعنوان "الكون الرائع". تعلمنا لوتس سوترا، باستعمال التشبيه، كيف يستطيع كل إنسان أن يجد نفس الجوهرة (أى

---

(١٤٧) فاسلاف هافيل، كاتب مسرحى تشيكى، ولد سنة ١٩٣٦، أصبح الرئيس التاسع لجمهورية تشيكوسلوفاكيا (١٩٨٩ - ١٩٩٢)، وأول رئيس لجمهورية التشيك (١٩٩٣ - ٢٠٠٣)، لعب دورا مهما فى الثورة المخملية سنة ١٩٨٩ التى أنهت الحكم الشيوعى فى بلاده. وله تسعة كتب فى السياسة، أولها كتاب "قوة الضعفاء" سنة ١٩٨٥، كما أن له حوالى تسع عشرة مسرحية، أولها "أمسية مع العائلة" سنة ١٩٦٠ .

طبيعة بوذا). فإذا استطاع البشر الذين ينتمون إلى ثقافات وحضارات مختلفة أن يصلوا إلى وعى ذاتى كونى من خلال اكتشافهم لطبيعة بوذا الكامنة، فعند ذاك يمكن أن نجد الإنسانية، والطبيعة، والعالم متعايشين فى انسجام، حيث ينصهر الكون الأصغر والكون الأكبر فى وحدة واحدة من الحياة. ويمكن أن يطلق على تلك العالمية التى تبرز فى هذا السياق الشعور بالوعى التكاملى. فإذا استطاعت شعوب العالم أن تغرس فى حياتها ذلك الشعور بالعالمية، فإن الحوار والتفاهم المتبادل بين الجماعات العرقية والثقافية المختلفة يصير ممكنا. كان ذلك هو بيت القصيد فى محاضرتى.

طهرانيان: إن ما قلته هو مقولات فلسفية خالصة. وبالتوازى مع هذا التشوق لمعانى التوافق بين الأديان، فإن هناك أساطير جديدة تظهر حاليا لكى تحل محل الأساطير القديمة حول "الشعب المختار"، أو "القضاء والقدر المعلن"، أو "عبء الرجل الأبيض".

إن فرضية جايا، والتى تعتبر أن الأرض بمثابة كائن حى، هى أسطورة عالمية قوية يمكنها أن تقرب بين الأمم والقبائل فى شكل جهود مشتركة لحماية وتطوير "الأرض الأم". إن بناء مثل تلك الأساطير يشكل المرتكز الأساسى لأية حضارة. والاعتقاد فى سمو أى جنس أو أمة يقود غالبا إلى صعود الإمبريالية، والحرب، والدمار.

إيكيدا: أعتقد أنه يستتر وراء مختلف الصراعات العرقية التى تندلع اليوم فى أجزاء كثيرة من العالم، ضيق أفق الوعى العرقى المتطرف.

وفى خطابى فى جامعة موسكو الحكومية الذى أشرت إليه آنفًا، اقتبست من رواية ليو تولستوى(١٤٨)، آنا كارنينا. يلقى البطل ليفين ماءً باردا على العاطفة العرقية المدمرة للذات والتى جعلت من الحرب الصربية التركية بمثابة عمل بطولى، بقوله، "ورغم ذلك، فإنها ليست فقط قضية التضحية بأنفسهم، ولكنها قضية قتل الأتراك".

---

(١٤٨) تولستوى (١٨٢٨ - ١٩١٠) روائى وفيلسوف روسى شهير، اشهر رواياته "الحرب والسلام"، و"اناكارنينا" وتجسدان التيار الواقعى فى الرواية الروسية فى القرن التاسع عشر. دافع عن المقاومة السلمية فى كتابه "مملكة الله توجد فى داخلك"، والتى كان لها أثرها على غاندى ومارتن لوثر كنج.

طهرانيان: إن جنون الحرب يعمى البشر عن فهم تلك الحقيقة الواضحة.

إيكيدا: إن الاحتماء بهذا الجنون هو الشر الذى يدفع بعض البشر إلى ارتكاب الأعمال الوحشية غير الإنسانية ضد الجماعات البشرية الأخرى بدون تفكير.

لقد أمعن ليفين النظر فى ذلك الشعور الإلهى الذى يشعر به داخل ذاته. لقد نظر إليه على أنه السعادة القصوى، وسأل. "هل هذه السعادة مقصورة على المسيحيين؟ ماذا عن اتباع الديانات الأخيرة مثل "اليهود، والمحمديين، والكونفوشيين، والبوذيين..." (١٤٩)

بلا شك، كان ذلك وحيا شعر به ليفين بداخله. ومن ثم، فقد طرح أسئلة عن المسيحيين والوثنيين. إن مثل هذه الشكوك هى تعبير عن القوة الداخلية التى تحرك الاستبطان، والتجديد الذاتى فى سياق العالمية.

طهرانيان: هذا بالضبط هو مفتاح التغلب على الانغلاق الدينى. وكما نعلم جميعًا، فإن الدوجما الدينية قد أنتجت مآسى لا حصر لها عبر التاريخ البشرى.

إيكيدا: إن القوة الداخلية هى مصدر تواضع وكرم الروح التى ظلت لب القيم البشرية الأخلاقية منذ العصور القديمة، كما ظلت بمثابة المكونات الأساسية للحوار ذى الدلالة. وحينما يتجاهل الدين أهمية القوة الداخلية والتأمل الذاتى، فإنه يخاطر بأن يتحول إلى قوة طاغية ومتغطرسة، كما يقدم فى أغلب الحالات المبرر لكى يقوم البشر بإيذاء وحتى قتل بعضهم بعضًا "من أجل الدين". لقد حدث هذا النوع من الضلال مرات ومرات طوال التاريخ الدينى.

يجب أن نقف جميعًا على الأرضية المشتركة "للإنسانية"، و"ليس من أجل الدين". إن حركة سوكا جاكاى الدولية من أجل "الثورة الإنسانية" تهدف فقط إلى التغيير الباطنى للأفراد، الذين سيبحثون سويا عن طريق لتصحيح الضلالة فى التاريخ، وخلق حضارة جديدة مشرقة وعالمية.

---

(١٤٩) يطلق ليفين على المسلمين مصطلح "المحمديين"، وهو مصطلح ينسب المسلمين إلى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وليس إلى دين الرسول، وهو الإسلام.

طهرانيان: لقد حان الوقت لنا جميعًا لأن نتبنى مبدأ محوريا مثل "فرضية جايا"، والتى تتأسس ذاتها على شواهد علمية ضخمة، وذلك من أجل توحيد العالم ضد الحرب، والجهل، وعدم العدالة.

يجب أن تتأسس حضارة عالمية، كما لاحظت أنت، على أساس "الثورة العالمية"، التى تعتبر "سفينة الأرض" بمثابة ناقلة فى رحلتنا الاكتشافية المشتركة لبناء سلام وصداقة، وسمو بين الحضارات.

الفصل الثامن

بحثًا عن أخلاق عالمية

التحرر من الطمع، والدوجما، والوهم

طهرانيان: كان تحليلك الآنف لسبب تخلى شاكيامونى عن العالم العلمانى، تحليلاً مثيرًا. فقد اكتشف أن أسباب المعاناة البشرية لا تكمن فقط فى "المواقف المأساوية" مثل الفقر والمرض، بل إنها تكمن بشكل أكبر فى المتاعب الأساسية المتجذرة فى القلب الإنسانى، أى الانشغال الأنانى بالتمييز بين الأنا والآخر، كما هو الحال فى التمييز بين الصحيح والعليل، والصغير والكبير.

يمكننى أن أتفاعل بكل قلبى مع ملاحظة بوذا الجوهرية. وإذا جاز لى أن أعيد صياغة المثاليات البوذية، فإنه يمكن تلخيصها فى "الحريات الثلاث"، الحرية من الدوجما، ومن الوهم، ومن الطمع.

إيكيدا: إنه تلخيص بعيد النظر حقا، "الطمع"، و"الدوجما" و"الوهم" - هذه كلها تسمى فى البوذية تون (الطمع)، جن (الغضب)، شى (الغباء). فالبوذية فلسفة عملية تهدف إلى البحث عن الخلاص من القيود الحديدية لضلالات القلب.

"تون" تعنى حرفيا الطمع أو الجشع؛ جن تعنى الغضب، ولكن ليس الغضب البسيط، إنه ذلك الدافع المدمر الذى يدفعنا نحو احتقار الآخر الذى نسعى إلى إفنائه تماماً. إنه أكثر الأنواع فظاظة من الدوجما التى تعتقد بصحة أفكارها.

"شى" يمكن ترجمتها إلى الغباء أو الجهل. إنها تعنى العجز عن الإدراك الصحيح للأشياء كما هى؛ بما يؤدى بدوره إلى فهم مشوه وملتو للأمور. شى لا تعنى عدم الإدراك، ولكنها تعنى سوء الفهم، والتوهم، وسوء الإدراك.

وتعرف تلك المصطلحات فى البوذية على أنها "السموم الثلاث"، أو الشرور الأساسية التى تختبئ فى أعماق القلوب. ولما رأى شاكيامونى، كيف أن تلك الشرور قد نخرت فى جسد المجتمع، ترك القصر الملكى بحثًا عن وسائل للتغلب على تلك الشرور.

طهرانيان: تتصور المثاليات الصوفية أيضًا التحرر من الشرور الثلاثة ذاتها. والحق أن الصوفية، وهى حركة روحية تأثرت بالبوذية، كانت بمثابة رد فعل ضد الطابع الوضعى، والرسمى، والقانونى للإسلام المنغلق. لقد بدأت باعتبارها سعيًا من أجل "التحرر من الدوجما".

لقد كان ذلك على النقيض من تفسير بعض علماء الدين الدوجمائيين الذين أصروا على أن الشريعة تتطلب تمسكًا جامدًا "بحرفية القانون".

إيكيدا: كذلك، فإن الطرق الصوفية أكدت على الولاء "لروح الشريعة" ألم تفعل ذلك؟ إن التمسك الدوجماتى بحرفية النصوص، بدلا من الاهتمام فى المقام الأول بالمقاصد الأصلية للتعاليم، وللآمال التى ألهمت النبى أو المعلم، يؤدى فى النهاية إلى تحول الدين إلى هدف فى حد ذاته. فالدين يجب أن يوجد لخدمة البشر، وإلا فإنه يتراجع إلى حالة من التعصب ضيق الأفق، وإلى الدوجماتية.

من ناحية أخرى، فإنه طبقا للتقليد الصوفى، كما أراه، فإن المعنى الباطنى للتعاليم هو ما يهم فى المقام الأول.

طهرانيان: بالضبط، كما هو الحال فى معظم الديانات العالمية الأخرى، كان الخلاف بين الشرعيين، والروحانيين موجوداً فى الإسلام دائمًا. وقد أوضح ذلك جلال الدين الرومى، الشاعر الصوفى فى القرن الثالث عشر، حينما قال:

لقد أخذنا لب القرآن

ورمينا العظام للكلاب

وعلى سبيل المثال، ففى إيران الحالية يوجد فيلسوفان مهمان هما على شريعتى،[١٥٠] وعبد الكريم سوروش[١٥١]، ناضل كلاهما بصلابة ضد الدوجماتية المذهبية.

إيكيدا: لقد انتقد نيتشيرين، الذى نتبع تعاليمه فى سوكا جاكاى، علماء الدين الذين لا يستطيعون أن يتخلوا عن انشغالهم بالحرفية السطحية للسوترا، ووصفهم بأنهم "علماء دين يركزون على عالم الكتابة". ولا يعنى هذا بالطبع القول إن الكلمات الواردة فى السوترا ليست مهمة، إذ إن لهذه الكلمات احترامها، ولكن التمسك العنيد بالمعنى الشكلى للكلمات يقودنا فى الغالب إلى أسوأ أشكال الأصولية.

أكثر من ذلك، فهناك مشكلات فى الترجمة، حيث إن كثيرا من الناس يعتمدون على النصوص الدينية المترجمة من الأصل أو من لغة أخرى. كذلك، فاللغة تختلف من زمان لآخر، ومن مكان لآخر.

ويظهر نيتشرين بقوة فى تاريخ البوذية اليابانية نتيجة لوعيه العظيم بهذه المشكلات، وتأكيده على المعنى أكثر من الحروف فى نصوص السوترا. لقد كان ينادى بالتمسك بروح تعاليم بوذا، أكثر من التمسك بحروف الكلمات.

طهرانيان: إن النقد الذى وجهه نيتشرين مشروع، كما أن منهجه صائب. فالمشكلة تتحصل فى التحليل الأخير فى النص والمعنى والقصد، أما فيما يتعلق بالتحرر من الوهم، فإن الصوفية – شأنها شأن البوذية – تميز بين الحقيقة والإدراك الوهمى، وهو تمييز سبق أن قال به أفلاطون، وأرسطو، وإيمانويل كانت[١٥٢] فى نظرياتهم عن المعرفة.

(١٥٠) على شريعتى (١٩٣٣ – ١٩٧٧) عالم اجتماع إيرانى مشهور بدراساته فى علم الاجتماع الدينى، وترجم كتاب فرانز فانون "المعذبون فى الأرض"، إلى اللغة الفارسية.

(١٥١) عبد الكريم سوروش، فيلسوف ومفكر إيرانى، ولد سنة ١٩٤٥، اشتهر بتفكيره الدينى الأخلاقى. وتدور أهم أفكاره حول التمييز بين الدين وفهم الدين، وبين جوهر الدين وهوامشه. واشتهر بدفاعه عما أسماه "الديمقراطية الدينية".

(١٥٢) إيمانويل كانت (١٧٢٤ – ١٨٠٤) فيلسوف ألمانى ولد فى كونيجسبرج، فى بروسيا (كالينينجراد حاليا فى روسيا)، ومن أهم كتبه "نقد العقل الخالص"، والذى قدم فيه نقداً إمبريقياً للفلسفة العقلانية كما قدم فى كتابه "السلام الدائم"، تصوراً فلسفيا للشروط اللازمة لإنهاء الحروب وإقامة السلام الدائم على أساس وجود حكومة عالمية.

فالتمييز بين الظاهر والباطن تمييز محورى فى الرؤية الصوفية. ويتطلب الأمر تدريبًا روحيًا طويل الأمد للذهاب إلى ما وراء الظاهر.

إيكيدا: إن المصطلحات البوذية المرادفة "للوهم"، و"الإدراكات الوهمية" هى "مايثيا - جوانا"، وذلك باللغة السنسكريتية، و"هسيه - شيين" (شى - جيان) باللغة الصينية، والتى تعنى حرفيا "الرؤى الخطأ". أما "الرؤى الصحيحة"، فهى "تاتفا - جوانا"، و"شينج - شيان" (جينج - جيان). وهناك فقرة فى لوتس سوترا تقول: "وهكذا، يدرك المرء المظهر الحقيقى للعالم الثلاثى الأبعاد، كما هو بالفعل". إن هذه الفقرة هى شكل آخر للتعبير عن المعنى ذاته.

لقد أشرت إلى أفلاطون، وأرسطو، وإيمانويل كانت فيما يتعلق بالتمييز بين الإدراكات الحقيقية والوهمية، ولكننى أعتقد أن هناك فروقًا جوهرية بين نظرياتهم عن المعرفة.

طهرانيان: هذا صحيح، وسأتحدث عنها بشكل أكثر تفصيلاً. دعنى أوضح الرؤية الأفلاطونية أولاً.

فى كتابه "الجمهورية" استعمل أفلاطون المعنى المجازى للكهف، وشبه أحوال البشر بأحوال مجموعة من السجناء المقيدين بالسلاسل داخل كهف مظلم. فهم يستطيعون أن يروا فقط ظلال ما يحدث فى الخارج، وقد انعكست على الحائط من خلال فتحة موجودة خلفهم. وهكذا يميز أفلاطون بين الإدراكات الحسية لهؤلاء المقيدين بالسلاسل فى الكهف، وبين التعامل المباشر مع الضوء خارج الكهف.

إيكيدا: يستطيع المسجونون المقيدون بالسلاسل أن يروا الظلال فقط، والتى استمدوها من الحقيقة ذاتها. لقد كان رأى أفلاطون هو أن المسجونين هم أنفسنا نحن، البشر العاديون الذين يعيشون فى عالم المجتمع الحقيقى. لقد كان يقول إنه من الناحية الفعلية فإن ما نراه فى حياتنا اليومية ليس إلا وهما.

طهرانيان: إن الإدراكات الحسية غالبا ما تضللنا. إن "السلاسل" فى هذا المجاز تشير إلى الجهل. ولا يستطيع أن يخرج من إسار إدراكاتها الوهمية ليصل إلى الضوء الخالص خارج الكهف إلا هؤلاء الذين حرروا أنفسهم من قيود الجهل. لقد أسمى أفلاطون هؤلاء "الملوك الفلاسفة"، وهم البشر القادرون على ممارسة الحكم فى جمهوريته المثالية. وقد رأى أن الضوء يكمن فى عالم الأفكار التى تضم الحق، والجمال، والخير.

إيكيدا: هذا هو عالم الأفكار. فبينما يمثل السجن العالم المكون من حياتنا اليومية، فإن عالم ضوء الشمس هو العالم الذى يسوده العقل، إنه عالم الأفكار.

طهرانيان: إننى أميل إلى تفسير الأفكار الأفلاطونية على أنها مفاهيم كامنة فى لغاتنا. لقد ميز أفلاطون بين الإدراك والمفهوم، واعتبرهما مصدرين متلازمين للمعرفة الإنسانية، ولكن عند أفلاطون، فإن المفهوم هو مصدر أرقى للمعرفة.

إيكيدا: المفهوم هو عالم تفكيرنا، حيث يعمل العقل، وقد اعتبره أفلاطون أسمى من الإدراك لأن العقل يمكننا من فهم عالم الأفكار.

طهرانيان: لقد أكد المبدأ الأفلاطونى للروح وجهة النظر تلك.

إيكيدا: تقصد مبدأ التذكر لدى أفلاطون (أنامنيسس).

طهرانيان: نعم، يقول أفلاطون إننا أتينا من عالم آخر، عالم الكمال، والمعرفة الكاملة، ولكن حينما نزلنا إلى عالمنا، نسينا أصلنا. ولهذا، فإن المعرفة بالنسبة له هى عملية تذكر ما نسيناه. ولهذا، فإن أداته التربوية كانت الحوار - الحوار الأفلاطونى - والذى وظفه لاستثارة تلاميذه من خلال الأسئلة لكى يتذكروا ما فقدته أرواحهم.

إيكيدا: فى مناقشاتى مع الشباب، غالبًا ما نتحدث عن سقراط وأفلاطون، حياتهم وأفكارهم. ولهذا، فإننى أقرأ أفلاطون من آن لآخر. إن مذهبه الخاص بالتذكر (أنامنيسس) قد انعكس فى حوار مينو[١٥٣]. إن هذا الكتاب يحتوى على عبارة واحدة

(١٥٣) مينو اسم لحوار سقراطى كتبه أفلاطون، ويتناول تعريف الفضيلة بصفة عامة. ويدور الحوار بين سقراط ومينو حول الفضيلة الإنسانية، هل هى قابلة للتعلم، وهل يشترك فيها كل البشر، وحول ما إذا كانت ذات خصائص مختلفة.

أجدها دائمًا مصدرًا للإلهام. "ليس ثمة شيء لم تتعلمه الروح". اعتقد أن هذه العبارة رائعة، إذ إنها تعلن عن تصوره للقدرة البشرية.

إذا تحدثنا عن المعنى الحرفى لمفهوم أنامنيسس، فإنه يرتكز على فكرة الروح الخالدة. ومن وجهة نظر البوذية، وهى لا تعترف بوجود كيان حقيقى مثل الروح، فإن المفهوم الأفلاطونى يبدو على أنه مفهوم غريب. ولكن إذا فسرناه على أنه تأكيد للانهائية القدرة البشرية، أكثر من كونه خلود الروح، يصبح للمفهوم الأفلاطونى معنى.

طهرانيان: أوافق تمامًا. فى تقديرى، فإن المقدرة الإنسانية على التعلم لا نهائية. ورغم ذلك، فإننا أسرى لمفاهيمنا الثقافية، وخبراتنا الحسية الخماسية (الإدراك). نحن فى حاجة إلى الحدس (الفهم الروحى)، والسلوك (المحاولة والخطأ)، لكى نتقدم نحو فهم أفضل.

إيكيدا: لكى أصور لك كيف أن القدرة العقلية الإنسانية هائلة، فإن عدد النبضات أو الوصلات العصبية المحتملة التى يمكن أن تمر عبر المشتبكات العصبية فى القشرة المخية، مركز الذاكرة والوظائف المعرفية العليا، يقدر بعدد يتراوح بين ما يزيد على عشر نبضات عصبية ومائة ألف نبضة. ويمكنك مقارنة هذا العدد بعدد الشحنات الكهربية التى تحدث فى الكون بأسره، والذى يقدر بعدد يتراوح بين أقل من عشر شحنات ومائة شحنة. ومن ثم، يمكننا القول، مجازا، إن القدرة العقلية تفوق ما يمكن للشحنات أن تفعله فى الكون. وإذا افترض شخص ما أن ذاكرته تعمل بقوة تساوى واحدًا على عشرة آلاف من قوة الذاكرة المتوسطة، فهذا معناه أن قوة ذاكرته أقل من قوة الذاكرة المتوسطة بأربعة أصفار فقط من حوالى مائة ألف صفر.

طهرانيان: هذا ليس شيئًا يذكر.

إيكيدا: صحيح. إن المقدرة الإنسانية من الناحية العملية غير محدودة. لقد قارن أفلاطون بين البشر العاديين والمسجونين المقيدين بسلاسل الجهل. وهو لم يكن يقصد بالجهل غياب المعرفة منذ البداية، ولكنه كان يعنى فجوة فى ذاكرة المعرفة التى يملكها الإنسان بالفعل. ويترتب على ذلك، أنه إذا استطعنا أن نتذكر طبيعتنا النبيلة الأولى،

فإنه يمكننا أن نخرج من إسار قيود الجهل. وفي تقديري، فإن الكسل واللامبالاة الذين يعيشهما بعض الناس ينبعان من عدم الثقة في الاقتناع بعظمة المقدرة الإنسانية.

طهرانيان: أوافق. إن الشعوب في عصرنا الحالي تتوق إلى حضارة جديدة يمكن أن تؤدي إلى الازدهار الكامل للمقدرة الإنسانية اللانهائية. وفي هذه العملية، أعتقد أن أفلاطون، وكانت، وحكمة البوذية والإسلام، ضمن أخرين عديدين، سيكون لهم أدوار كبيرة يقومون بها.

والآن، لقد قبل أرسطو بشكل جزئي مقولة معلمه أفلاطون. فقد اعتقد في أولوية الإدراك (الخبرة الحسية) كمصدر للمعرفة. ولهذا فإنه يعد بمثابة الفيلسوف المؤسس للعلم الحديث.

إيكيدا: تقصد التمييز بين المفهوم والإدراك الحسي، بين عالم الأفكار وعالم الوقائع.

طهرانيان: لقد قام إيمانويل كانت (١٧٢٤ - ١٨٠٤)، الأب المؤسس للفلسفة الحديثة، بتطوير نظرية المعرفة تلك، فميز بين عالم الرموز، وعالم الظواهر. وكان يقصد بعالم الرموز عالم "الأسماء"، فنحن نطلق الأسماء على العالم لكي نفهمه ذلك أن تصنيف الأشياء بالاسم هو الكيفية التي نتعرف بها على العالم.

إيكيدا: لقد عرفت بدقة ووضوح كيف أنه عبر تاريخ الفلسفة أصبح تحليل الطرق التي يعمل من خلالها العقل الإنساني أكثر تقدمًا وتحديدًا بمرور الزمن. ورغم ذلك، يمكن القول إن أفلاطون وكانت يقعان على طرفي نقيض في نظرياتهما عن المعرفة. فبالنسبة لأفلاطون فإن العالم الذي نفهمه بالعقل هو عالم الأفكار، العالم المثالي. لقد اعتبر المنطق والفهم العقلي أسمى من الإدراكات الحسية.

طهرانيان: وبالعكس، فعند كانت فإن العقل ليس مقدمًا.

إيكيدا: صحيح. لقد كان كانت واضحًا في التعرف على حدود العقل، والفهم الإنساني، أو "فيرستاند"، إذا استعملنا مصطلحاته. فقد كان يعتقد أن هناك الكثير مما لا تستطيع القوى الإنسانية أن تستوعبه، وأنه من الغطرسة الفجة أن نفترض أننا قادرون على فهم كل شيء من خلال المنطق والعقل.

وفي عصرنا الراهن، نرى أن العبادة الحديثة للعقل الأداتي، أنتجت مآسي بحجم فظاعة أوشفيتز وهيروشيما[١٥٤]. إن معرفتنا بهذه الأحداث الفظيعة، يجعل من السهل علينا أن نفهم الأساس الذي بموجبه انتقد كانت العقل. فلأن إيمانويل كانت أدرك حدود العقل، فإنه كان قادرًا على أن يتفهم كيف أن الفلسفات والرؤى المبنية على أساس العقل والفهم الإنساني بمفردها ستهبط حتمًا إلى مستوى المعتقدات المطلقة (الدوجما).

طهرانيان: بهذا المعنى، ربما كان من الممكن أن نقول أنه حينما انتقد الدوجماتية فإنه كان يبحث عن الشروط اللازمة لبناء "الحوار المفتوح"، الذي نسعى معًا إلى تحقيقه. ولكي أكون واضحًا، فالبشر غير قادرين على معرفة المعنى الحقيقي للأشياء والظواهر. ورغم ذلك، فإنه علينا أن نستمر في البحث عما هو سام، وسرمدي. كان كانت يعتقد أنه كلما انخرطنا في مثل هذا البحث، استطعنا أن نحافظ على حريتنا. وتتفق هذه الرؤية مع رؤيتنا للحوار الذي نجريه. فالمعرفة الإنسانية محدودة من حيث الزمان والمكان، ولا يمكن أن نوسع من الزمان والمكان إلا من خلال الحوار.

إيكيدا: أوافقك. فروح إيمانويل كانت هي ذاتها تلك الروح الدينية التي تحدثنا عنها، والتي تبحث عما هو سرمدي. دعني عند هذا المنعطف أشرح أوجه الشبه بين البوذية ونظرية المعرفة عند كانت. فكلاهما يؤكد أنه بالعقل وحده لا يمكن معرفة الأشياء، أي ما هو باطني. وبالتالي، فإننا نطلق الأسماء على الأشياء لكي نميزها عن بعضها، ولكي نجعلها قابلة للفهم. فالتمييز بين "الرجل"، و"المرأة" أو بين "الصديق" و"العدو"، أو بين "المسلم"، و"المسيحي" هو من قبيل إطلاق الأسماء، والتي تهدف إلى تصنيف البشر، وجعلهم قابلين للتعرف عليهم. ولكن تلك الأسماء ليست هي الكائنات البشرية ذاتها. حيث لكل كائن بشري هويته الخاصة. لقد كان إيمانويل كانت واضحًا

(١٥٤) هيروشيما مدينة يابانية التي قصفتها الطائرات الأمريكية بالقنبلة النووية في الحرب العالمية الثانية، في أغسطس سنة ١٩٤٥.

تمامًا حينما أشار إلى هذا النقص فى الطريقة التى يعمل بها العقل، حينما يتجاهل هذه التفرقة بين الكائنات وأسمائها.

وهذا هو تمامًا ما تفعله البوذية. فكما قلنا سابقًا، فإن شاكيامونى، وناجاريونا- من بين آخرين - انتقدوا بشدة الإدراك المفهومى والمعرفة التى نحصل عليها عن طريق اللغة. ولهذا، فإنهما فى هذه النقطة بالتحديد أكثر شبهًا بفكر كانت، رغم أن كانت فيلسوف معاصر أتى بعدهما بعشرين قرنا.

طهرانيان: هذا أحد العناصر العظيمة للقوة فى البوذية. فكل الثنائيات التى يستعملها البشر، ومنها على سبيل المثال "الخير والشر، والضوء والظلام، والأسود والأبيض، والديمقراطية والديكتاتورية"، تجسد الكيفية التى تعرف بها عقولنا المحدودة العالم. وقد أكدت البوذية بشكل قاطع عدم كفاية هذا المنهج. إن التفكير الثنائى هو أكثر الأشكال بدائية فى تصنيف العالم.

إيكيدا: بما أن البشر غير قادرين على فهم العالم كما هو، فإنهم يقومون بتبسيط وتصنيف عالم متنوع ومتعدد الأبعاد، ويضعون أنفسهم فى جانب الخير، والضوء، والأبيض، والديمقراطية.

طهرانيان: بهذا المعنى، فإننا فى بحثنا عن الحقيقة نصير أسرى للغتنا. ففى هذا البحث يجب أن نذهب إلى ما وراء اللغة، أى إلى الموسيقى، والفنون المرئية، والطقوس الدينية، وحتى الصمت.

إيكيدا: إن العناصر الذاتية وأشكال التعصب تتغلغل فيما نعتقد أنه الحقيقة "الموضوعية". يجب ألا نفترض أبدًا بشكل تحكمى أن الفقراء - على سبيل المثال - ليسوا "متعلمين تعليمًا جيدًا" أو أنهم "سيئو السلوك". فربما لم يتوفر لهم التعليم المتقدم، لأسباب مالية وغير مالية، ولكن كمية التعليم الرسمى الذى يتلقاه المرء، أمر مختلف تمامًا عن شخصيته الذاتية. هذان أمران مختلفان تماما.

أعرف حرفيين يعملون بدأب بأيديهم لسنوات. وغالبا ما يكون هؤلاء أناسًا ذوى شخصيات أكثر احترامًا من أناس حصلوا على درجات من جامعات مشهورة. هؤلاء الحرفيون قد لا يكونون قد تلقوا تعليمًا رسميا، ولكنهم تعلموا الكثير من الخبرة.

طهرانيان: لا يمكننى أن أوافق أكثر من ذلك. إن "صوت الشعب، هو صوت الله". ولذلك فإنه رغم عيوبها، تظل الديمقراطية هى أفضل أشكال الحكومات.

إيكيدا: إن المفهوم البوذى لكلمة "كو" (باللغة السانسكريتية شونيا أو شونيانا) هو المطالبة بإصرار بالانتباه إلى نزعتنا لأن نصبح أسرى "الموضوعية المصطنعة"، و"الرؤى الخطأ"، كما أنها تدفعنا إلى السعى وراء "الرؤى الصحيحة"، وأن ندرك المعنى الحقيقى للظواهر بالضبط كما هى.

طهرانيان: إننى أعرف هذا المفهوم.

إيكيدا: يعتقد اليابانيون خطأ أن لمصطلح "كو" (أى الانقطاع، والفراغ، والبطلان) معنى عدميا. ولكن طبقًا لنظرية "كو" فإن الكلمات والمصطلحات التى نأخذها كمسلمات هى فى الواقع مفاهيم مصطنعة أنشأها الخيال الإنسانى. والعادة أن مثل هذه الأشياء الدنيوية التى نشأت عن الاختراع الإنسانى، تسمى فى البوذية "جيو" (بالسنسكريتى سامسكارا). فأحد التعاليم البوذية الأساسية هى أن كل الأشياء (الدنيوية) تتدفق، وليس ثمة شىء دائم. ولكى نتعلم التحرر من "قيود العادة" طور شاكيامونى وناجاريونا بعض فلسفاتهم العظيمة.

طهرانيان: من المنظور الكانتى، فإن كل فكر ينشأ لكى ينقل إلى الآخرين، يفقد مصداقيته فى اللحظة التى يتم فيها النطق به. فالواقع فى حالة سيولة مستمرة، ولكن اللغة تتحجر. ويرى الصوفيون أن الفقر أو الفناء هو أعلى مراتب الإنجاز الروحى. وهذا يعنى، من الناحية الرمزية، التحرر من الممتلكات والهموم الدنيوية لكى نذيب أنفسنا فيما هو سرمدى.

إيكيدا: إن الواقع هو سلسلة لا نهائية من التغير، يستحيل ربطه بكلمات ومفاهيم، ووعى متحجر. أن تصبح أسيرًا للغة، يعنى أن تفقد القدرة على رؤية جوهر الأشياء. والمصطلح البوذى "شوهو جوسو" (المعنى الحقيقى لكل الظواهر) يوصل تلك الفكرة بشكل جيد، بإشارته إلى الواقع المتغير للأشياء.

طهرانيان: اثنان من القصائد الشعرية الثنائية التى نظمها جلال الدين الرومى تشير إلى جوهر الموضوع الذى نتحدث عنه:

من تعلم أسرار الحب

أغلق فمه، وأطبق شفتيه

والنزاع بين البشر ينشأ من معانى الكلمات

ولكننا حينما نغوص فى أعماق الجوهر، لابد أن يسود الانسجام

إيكيدا: لا حاجة بنا إلى القول بأنه ليس ثمة حوار بدون لغة. يجب علينا أن نحتاط دائمًا، بل وأن نقاوم خطر أن نصبح أسرى اللغة، وألا نكون عبيدًا للكلمات. حينئذ فقط يمكن أن نتمكن من الوصول إلى الحكمة التى تمكننا من إدراك الأشياء كما هى، وأن ننطق بالحقيقة.

"أغلق فمه"، هكذا كتب الرومى، ولكنه هو ذاته لم يخرس فمه. لقد كان شاعرًا، وكان عبقريا فى التعامل مع الكلمات، ولكن تحذيره من "تكلس" الكلمات مازال ذا دلالة.

طهرانيان: نعم، الأمر كذلك. يجب أن نحاول دائمًا أن نتعمق. ما أطلقت عليه مسمى "الحرية الثالثة"، أى الحرية من الطمع، هو أمر محورى فى المسار البوذى.

طبقًا للتعاليم البوذية، فإن الطمع هو أحد المصادر الكبرى للمعاناة الإنسانية، ولن تنتهى تلك المعاناة إلى أن نتغلب على نزعاتنا للاستئثار بالآخرين وبالأشياء. كما أن الطمع يمكن أن يركز على الثروة والقوة، والمعرفة الرسمية، وطول الأجل.

إيكيدا: إن كثيرا من الناس فى عصرنا واقعون تحت وهم أنهم يعيشون لإشباع رغباتهم.

طهرانيان: فى مجتمعاتنا المحبة للملكية، نتلقى بصفة دائمة وابلاً من القنابل من

الإعلانات التجارية التى تخلق لدينا حاجات زائفة، وشهيات حقيقية ومن ثم فإن هوياتنا الشخصية تحددها من الناحية الاجتماعية عاداتنا الاستهلاكية. لدينا نزعة سحرية نحو الهويات الاستهلاكية.

إيكيدا: إنه لأمر يثير الشجن، أن نتخيل أن الفردية، هذه الهبة الغالية التى لا يمكن إحلالها، يمكن أن نعبر عنها من خلال الاختيار بين المنتجات.

طهرانيان: إن السيارة التى نقودها، والعطر الذى نستعمله، والشخصيات المشهورة التى نسعى إلى أن نرتبط بها، كل ذلك يحدد هويتنا المصطنعة. ولكنه صراع لا طائل منه، فكلما امتلكنا، قلت قيمتنا. إن هويتنا الاستهلاكية ترتكز على ممتلكاتنا الخارجية وليس على حياتنا الداخلية الشخصية. وهذا قد يكون جزءًا مما قصده ت. س. إليوت(١٥٥) حينما كتب فى شعره.

نحن أناس فارغون

نحن أناس محشوون

وقد عبر غاندى عن تداعيات المجتمعات الغارقة فى حب التملك بشكل متزايد حينما قال، إن هناك فى العالم ما يكفى حاجات كل إنسان ولكن ليس هناك فى العالم ما يكفى لإشباع أطماع كل إنسان.

إيكيدا: فى إحدى المرات همس الشيطان فى أذن شاكيامونى، "إذا تخليت عن أعمال بوذا، ستصبح قادرًا على تجميع ثروة تفوق جبال الهمالايا". وقد رد شاكيامونى على ذلك بحزم، "حتى إذا استطعت أن تحول الهمالايا ذهبًا، وحتى إذا ضاعفت من هذا الذهب، فإن هذا لن يشبع رغبات شخص واحد. يجب أن يعلم الناس تلك الحقيقة،

---

(١٥٥) ت. س. إليوت (١٨٨٨ – ١٩٦٥) شاعر وناقد درامى حصل على جائزة نوبل فى الأدب سنة ١٩٤٨، له العديد من دواوين الشعر والقصص الروائية. رغم أنه ولد فى الولايات المتحدة فقد انتقل إلى بريطانيا سنة ١٩١٤ وأصبح مواطنًا بريطانيا سنة ١٩٢٧ .

وبالتالى يضبطون أداءهم". (ساميوتا - نيكايا، ٢٠٠٤).

ليس هناك تلال جميلة، أو بحيرات بللورية، أو طيور مغردة فى جبال الطمع فى الهمالايا. اليوم، بعد أن بلغ حب الامتلاك ذروة غير مسبوقة، أصبح من الأهمية بمكان أن يضبط البشر رغباتهم وأن يحرروا أنفسهم من الطمع.

طهرانيان: هذا صحيح حقًا. وفى ذلك يقول الشاعر الصوفى السعدى، "لا يملأ العيون الشرهة سوى الزهد أو تراب القبر".

إيكيدا: فى الوقت الراهن تهب رياح اقتصاد السوق المترابط عالميًا، محملة بقوة تكفى لسحق النظم المالية والنقدية لأية دولة فى أسبوع.

طهرانيان: هذا بالضبط هو اقتصاد السوق، هو عاصفة تتزامن مع جنون الاستهلاك والتملك. وقد قدم تقرير معهد تودا حول إصلاح الحكم الرشيد العالمى، بعنوان "إعادة بناء العالم: تجاه حكم رشيد ديمقراطى"، عدة مقترحات محددة لمعالجة هذا الموقف: وقد نشرت نسخة مفصلة من هذا التقرير فى كتاب، "مقرطة الحكم الرشيد العالمى".

الاقتصاد من أجل الناس

إيكيدا: حسنًا. هذا يعنى أن هناك ضوءًا فى العالم. أعتقد أن هناك شعاعًا عظيما من الأمل فى المستقبل، وأن هذا الشعاع يتجسد فى تيار يتنامى حاليًا. دعنى اقتبس بعض السطور من طاغور.

"أفضل أن أنظر قدما نحو انطلاق فصل جديد فى تاريخ البشرية، بعد أن يهدأ الطوفان، وتصبح البيئة نظيفة بفضل روح الخدمة والتضحية. ربما يبزغ هذا الفجر، من هذا الأفق، من الشرق حيث تشرق الشمس".

أعتقد حقًا أن هناك حكمة جديدة، وإطارًا جديدًا للعمل ينشأن فى المناطق الهامشية للسوق الحر، وللاقتصادات المبنية على الاستهلاك الضخم الكبير. وأحد

علامات بروز هذا التوجه هو الفكر الذى عبر عنه البروفسور آمارتيا سين[١٥٦] ، والذى ترك أثرًا بارزًا حيث كوفئ على إسهامه بجائزة نوبل للاقتصاد سنة ١٩٩٨، فى الوقت الذى كانت فيه أنشطة السوق قد تحولت إلى زوبعة عالمية[١٥٧] .

طهرانيان: إن الدكتور سين مفكر بارز، فهو أول آسيوى يحصل على جائزة نوبل فى الاقتصاد. وقد حصل على الجائزة من خلال الربط النظرى بين أطر التحليل الاقتصادية وفكرة القوة البشرية الكامنة، فى الوقت الذى كانت فيه تلك الأطر تركز على السعى نحو المنفعة.

إيكيدا: لقد ولد الدكتور سين فى سانتينيكتان على أطراف كالكتا، حيث أسس طاغور جامعة تدور فلسفتها المحورية حول شعار "تعليم الإنسان المتكامل". ويروى البعض أن طاغور هو الذى أسماه باسمه الأول آمارتيا، وهو يعنى "ما بعد الموت" أو "الخلود".

طهرانيان: طبقًا لنظريته الاقتصادية، يعطى الدكتور سين وزنًا أكبر للحرية مقارنة بالأصول، والكفاءة الاقتصادية. وهو بذلك يعبر عن رسالة طاغور للإنسانية، وهو أن البشر يجب أن ينحوا جانبًا مفاهيمهم المسبقة، وعاداتهم، وافتراضاتهم، بحيث يكونوا أحرارًا تمامًا فى إبراز عبقريتهم الذاتية.

إيكيدا: إن الموقف الثابت للدكتور سين الذى يقضى بأن السماح بعدم العدالة يعادل ارتكاب الظلم، كان له تأثير عظيم. إن هذا الموقف يتطابق مع أفكار ماكيجوتشى: فبناء على قناعته بأنه حينما تقف ساكنا حين ترى الشر من حولك، إنما يعنى أنك ترتكب الشر بنفسك، واجه رئيسنا المؤسس مباشرة النظام العسكرى،

---

(١٥٦) آمارتيا سين اقتصادى هندى، ولد سنة ١٩٢٣، حصل على جائزة نوبل فى الاقتصاد سنة ١٩٩٨ لمساهماته فى مجال "اقتصاد الرفاه" والتى ركزت حول كيفية توظيف الموارد العامة وتوزيعها بشكل يفيد كل أعضاء المجتمع، مع التركيز على المهمشين والفقراء. وقد رأى مانحو الجائزة أنه قد استعاد البعد الأخلاقى فى مناقشته القضايا الاقتصادية".

(١٥٧) يشير إيكيدا هنا إلى الأزمة المالية الأسيوية التى اندلعت فى يوليو سنة ١٩٩٧ .

والسلطة الدينية التى دعمت المجهود الحربى.

طهرانيان: لقد كان رجلاً متميزًا. لم أشعر دائمًا إلا بالإعجاب تجاه السيد/ ماكيجوتشى.

إيكيدا: لقد اعترف الدكتور سين فى مقابلة صحفية بأنه مدين لطاغور لموقفه الثابت ضد الظلم (طوكيو شيمبون، ١يناير سنة ١٩٩٩). وفى الوقت الذى تدعى فيه الدول الصناعية المتقدمة، أنها ليست مسئولة عن الفقر والمجاعة فى العالم الثالث، ماعدا الحالات التى يبدو فيها أنهم السبب المباشر لهذه الكوارث، فإن الدكتور سين يرد بالمقولة التالية: القضية التى نحن بصددها ليست ما إذا كنت قد ارتكبت الظلم، ولكن كيف تتعامل مع الموقف، وكيف تصحح الظلم الواقع.

طهرانيان: فى عالمنا، فإن هذه مقولة مثيرة.

إيكيدا: "الالتزام" هو نموذج آخر من الأفكار الأصيلة للدكتور سين. والالتزام، يعنى بالنسبة له، أن تنظر إلى معاناة الآخرين باعتبارها ظلما، وأن تضحى من أجل إزالة هذا الظلم. والقاعدة العامة أن الأنشطة الاقتصادية تثمر نوعًا من الأرباح لشخص ما. ولكن طبقًا لنظرية الالتزام عند الدكتور سين فإن إحدى بديهيات النشاط الاقتصادى السعىُ نحو "الخسارة" فى شكل التضحية بالذات.

طهرانيان: لقد عاش الدكتور سين بنفسه فترة مجاعة سنة ١٩٤٣ فى البنغال، والتى أودت بحياة ثلاثة ملايين إنسان. وعلى ما أعتقد، فقد كانت تلك الخبرة هى ما دفعه لاحقًا إلى المناداة "بأخلاقيات الأنشطة الاقتصادية". إن نظريته تقدم تبريراً منطقيًا قويًا للمساعدة الاقتصادية للدول النامية.

إيكيدا: لقد كان ذلك أمرًا مهمًا للغاية. ورغم أن الدكتور سين قد استوعب بالكامل العلوم الغربية، فقد قام على ما اعتقد، بإعادة تقييم جذرية للنظريات

الاقتصادية التقليدية لآدم سميث.[١:٨] وأكاد أجزم أن فلسفة طاغور قد أثرت على منهجه الاقتصادي بشكل جذري. إن روح طاغور وغاندي لن تتقادما أبدًا.

طهرانيان: تنطبق نفس الملاحظة على فكر بوذا والرسول محمد. وكما تعلم، فإن كلمة الإسلام مشتقة لغويًا من كلمة "السلام" باللغة العربية، وكلمة شالوم، باللغة العبرية، ويمكن أن تفسر كلمة الإسلام بما أسميته أنت "السلام النشيط". (مشروع إيكيدا للسلام، يناير سنة ٢٠٠٠). ولا يمكن تحقيق السلام النشيط بدون العدالة الاجتماعية.

إيكيدا: تمامًا. لقد قدموا جميعًا مخزونا ثريا من الأفكار التي مازالت تمدنا بالمعرفة والإلهام. إنها جميعا تشبه النافورات الروحية التي لا تنضب أبدًا.

هناك اقتصادي أسيوي آخر جذبت نظرياته الاقتصادية اهتمامًا عظيمًا، وهو الدكتور محمد يونس من بنجلاديش[١:٩]، والمعروف بمشروعه التسليفي الخلاق والقائم على الائتمان الصغير. إنه الرئيس المؤسس لمصرف جرامين.

طهرانيان: بينما تسمى نظرية الدكتور سين "اقتصاد الفقراء" فإن مصرف الدكتور يونس معروف بأنه "مصرف الفقراء". يستمد كلاهما أساسه المنطقي من الحاجة إلى إيجاد وسائل لمساعدة الفقراء للتغلب على فقرهم، لا إلى تمكين الأغنياء من تراكم الثروات.

إيكيدا: لقد طُبق نظام الائتمان الصغير، والذي يقوم على إعطاء قروض صغيرة غير مؤمن عليها، لأول مرة في بنجلاديش، وطن الدكتور يونس.

(١:٨) آدم سميث (١٧٢٣ - ١٧٩٠). فيلسوف وعالم اسكتلندي في الاقتصاد السياسي. كان أحد رواد حركة التنوير الاسكتلندية، ومشهور بكتابه "ثروة الأمم" الصادر سنة ١٧٧٦ والذي دافع فيه عن مبدأ الاقتصاد الحر. ويعتبر هو واضع أسس علم الاقتصاد الرأسمالي المعاصر.

(١:٩) محمد يونس، من بنجلاديش ، ولد سنة ١٩٤٠، مصرفي واقتصادي، وأستاذ سابق للاقتصاد. اشتهر بتأسيسه لمفهوم "الائتمان الصغير" بإعطاء قروض صغيرة للفقراء دون ضمانات لمساعدتهم على بدء مشروعات خاصة، وذلك في إطار مصرف، جرامين الذي أسسه. حصل محمد يونس وبنك جرامين معًا على جائزة نوبل للسلام، من بنجلاديش ، ولد سنة ١٩٤٠، لجهودهما في "خلق الظروف لبناء التنمية الاقتصادية والاجتماعية من أسفل".

طهرانيان: هذا صحيح. إن هذا النظام يوفر للفقراء الذين لا يستطيعون تقديم أية ضمانات، قروضًا صغيرة. فقبل منح القرض، يقوم شخص من المصرف بزيادة المنطقة التي يعيش فيها طالب القرض، ويتحدث إليه ويزور عائلته وأصدقائه وآخرين فى المجتمع لكى يحدد أكثر المشروعات ملائمة لطالب القرض. وقد اقترح معهد تودا إنشاء سلسلة من المصارف العالمية، والصناديق التى تقدم قروضًا بفوائد منخفضة للنساء الفقيرات، والأقليات، والفلاحين، ورجال الأعمال الصغار لتشجيعهم على مساعدة أنفسهم وعلى التنمية الذاتية.

إيكيدا: هذا حوار فى مرحلة التطبيق. إنه أيضًا أعلى تجليات المحلية. ربما تكون نظريات الكراسى الوثيرة أنيقة، ولكنها لا تحقق شيئًا على أرض الواقع ولا تقودنا إلى نتائج عملية لحل المعضلات الحقيقة العاجلة.

فى البداية، كانت نظرية الائتمان الصغير تعد بمثابة ضوء كاذب. فقد ظن المتشككون أنه من الجنون أن نفكر فى إقراض النقود للفقراء. فقد كان الشعور السائد هو "أنهم سيقترضون أقصى ما يمكن أن يضعوا أيديهم عليه، ولن يدفعوا شيئًا تقريبًا". ولكن ما حدث بالفعل كان مختلفًا تمامًا عن هذا التوقع، حتى الآن، فإن معدل العجز عن دفع القرض يقل عن ١٪ .

طهرانيان: أى أن معدل إعادة الدفع هو حوالى ٩٩٪. هذا أمر مثير.

إيكيدا: عندما اكتشف الفقراء أن واحدًا على استعداد لإقراضهم بعض المال رغم حالتهم المزرية، تولدت لديهم نزعة حقيقية فى الثقة بالنفس. لقد تشجعوا من خلال هذا الإحساس الجديد بأنهم محل ثقة، وبأن المجتمع فى حاجة إليهم. وقد دعمت تلك الثقة، الجهد الذى استثمروه لإنجاح مشروعاتهم.

لقد برهنت خبرة الإقراض الصغير على أن الناس خيرون وحكماء وأمناء بطبيعتهم. وهل نحن فى حاجة إلى برهان آخر غير ذلك؟ أعتقد أن منهج وإنجازات

الائتمان الصغير، يمكن أن تكون نموذجًا للمساعدة الاقتصادية الدولية فى المستقبل. إن منطلقها الرئيسى ليس إعطاء المعونة للفقراء من منطلق فوقى، ولكن العمل مع البشر حالة بحالة للتعرف على أسباب فقرهم، والعمل سويًا للتغلب عليها.

طهرانيان: فى بنجلاديش وحدها يعمل حوالى ١٢ مليون نسمة بصلابة لكى يخرجوا من إسار الفقر بدعم من قروض الائتمان الصغير. كما أن نظام الائتمان الصغير يطبق فى حوالى ٦٠ دولة أخرى، بما فى ذلك جنوب أفريقيا ودول أخرى فى أوروبا والأمريكتين، كجزء من برامج لمساعدة الفقراء.

إيكيدا: إن إنجازا كهذا يمكن أن يُسمى "اقتصاد حقوق الإنسان"، أو "اقتصاد الرحمة". من المهم أن نلاحظ أن هذا التيار فى الفكر الاقتصادى، والذى يختلف جذريًا عن النظريات الاقتصادية المؤسسة على العقلانية الأدائية، قد نشأ فى اللحظة التى كانت فيها العقلانية الحديثة التى تأخذ شكل اقتصاد السوق الحر، تهب عبر كافة أنحاء العالم.

طهرانيان: وهذا ما يأخذنا إلى كلمات طاغور التى أشرت إليها آنفا! لقد كتب عدد من المفكرين المسلمين، مثل على شريعتى، ومرتضى مطهرى[١٥٩]، كتبوا كثيرًا عن اقتصاد التوحد"، مؤكدين على الرحمة والعدالة الاجتماعية.

إيكيدا: يبدو أن الدكتور محمد يونس ينتقد المؤسسات الدينية المحافظة، ولكن سيرته الذاتية توضح أنه نشأ فى عائلة مسلمة ورعة، وتأثر بأناس كانت تملأ جوانحهم المثاليات الدينية السامية. أعلم أنهم يرتلون آيات من القرآن أثناء الاحتفالات السنوية بتأسيس مصرف جرامين. وفى كل الحالات، فإن إنجازات الدكتور محمد يونس تبرهن على أن الوصايا القرآنية بالاهتمام بالأرامل والفقراء، مازالت حية.

---

(١٥٩) مرتضى مطهرى (١٩٢٠ - ١٩٧٩)، فقيه وسياسى وعالم إيرانى، درس الفقه فى مشهد وقم. بعد نفى آية الله الخمينى خارج إيران سنة ١٩٦٣ قاد حركة المعارضة للشاه فى إيران. وبعد نجاح الثورة الإسلامية فى إيران سنة ١٩٧٩ عُين رئيسًا للمجلس الدستورى، ولكنه اغتيل فى ١ مايو سنة ١٩٧٩ على يد المعارضين للثورة.

لقد قلت ذلك آنفًا، ولكننى اعتقد بصدق أننا يجب أن نعترف اعترافًا جادًا بأهمية السوق، أو البازار، أى مكان التسوق الذى يوجد فى كل المجتمعات الإسلامية التقليدية. إن هذا السوق يوفر ما تفتقده تمامًا السوق المالية، حيث يتم التعامل فى ملايين الدولارات بمجرد الضغط على لوحة المفاتيح.

طهرانيان: إن مكان السوق الإسلامى مازال حيا. هناك ترى وجوه البشر، يمكنك أن تستمع إلى حواراتهم. يمكنك حتى أن تشعر بأنفاسهم. حينما زرت آسيا الوسطى فى سنوات ١٩٩٢ و ١٩٩٤ و ١٩٩٦، لفت نظرى أن ٧٠ سنة من السيطرة السوفيتية لم تستطع أن تدمر البازارات التقليدية، التى كانت تشكل الجزء القديم من اقتصاديات آسيا الوسطى، والتى أظهرت كل علامة من علامات الحيوية. على مشارف عشق آباد[١٦٠]، شاهدت سوقًا يتبادل فيه آلاف الأشخاص بضائعهم، ابتداء من الجواهر، والمنسوجات، والسجاجيد إلى قطع غيار السيارات والحيوانات المنزلية. وفى الوقت ذاته كانت حوانيت الحكومة خاوية من الزبائن والبضائع. لا يمكن الاستغناء عن الأسواق، ولكنها يجب أن تكون متحررة من الاحتكار والاستغلال.

إيكيدا: لقد ألف عالم الأنثربولوجيا كليفورد جيرتز[١٦١] كتابًا فى مرحلة مبكرة تضمن تحليلاً مفصلاً للسوق. لقد كان تحليله لظاهرة عدم وجود سعر ثابت للسلعة، وهو أحد المظاهر الفريدة للسوق، تحليلاً واعيًا. فالأسعار تتفاوت، اعتمادًا على العلاقة بين التاجر والزبون.

طهرانيان: لقد كانت رؤيته مختلفة تمامًا عن الصورة الاستشراقية المتحيزة للتجار المحتالين المفترسين الذين يحاولون أن يجردوا السياح من آخر قرش فى جيوبهم. فالسعر الثابت فى المتاجر الحديثة لا يعطى للعملاء أى مجال للمناورة.

---

(١٦٠) عشق آباد هى عاصمة تركمانستان .

(١٦١) كليفورد جيرتز (١٩٢٦ - ٢٠٠٦) عالم أنثربولوجيا أمريكى، عمل حتى وفاته أستاذًا فى جامعة برنستون. برز فى مجال "الأنثربولوجيا الرمزية"، وهو العلم الذى يهتم بدور الفكر (الرموز) فى المجتمع. فالفكر يوجه السلوك. وله الفضل فى إعطاء علم الأنثربولوجيا بعدًا إنسانيا يتعلق بحياة الشعوب .

إيكيدا: بالعكس، وجد جيرتز فى السوق نسقًا من المعاملات الاجتماعية يتخطى العلاقات التى يحكمها الطمع، حيث يسعى طرف إلى انتزاع أكبر كمية ممكنة من النقود، بينما يسعى الآخر إلى إعطاء أقل كمية ممكنة. ويرى جيرتز أن السوق ليس مكانًا تدور فيه مباراة الغش فى مواجهة الغفلة. وقد أدت البحوث الرائدة فى العلوم الغربية التى قام بها جيرتز إلى حفز عددًا أكبر من الباحثين فى تخصصات مختلفة إلى دراسة اقتصاد السوق. وعلى سبيل المثال، فإن ويليام ديفيز يرى أن جوهر اقتصاد السوق يتألف من عدد من أفضل الفضائل البشرية، الثقة، والأخلاق، والأمانة، والإيثار.

طهرانيان: يقيم بعض التجار حوانيتهم فى السوق المفتوح. فإذا طلبوا أثمانًا باهظة لسلعهم، فإنهم لن يستمروا كثيرًا. وهم يعلمون جيدًا أنه لكى يستمروا فى العمل، والاحتفاظ بعملائهم، فإن عليهم أن يكونوا عادلين وكرماء إلى حد معين. وفى غمار عملية المساومة حول السعر، والسعى إلى الوصول إلى نقطة توازن معقولة للبائع والمشترى، يتم بناء علاقات الصداقة.

إيكيدا: بالنسبة لمن اعتادوا على شروط السوق الرأسمالية الحرة، فإن افتقار السوق إلى نظام السعر الثابت، يثير لديهم رؤى الاقتصاد الضعيف، والعلاقات البشرية المهتزة. بيد أن هذه الرؤى لا تأخذ فى حسبانها العلاقات القومية طويلة الأمد التى يجسدها السوق ويغذيها، وهى علاقات تجعل المجتمع قويًا ومفعمًا بالحيوية.

طهرانيان: إن اقتصاد السوق، هو شاهد حى على قابلية نظام اقتصادى للحياة، رغم أنه مختلف اختلافًا شاسعًا عن الافتراضات الأساسية للاقتصاد الحديث، وأقصد بذلك، الاقتصاد الساعى إلى الربح وتراكم رأس المال.

إيكيدا: فى اقتصاد السوق نرى الوجود الذى لا يمكن إنكاره للقيم الإنسانية الحقيقية التى تركز بشكل أكبر على العلاقات الإيجابية أكثر من اهتمامها بالمكاسب المحسوبة، والمبيعات المربحة. وقد روى الشاعر الفارسى مصلح الدين السعدى (١١٨٤

- ١٢٩١) فى قصيدته "حديقة الورود" أن تاجراً من جولستان[١٦٢] قال: "أريد أن أنقل معدن الكبريت الفارسى إلى الصين، حيث سمعت أن سعره غال هناك. ومن هناك سأنقل الخزف الصينى إلى اليونان، ثم أخذ الحرير اليونانى المطرز إلى الهند، والصلب الهندى إلى حلب. أما الآنية الزجاجية الحلبية، فإننى سأحملها إلى اليمن، ومنها أذهب بالملابس المزركشة إلى فارس. وبعدها سأعتزل التجارة، وأجلس فى حانوتى" (ترجمها روبن ليفى، ص ١٧).

بالنسبة لهذا التاجر، فإن الحياة التجارية حياة سعيدة، مليئة بالمبادلات الثقافية الغنية. إن نجاحه فى تجارته لا يتطلب توسعًا دائمًا فى عملياته، ولكن فقط فتح حانوت صغير فى السوق حيث يستطيع أن يتساوم وجهًا لوجه مع زبائنه.

طهرانيان: هذا النمط من الحياة يختلف جذريًا عن حياة أخرى تتسم بالرغبات المتعددة التى لا تنتهى. كما نعلم، فإن سعادى نفسه جاب أنحاء آسيا، ومارس عدداً من المهن بما فى ذلك عامل بناء فى دمشق. وقد حصل على حكمته من واقع الخبرة العملية، إن دواوينه، جولستان، والبستان (حدائق الزهور، والمروج)، أصبحت بمثابة أناجيل العالم الإسلامى من نيودلهى حتى سمرقند وإسطانبول.

إيكيدا: لا تترك الأسواق المالية الكبيرة مجالا للإنسانية. ومن المؤكد أن تقلبات أسعار الأسهم وأسعار الصرف تنتج عدداً من المشاعر تتراوح ما بين الارتياح البالغ إلى القنوط الشديد، بيد أن المعاملات ذاتها تخلو منأى تفاعل بين المشاعر الإنسانية.

طهرانيان: أنت على صواب، و"الإنسانية" هى الكلمة المحورية هنا. وهذه الكلمة هى القاسم المشترك الأعظم فى النظرية الاقتصادية الرائدة للدكتور سين. والمفهوم

---

(١٦٢) جولستان كلمة تعنى حديقة الزهور، وهى اسم عمل أدبى رائع للشاعر الفارسى السعدى، كتبه فى سنة ١٢٥٩ . وجولستان هو مجموعة من القصائد والقصص الشعرية. كما أن جولستان هو اسم يطلق على المعاهدة الروسية الفارسية الموقعة سنة ١٨١٣ فى مدينة جولستان فى كاراباخ الحالية وتنازلت بموجبها فارس عن أذربيجان وداغستان، وشرقى جورجيا .

المبتكر عن الائتمان الصغير الذى قدمه الدكتور يونس، "ومفهوم الإنسانية" يسيطر أيضًا على السوق، حيث إن التعامل وجهًا لوجه بين البشر هو ما يميز هذه السوق.

إيكيدا: لقد حان الوقت لأن ينشأ نظام اقتصادى يمكنه أن يمحو كل أشكال البؤس والعنت من وجوه البشر وأن يحل محلها البهجة والسرور، أى "اقتصاد السعادة".

حقوق الإنسان والبوذية

طهرانيان: لقد تعلمت منك الكثير فيما يتعلق بالجوانب المختلفة للبوذية، وما تنادى به سواء فى مجال الأفكار أو السلوك، ويمكن أن نكون على يقين بأن البوذية ستضطلع بدور محورى فى جعل القرن الحادى والعشرين "قرن الإنسانية".

ولا يمكننى أن أفكر فى طريقة أكثر اقتناعًا للبرهنة على دور المبادئ البوذية من أن أشير إلى حركة حقوق الإنسان. لقد مشى العالم رحلة طويلة سعيًا وراء هذا المطلب، وقد حققنا بعض التقدم، ولكننا لم نقترب بعد من تحقيق رؤية بوذا للتعاطف الإنسانى.

إيكيدا: إننى دائمًا مفعم بالتأثر بمعرفتك وتقديرك للبوذية.

طهرانيان: لقد ركزت حركة حقوق الإنسان فى أوروبا الحديثة على ما أسمى فيما بعد بالحقوق الطبيعية، أى "الحياة، والحرية، والسعى نحو السعادة". وقد كان هذا التوجه بمثابة انعكاس للأفكار التى تبلورت خلال عصر التنوير فى أوروبا، وأصبحت أساسًا للعقيدة التى تأسست عليها الولايات المتحدة، وهو إعلان الاستقلال، والوثائق الأساسية الأخرى.

إيكيدا: كان هذا هو الجيل الأول من حقوق الإنسان، ألم يكن الأمر كذلك؟ لقد

كان الحد الأدنى لحقوق الإنسان هو حق الإنسان أن يعيش دون تهديد من ملك مستبد، وحتى هذا الحق الجوهرى لم يكن محترما فى أوروبا ما قبل العصور الحديثة، وفى غيرها من الأماكن.

طهرانيان: تأسس الجيل الثانى من حقوق الإنسان فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، والذى ركز أساسًا على الحقوق المدنية والسياسية، وبالذات حرية التفكير، والتعبير، والضمير، والتجمع، والتظلم. واستجابة لضغوط الدول الاشتراكية، التى تؤكد على الحقوق الاجتماعية والاقتصادية، مثل حقوق التوظف والأمن الاجتماعى، وإضراب العمال، والتأمين ضد البطالة، والرفاهية الاجتماعية، فإن هذه الحقوق أُدمجت فى إعلان الحقوق الاجتماعية والاقتصادية(١٦٣)، وتشكل الوثائق الثلاث معًا الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان(١٦٤).

إيكيدا: فى كتابه المعنون "حول المسألة اليهودية" الصادر سنة ١٨٤٤ هاجم كارل ماركس فكرة حقوق الإنسان الفردية باعتبارها ضمانة مؤكدة للاهتمام بالذات الذى يؤدى إلى تقويض أركان المجتمع. كتب يقول، "هذه الحقوق ليست إلا حقوقًا يتمتع بها أعضاء المجتمع البورجوازى، وهى حقوق للأفراد الأنانيين، حقوق هؤلاء منقطعى الصلة بالإنسانية وبالجماعة". من الواضح أن ماركس رأى أن الحقوق الفردية ليست إلا حقوقًا تستمتع بها الطبقة البورجوازية. وطرح ماركس فكرة الحقوق المدنية، أو الحقوق الفردية لعضو واحد فى المجتمع المدنى، وهى حقوق يمكن تصنيفها فى فئة الجيل التالى من حقوق الإنسان.

---

(١٦٣) العهد الدولى للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية معاهدة دولية، أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٦٦ ودخلت حيز التنفيذ فى ٣ يناير سنة ١٩٧٦، وهى تلزم الدول بالعمل نحو ضمان عدد من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للأفراد.

(١٦٤) الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان، مسمى غير رسمى ينصرف إلى ثلاث وثائق هى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر سنة ١٩٤٨، والعهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية الصادر سنة ١٩٦٦، والعهد الدولى للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية سنة ١٩٦٦.

طهرانيان: هذا صحيح. لقد تم الاعتراف بالجيل الثالث من حقوق الإنسان من خلال نضالات الشعوب المستعمرة، الذين رأوا أن الهيمنة الثقافية للدول الصناعية تشكل تهديدًا لحياتهم الثقافية الجماعية. وبينما كان الجيل الأول والجيل الثانى من حقوق الإنسان يهتمان بالأفراد بشكل أساسى، فإن الجيل الثالث اعترف بحقوق الجماعات. وقد أثمر ذلك سلسلة من حقوق الجماعات، من بين ذلك حقوق المرأة، والأقليات، والأطفال، والحقوق المعادية لأى شكل من أشكال التمييز العنصرى، وإبادة الجنس. والحق أن الأجيال الثلاثة من حقوق الإنسان يعزز بعضها بعضًا.

إيكيدا: إنه التقدم إلى الأمام – من الحق الأساسى للوجود الفردى، إلى الحقوق الاجتماعية، ومنها إلى الحقوق الثقافية.

طهرانيان: بالضبط. وفى الوقت الراهن، ظهر جيل رابع من حقوق الإنسان على مستوى الخطاب الدولى مرتبطًا بحركة البيئة. وبعكس الأجيال الثلاثة الأولى لحقوق الإنسان، والتى تركز على البشر، فإن الجيل الجديد من الحقوق يمكن وصفه بأنه حقوق ما بين الأنواع.

إيكيدا: لقد اتسع مجال "الحقوق" من مجرد الاقتصار على الأفراد، إلى المجتمع، والآن ليشمل العناصر غير البشرية من الطبيعة.

طهرانيان: لتفكر فى حجم الكوارث البيئية التى صنعها الإنسان خلال العقود القليلة الأخيرة: تشرنوبل، وثرى مايلز إيلاند، وبوبال، وإكسون فالديز، وحرق آبار النفط الكويتية(١٦٥).

إيكيدا: لقد كانت هذه الأحداث كارثية، سواء من حيث الزمان أو المكان. فهى لم تقتصر على مجرد تحطيم الجيل الحالى، ولكنها تركت نتائج وخيمة ستبقى فى

---

(١٦٥) تشير "تشيرنوبل" إلى مدينة تقع فى أوكرانيا الحالية، حدث بها انفجار فى محطتها النووية سنة ١٩٨٦، أى فى العهد السوفيتى، مما أدى إلى كارثة بيئية شاملة.

أما "ثرى مايلز أيلاند" فهى جزيرة أمريكية تقع قرب مدينة هاريسبورج، فى بنسلفانيا، وقد حدث انصهار جزئى فى المفاعل النووى TMI - 2 سنة ١٩٧٩، مما أدى إلى أكبر كارثة نووية مدنية فى تاريخ الولايات المتحدة.

وتشير "بوبال" إلى مدينة تقع فى ولاية ماديا براديش بالهند، ووقعت بها واحدة من أسوأ الكوارث الصناعية البيئية فى التاريخ وذلك عام ١٩٨٤، حيث تسرب من أحد مصانع المبيدات التى أقامتها شركة "يونيون=

المستقبل، وبانتشارها طولا وعرضًا، فإنها تنشر البؤس عبر الحدود السياسية والجغرافية بدون تمييز. وبهذا المعدل، فكل ما سنورثه للأجيال القادمة لن يكون سوى تبعات. يجب ألا ندع ذلك يحدث، يجب أن تكون النية الأكثر أهمية فى أجندة كل الأمم خلال السنوات القليلة القادمة هى دراسة ما هى المواريث والأرصدة التى يمكن أن نتركها لأبنائنا.

طهرانيان: هذه الكوارث، بالإضافة إلى التقدير المتزايد لقيمة الثقافات الأصيلة، والتى كانت المجتمعات الصناعية تحتقرها حتى وقت حديث باعتبارها ثقافات "بدائية"، أدت إلى إدراك حقيقة أن الإنسانية لا يمكن أن تحيا، ناهيك عن أن تزدهر، إلا بوجود أرض، وسماء، ومحيطات نابضة بالحياة، بالإضافة إلى أعداد هائلة من النباتات والحيوانات المختلفة. ومن ثم، فإن غطرسة مشروع التنوير تكمن فى أنه يضع البشر فوق الطبيعة ويجعلهم يتحكمون فيها، ولكن الرؤية البيئية تتحدى تلك الغطرسة عن طريق جعل البشر جزءًا من الطبيعة ذاتها.

إيكيدا: يرجع الفضل فى تزايد قوة تلك الرؤية إلى تفكير الشعوب الأصلية فى الأمريكتين وغيرها كالشعوب الأصلية فى جزر المحيط الهادى، والفلسفات الإسلامية، والبوذية، والهندوسية، بالإضافة إلى الأنساق الفكرية الأخرى فى العالم الثالث.

طهرانيان: هذا صحيح تمامًا. وكل هذه الأفكار مرتبطة بالجيل الرابع من حقوق الإنسان، والتى تركز على الترابط بين الأنواع، وكل شئ فى العالم الطبيعى، وتبدو هذه

= كاربايد" ٤٠ طنًا من الغازات السامة مما أسفر عن مصرع حوالى خمسة آلاف شخص.

أما إكسون فالديز "فإنه يشير إلى التسرب النفطى الذى حدث سنة ١٩٨٩ من ناقلة النفط إكسون فالديز التى تملكها شركة أكسون. حيث تسرب منها حوالى ١١ مليون جالون من النفط الخام فى البحر قرب مضيق جزيرة "برنس ويليام" القريبة من خليج ألاسكا، وهذه الجزيرة هى إحدى المحميات الطبيعية. وأدى ذلك إلى دمار شامل فى البيئة فى تلك المنطقة.

أما إشعال آبار النفط الكويتية، فإنه قد حدث فى نهاية حرب الخليج الثانية فى مارس سنة ١٩٩١ حيث أشعلت القوات العراقية المنسحبة من الكويت آبار النفط فى الكويت مما أدى إلى كارثة بيئية شاملة.

الأفكار مرتبطة إلى حد كبير بالمفهوم البوذى "للنشوء المشترك"[(١٦٦)].

ورغم ذلك، مازلنا فى حاجة إلى جيل خامس قادر على تحويل ثورة الاهتمام من حقوق الإنسان نحو الرعاية والتعاطف الإنسانى. إن هذا سيعنى تغيير الخطاب من الحقوق نحو المسئوليات، ومن المفاهيم القانونية إلى الالتزام الاجتماعى، ومن حرفية القانون إلى روح القانون، ومن العقول إلى القلوب.

إيكيدا: لقد قدمت شرحًا طيبًا لهذه النقطة، وشرحت تاريخ حقوق الإنسان بشكل واضح، ومتكامل. وأنا أشعر شخصيًا وبقوة أن النقاش حول حقوق الإنسان كما تطور عبر القرون يقترب الآن من مستوى التعاليم التى أتت بها الديانات العالمية، بما فى ذلك مفهوم شاكيامونى عن التعاطف.

إن الجيل الخامس من الحقوق الذى اقترحتموه، يجده الإنسان فى الآخر أكثر مما يجده فى ذاته. فإذا نظرنا إلى هذا الجيل من تلك الزاوية، فإننا سنجد أنه مرتبط بقوة مع مفهوم بوذا للتعاطف.

دعنى أروى لك نادرة من إحدى السوترات والتى تجسد المفهوم البوذى لحقوق الإنسان. فى يوم من الأيام التقى شاكيامونى بشخص مريض. فقام بغسل جسد هذا الشخص بقطعة من القماش، ونظف فراش سريره المتسخ، وجففه فى الشمس. بعد ذلك قال شاكيامونى لحوارييه، "مساعدة المرضى تعادل خدمة بوذا".

طهرانيان: إذن، ما تقوله السوترا هنا هو أن التعاطف لا يعنى إعطاء الصدقات أو القيام بعمل خيرى لشخص ما أدنى منك، ولكنه العمل لخدمة هذا الشخص من منطلق الشعور بالاحترام له.

إيكيدا: إظهار التعاطف يعنى توقير بوذا، ولذلك، فإنه فى البوذية، فإن العمل الإيثارى يعد بمثابة رفع لمستوى من يقوم بالعمل.

---

(١٦٦) مفهوم "النشوء المشترك" هو أحد المفاهيم الجوهرية لكل المذاهب البوذية، ويقصد به أن الظواهر تنشأ معًا فى إطار شبكة من الترابط المتبادل بين السبب والنتيجة. ويطلق على المفهوم فى البوذية براتيتيا ساموتبادا Pratitya Samutpada.

طهرانيان: هذا أمر منطقى. إنها طريقة نبيلة للتفكير. أوافق على أن المفهوم البوذى للتعاطف يمكن أن يكون المبدأ المرشد للسير تجاه الجيل الخامس من حقوق الإنسان.

رؤى حول الحياة السرمدية

إيكيدا: يعتقد الكثيرون أن البوذية مختلفة تمامًا عن الإسلام فى رؤيتها للحياة والموت.

طهرانيان: نعم. فبينما تؤكد تعاليم البوذية على تناسخ الأرواح، فإن الإسلام، شأنه شأن المسيحية واليهودية، يعبر عن رؤية تدور حول أننا نولد فى هذا العالم، ولكننا بعد الموت، ننتظر حتى يوم الحساب.

إيكيدا: دعنا نطور هذه النقطة قليلاً - الفارق بين الدينين.

طهرانيان: دعنى أبدأ بالخلاصة أولاً، هناك فوارق عديدة تافهة بين الدينين، ولكن إذا تأملنا المعانى الرمزية لتعاليمها، فإن بينهما أوجه شبه أساسية.

إيكيدا: دعنى أقول شيئًا عن الرؤية البوذية للحياة والموت. فمن بين السوترات البوذية الأقدم، هناك روايتان تسميان "ثيراجاثا" و"ثيريجاثا". وتعنى كلمة "ثيرا" الحوار بين الذكور، بينما تعنى كلمة "ثيرى" الحوار بين الإناث. وتتضمن السوترتان شهادات جماعية من اتباع شاكيامونى. وتقدم هذه الشهادات صورة حية تجسد كيف عاش هؤلاء الناس، وما المحن التى مروا بها قبل أن يصبحوا أتباعًا لبوذا.

طهرانيان: هل تحتوى على حصر لخبرات فعلية لحواريبى بوذا؟

إيكيدا: نعم. ويدلنا هذا الحصر كيف أن الحواريين قد برئوا من معاناتهم التى نشأت سواء من المرض أو الفقر، أو البعد عن الوالدين والأبناء، أو الأحباء، بعد أن

التقوا مع شاكيامونى. إن قراءة ثيراجاثا، وثيريجاثا تمكنك من إدراك عدد الأتباع الذين بلغوا مرتبة الخلود بعد اعتناقهم البوذية. وتقدم السوتراتان إشارات متكررة إلى ذلك.

طهرانيان: هل يمكنك أن تعطى بعض الأمثلة؟

إيكيدا: فى إحدى الحالات كتبت إحدى الحواريات، "لقد فقدت كل عشيرتى. فقدت زوجى، وفى الوقت الذى كان فيه المجتمع يهزأ بى، وجدت الطريق المؤدية إلى الخلود. لقد أتقنت الطريق ذات الأبعاد الثمانية التى تقودنى إلى الخلود" (ثيريجاثا، قسم ٢٢١و٢٢٢). وتقول فقرة أخرى من السوترا ذاتها، "هذه هى حالة الشباب الدائم، هذا هو الخلود، هذه هى الحالة التى تظل فيها شابًا دائمًا، وخالدًا. ويعنى كونك فى هذه الحال، أن تتحرر من القلق، والعداوات، والعراقيل، والأخطاء، والخوف، والألم المبرح.. (ثيريجاثا، قسم ٥١٢).

طهرانيان: بعبارة أخرى، فالحالة المثالية التى نادى بها شاكيامونى بوذا هى تلك التى وصفها حواريوه بأنها "حالة الخلود".

إيكيدا: بالضبط، لقد استعمل شاكيامونى ذاته كلمة الخلود. وفى خلال فترة بداية دعوته أعلن شاكيامونى، "لقد فتحت بوابة الخلود". (فانيا بيتاكا، الفصل الأعظم، القسم الخامس، ١٢) وقال، "إن طبول الخلود ستدوى فى عالم الظلمات" (المصدر السابق، القسم السادس، ٨). من المهم أن نعرف بالضبط المقصود "بالخلود". فليس من التصور أن يعنى الخلود معناه الحرفى أى نوعًا من الحصانة الطبيعية ضد الشيخوخة أو الموت.

طهرانيان: بالطبع، لا يمكن أن يكون هذا هو المقصود. فالواقع أن جواتاما بوذا ذاته قد توفى.

إيكيدا: كذلك، فالبوذية لا تعترف بخلود الروح، أو فكرة أن الجسد هو وعاء للروح، وأنه بعد الوفاة ترحل الروح من الجسد وتذهب إلى جسد آخر. بعبارة أخرى، فالخلود

لدى البوذية لا يعنى خلود الروح. وبالمثل، فإنه لا يجب أخذ نظرية البعث بمعناها الحرفى. الشىء المهم هو أنه كيف يمكن أن يؤدى الاعتقاد فى هذه النظرية إلى تغيير رؤية وحياة الإنسان نحو الأفضل.

طهرانيان: هذه نقطة مهمة. إن المفهوم البوذى، وهو فى حقيقته أسطورة، عن البعثية أو تناسخ الأرواح لا يعلمنا فى الواقع عن خلود الروح، ولكن عن كيفية اعتبار أنفسنا جزءاً من الطبيعة، وألا نعتبر أنفسنا منفصلين عنها أو فوقها، وإذا لم نأخذها بمعناها الحرفى، فإن الأساطير تغرس فينا حقائق عميقة.

إيكيدا: هذه طريقة جيدة للتعبير عن الفكر. على سبيل المثال، إذا نظرت إلى طائر يطير بين الأشجار، ربما تعجبت عما إذا كان هذا الطائر كان أحد أقربائك فى حياة سابقة. أو إذا رأيت كلبًا بجانبك، وتأملت فى احتمال أن يكون هو فى الحقيقة بوديسوتفا اختار الحياة الصعبة للكلب كممارسة تقشفية. إذا فكرت بهذه الطريقة، فلن تسخر أو تسىء معاملة الطيور أو الكلاب، وبصرف النظر عما إذا كانوا فى الحقيقة أقرباء لك أو بوديسوتفا، فإن المهم حقيقة اقتناعك بأن المخلوقات الأخرى هى فى الحقيقة كائنات أعيد بعثها، مما سيغير نمط الحياة التى تعيشها.

تخيل أنك ولدت فى ظروف صعبة. إذا كنت قادراً على الاعتقاد أنك قد اخترت حياتك، لأنك تعهدت فى حياتك السابقة بإنقاذ البشر الذين يمرون بظروف صعبة مماثلة، فإن أسلوب حياتك سيصبح إيجابياً وبناء.

طهرانيان: هذا صحيح. أفهم ما تقوله جيداً. إذا نظرنا إلى فكرة البعث بمعناها الرمزى، فإنها يجب أن تقودنا إلى أن ننظر إلى كل كائن حى باعتباره أحد أقربائنا المحتملين، وأن نواجه المعاناة بشجاعة.

ولكن لهذه الفكرة أخطارها. فإذا أخذت أسطورة البعث بشكل حرفى، فإنها يمكن أن تضفى الشرعية على نظام الطوائف الجامد أو الظلم الاجتماعى الفادح.

إيكيدا: أنت على صواب، لقد فسرت البراهمانية[١٦٧]. فكرة البعث تفسيراً حرفياً. فبعد الاعتراف الكامل بنظرية تناسخ الأرواح، أكد البراهمانيون أن المركز الاجتماعى للفرد يحدده وضعه فى حياته السابقة، ومن ثم، يجب ألا يلوم المنتمون إلى الطبقات الدنيا إلا أنفسهم، وليس المجتمع، للوضع المزرى الذى يعيشونه.

طهرانيان: الأساطير تتحول بسهولة إلى أيديولوجيات ذات سطوة لتضفى طابع الشرعية على شكل معين من الاضطهاد، كما هو الحال فى نظام الطوائف.

وبعكس البوذية، التى لا تنادى بأية نظرية عن الروح، فإن الديانات الإبراهيمية تفترض أن لكل إنسان جسد وروح. الجسد يفنى، ولكن الروح تعيش إلى الأبد، ولكن، كما قلت سالفًا، فرغم الفروق الهامشية فى المصطلحات، فإن المبدأ الإبراهيمى فيما يتعلق بالروح لا يختلف كثيراً عن المبدأ البوذى للحياة بمعناها الأعمق. فطبقًا لهذا المبدأ، فإن الأرواح البشرية تنتظر تحديد مصيرها فى المطهر حتى يوم القيامة، حيث يتم محاسبة الأفراد على الخير والشر الذى قاموا به. وتذهب الروح إلى الجنة أو الجحيم، استناداً إلى سلوك الإنسان خلال حياته. ويمكن تفسير هذه الأسطورة على أنها تعنى أننا نعيش هنا والآن فى الجنة أو الجحيم، فى سعادة أو شقاء، اعتماداً على سلوكنا.

إيكيدا: الخلود لا يعنى نفى الموت، ولكنه يعنى التحرر من المعاناة، ومن الدورة الحياتية للبعث. وقد عبرت لوتس سوترا عن هذه الفكرة بوضوح. فالفصل السادس

---

(١٦٧) البراهمانية، الديانة الهندية القديمة التى أخذت اسمها من اسم الطبقة المسيطرة (البراهما)، كما أنها ذلك الجزء من الديانة الهندوسية الذى يمارسه البراهما الهنود. وهى تدور حول وجود ثلاثى من الآلهة، براهما (الخلق)، وفيشنو (حامى الكون)، وشيفا (إله الدمار). وفى القرن الرابع طور الحكيم شانكارا البراهمانية بحيث أصبح الإله الاكبر هو براهمان ومنه تتفرع باقى الآلية، وآمن بتناسخ الأرواح، ولا تعتقد البراهمانية بوجود عقاب أو جزاء على أعمال الإنسان أو بوجود يوم القيامة، كما تعتقد بانقسام المجتمع إلى طبقات أعلاها البراهما وأدناها المنبوذون .

عشر منها هو بعنوان "مسار الحياة لمن أصبح واحداً"، والذى يخبرنا أن شاكيامونى كان بوذا من الماضى السرمدى.

طهرانيان: بالطبع، فإنه لم يكن المقصود بذلك معناه الحرفى. إن معناه رمزى، أليس كذلك؟

إيكيدا: هذا صحيح. ففى إشارته إلى هذا المبدأ، قال نيتشيرين، "لأنه هو بوذا الخالد والثابت فى حالته الأصلية، فإنه يوجد كما كان يوجد دائمًا" (جوشو، ص ٧٥٩). ويعنى ذلك "أن بوذا ذا الماضى السرمدى"، ليس شيئًا يمكنك أن تجده بالرجوع إلى الماضى، ولكنه شىء يمكنك أن تعبر عنه فى قلبك الآن، من خلال ممارسة الطريق البوذية.

طهرانيان: إذا استطعنا أن نرى أنفسنا جزءًا من نظام كونى سرمدى، كما هو الحال فى الواقع، فإننا سنتحرر من أشكال القلق التى تتحول إلى خوف من الموت، وإلى الطمع؛ ومن ثم نستطيع أن نكرس أنفسنا بشكل أكثر إخلاصًا لخدمة الآخرين. وبذلك تصير سعادة الآخرين هى سعادتنا. وبصرف النظر عما إذا أسمينا تلك الروح السرمدية ياهوه[١٦٨]، أو المسيح، أو الله، أو بوذا، فإنه من خلال المشاركة فيما هو خالد نصبح أيضا خالدين.

إيكيدا: قال شاكيامونى إن ممارسة الشعائر الدينية بإتقان هو بمثابة حالة الخلود. "الحرص هو الطريق إلى اللاموت. اللامبالاة هى الطريق إلى الموت. الحريص لا يموت، واللامبالى يشبه من مات بالفعل (داما – بادا، الآية ٢١).

لقد كتب رابيندراناث طاغور، والذى كانت روحه متسقة مع الرؤية البوذية للحياة، كتب أشعارًا ذات عمق وجمال مذهلين. لقد قال فى أحد أبيات شعره:

---

(١٦٨) ياهُوَه Yahweh هو اسم الإله عند اليهود .

كلما أعطيت من حياتى بسخاء

اندفعت إلى الأمام

إنها لا تنفد أبداً

إن البوذية ترى الحياة والموت على أنهما خالدان، ولكنها لا تحدثنا عن وجود روح خالدة ويعنى ذلك أن الإنسان يستطيع أن يعيش حياة خالدة فى اللحظة الراهنة التى نحياها.

طهرانيان: إن مناقشتنا تذكرنى بأمرين، الأميرة ديانا(١٦٩) والأم تريزا(١٧٠) لقد أسرت كلتاهما قلوب شعوب العالم لأنهما كرستا حياتهما لقضايا تتعدى نفسيهما. لقد حولت ديانا نفسها من ملكة محتملة لبريطانيا إلى ملكة القلوب فى العالم من خلال دفاعها عن قضايا المرض، والحروب، وأشكال البؤس المختلفة، بما فى ذلك حملتها ضد الألغام الأرضية المميتة.

أما الأم تريزا، والتى كان جسدها الصغير والنحيل متناقضاً مع الجاذبية والهمة الشابة للأميرة ديانا، فقد حصلت على جائزة نوبل للسلام، لعملها من أجل الفقراء فى الهند. لقد مثلت هاتان المرأتان غير العاديتين نموذجين ممتلئين بالحيوية لروحين هزما الموت من خلال استثمار الطاقة الكاملة لحياتهما.

سيعيشان فى ذاكرة الشعوب فى كل مكان كأميرة وقديسة، اختار أن يكرسا أنفسهما لتخفيف أنات الآخرين، بدلاً من السير فى طريق اللامبالاة الكسولة، أو الانعزال عن الآخرين.

إيكيدا: دعنى أطرح سؤالاً مثّل دائماً قضية ملتهبة فى العالم الإسلامى منذ إنشاء إسرائيل سنة ١٩٤٩(١٧١). ما رأيك فى الصراع العربى الإسرائيلى؟ ما الذى

---

(١٦٩) الأميرة ديانا (١٩٦١ - ١٩٩٧)، هى أميرة ويلز البريطانية، والزوجة الأولى للأمير شارلز أمير ويلز، وطُلقت منه سنة ١٩٩٦ وماتت فى حادث سيارة سنة ١٩٩٧ .

(١٧٠) الأم تيريزا (١٩١٠ - ١٩٩٧) كانت راهبة كاثوليكية ألبانية، ولدت فى سكوبى (عاصمة مقدونيا الحالية) باسم جونشوا بوياتشو، وأسست "الجمعية الخيرية للمبشرين"، وحصلت على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٧٩ لدورها فى خدمة الفقراء فى كلكتا بالهند .

(١٧١) أنشئت إسرائيل رسميا فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ .

يمكن أن يحققه الحوار فى استعادة السلام والعدل للطرفين؟

طهرانيان: إن الحوار الذى دار فى مؤتمر كامب ديفيد الثانى (يوليو سنة ٢٠٠٠)، شأنه شأن الحوار الذى دار فى المؤتمر الأول سنة ١٩٧٨[١٧٢]، هو حوار قد يثمر نتيجة طيبة. إن الصراع العربى الإسرائيلى هو من أكثر الصراعات تعقيدا ومأساوية. فلهذا الصراع تاريخ طويل، وللأسف فإنه لن يُحل قريبًا. وبعكس الاعتقاد الشائع، فهذا الصراع ليس صراعًا دينيًا، ولكن التطرف الدينى زاده اشتعالاً. فقد عاش المسلمون واليهود معًا بشكل سلمى فى غربى آسيا لعدة قرون. لقد تمتع اليهود بمركز متميز علماء وإداريين فى الإمبراطوريات العباسية والعثمانية والصفوية[١٧٣]. وكانت الجماعات اليهودية تتمتع بالحماية فى المجتمعات الإسلامية باعتبارهم من أهل الكتاب. كما تمتعت الجماعات اليهودية والمسيحية، والزرادشتية بدرجة عالية من الاستقلال الذاتى فى ظل الحكم الإسلامى.

---

(١٧٢) يشير طهرانيان إلى مؤتمر كامب ديفيد الأول الذى عقد سنة ١٩٧٨ بين الرئيس الأمريكى كارتر، والرئيس المصرى السادات، ورئيس الوزراء الإسرائيلى بيجن، فى كامب ديفيد بالولايات المتحدة، وأدى إلى صدور وثيقتين عن السلام فى الشرق الأوسط. كما يشير إلى مؤتمر كامب ديفيد الثانى الذى عقد سنة ٢٠٠٠ بين الرئيس الأمريكى كلينتون، والرئيس الفلسطينى ياسر عرفات، ورئيس الوزراء الإسرائيلى باراك، ولم ينجح فى الوصول إلى أية وثيقة أو تسوية .

(١٧٣) الإمبراطورية العثمانية دولة إسلامية أنشأها الأتراك السلاجقة بالأناضول فى سنة ١٢٩٩، وتنسب إلى أرطغرل أبو عثمان، وتوسعت فى جنوب ووسط أوروبا ثم فى العالم العربى، واستولت على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ فى عهد السلطان محمد الفاتح. بدأت الدولة تتدهور ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر، وانتهى الأمر إلى إلغاء الدولة وإعلان الجمهورية التركية سنة ١٩٢٣ .
أما الإمبراطورية الصفوية، فقد تأسست فى بلاد فارس (إيران فيما بعد)، على يد الشاه إسماعيل الأول سنة ١٥٠١ . وقد جعلت الإمبراطورية من المذهب الشيعى الجعفرى المذهب الرسمى للدولة، ونقلت العاصمة من تبريز إلى أصفهان. وانتهت الدولة سنة ١٧٢٢ عندما غزا الأفغان بزعامة مير محمود، فارس، واحتلوا أصفهان وأعدموا الشاه الصفوى .

وفى أعـقـاب وصـول هتلر إلى السلطة[١٧٤]، تغـيـرت هـذه الصـورة. فـمـع لجـوء المهاجرين اليهود فى أوروبا إلى فلسطين تحت الانتداب البريطانى، فإنهم بدأوا يحلون محل العرب فى منازلهم ومزارعهم. وقد تحقق ذلك فى البداية من خلال شراء الوكالة اليهودية الصريح للأرض من الملاك العرب، وذلك لبناء مستوطنات للمهاجرين اليهود الجدد. وفى الماضى، عندما كان يتم بيع الأراضى بين الملاك العرب، فإن الفلاحين كانوا يمكثون فى الأرض. ولكن هذه المرة، كان عليهم أن يغادروا الأرض. وخلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين أدت عملية الإحلال تلك إلى توترات متزايدة بين الجماعات اليهودية والعربية. وقد اتسمت تلك الجماعات بالطبيعة القومية، وسعت إلى التخلص من الاحتلال الاستعمارى البريطانى. وفى الوقت ذاته، ولكى تحث اليهود والعرب على التعاون معها فى جهودها الحربية، وعدت بريطانيا اليهود والعرب بإقامة "وطن قومى لهم".

ومع اقتراب موعد جلاء البريطانيين سنة ١٩٤٧، صوتت الأمم المتحدة لصالح قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية، وعربية. وعندما انسحب البريطانيون سنة ١٩٤٨، أعلنت إسرائيل استقلالها، بينما قامت الدول العربية التى عارضت التقسيم بمهاجمة الدولة الجديدة. وكانت تلك هى الحرب الأولى من بين أربعة حروب بين الطرفين فى أعوام ١٩٤٨ - ١٩٤٩، ١٩٥٦، ١٩٦٧، , ١٩٧٣ وقد كسبت إسرائيل فى تلك الحروب أقاليم جديدة نظرًا لانقسام العرب، وللدعم العسكرى والسياسى الغربى الإسرائيلى.

وقد بدأت عملية السلام بين العرب والإسرائيليين بشكل درامى حينما قام الرئيس المصرى أنور السادات بزيارة القدس. وفى سنة ١٩٧٩ وقعت مصر وإسرائيل اتفاقية

---

(١٧٤) هتلر (١٨٨٩ - ١٩٤٥)، أسس الحزب القومى الاشتراكى الألمانى (النازى)، وتولى المستشارية سنة ١٩٣٣ ثم أصبح رئيسًا للدولة سنة ١٩٣٤ ، واتخذ اسم الفوهرر (الزعيم)، وجمع بين منصبى المستشار والرئيس، وفرض نظاما للمحالفات مع إيطاليا واليابان، وشن حربًا على بولندا سنة ١٩٣٩ تطورت إلى الحرب العالمية الثانية، وهى التى انتهت بهزيمة قواته وانتحاره .

كامب ديفيد، والتى نصت على انسحاب إسرائيل من سيناء على مراحل[١٧٥]. ولكن هذه الاتفاقية أدت إلى عزلة مصر عن العالم العربى. ولأن الفلسطينيين شعروا أن أكبر حليف عربى لهم قد تخلى عنهم، فإنهم لجأوا إلى حرب العصابات فى شكل "الانتفاضة". وقد أجبرت الانتفاضة إسرائيل على اتفاقية أوسلو، والتى أدت إلى المصافحة بالأيدى بين إسحاق رابين وياسر عرفات فى البيت الأبيض الأمريكى[١٧٦]. وقد أدت عملية السلام التى دشنتها تلك المصافحة إلى طريق وعر ملىء بالعقبات.

ومازالت هناك سبع قضايا عالقة بين الطرفين، هى:

- ضم إسرائيل لمرتفعات الجولان التى احتلتها من سوريا فى سنة ١٩٦٧ .
- احتلال إسرائيل للضفة الغربية، والتى استولت عليها من الأردن سنة ١٩٦٧ .
- الإعلان الإسرائيلى المنفرد بأن القدس هى عاصمة إسرائيل.
- عودة اللاجئين الفلسطينيين خارج إسرائيل وفى الضفة الغربية.
- قضية الدولة الفلسطينية المقرر إقامتها فى الضفة الغربية.
- ضمان الأمن المتبادل للدولتين، إسرائيل وفلسطين[١٧٧].

وقد أدى الانسحاب الأحادى الإسرائيلى من جنوبى لبنان سنة ١٩٩٩ إلى سحب تلك القضية من جدول أعمال عملية السلام. ولكن مفاوضات كامب ديفيد الثانية بدأت

---

(١٧٥) اتفاقية كامب ديفيد وقعت سنة ١٩٧٨، وطهرانيان يقصد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل .

(١٧٦) إسحاق رابين (١٩٢٢ - ١٩٩٥)، رئيس وزراء إسرائيل الخامس لفترتين (١٩٧٤ - ١٩٧٧)، و(١٩٩٢ - ١٩٩٥) حصل على جائزة نوبل للسلام بالاشتراك مع شيمون بيريز وياسر عرفات لدورهم فى الوصول إلى اتفاقات أوسلو سنة ١٩٩٣ . اغتاله متطرف يهودى سنة ١٩٩٥ . أما ياسر عرفات (١٩٢٩ - ٢٠٠٤) فهو مؤسس حركة فتح الفلسطينية سنة ١٩٦٥، ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية من سنة ١٩٦٨، وحتى وفاته. قاد المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل، ووقع إعلان أوسلو مع رابين سنة ١٩٩٣ وأصبح رئيساً للسلطة الفلسطينية فى رام الله حتى وفاته سنة ٢٠٠٤ .

(١٧٧) لم يشر طهرانيان إلى قطاع غزة ضمن الدولة الفلسطينية .

برعاية أمريكية فى يوليو سنة ٢٠٠٠ بين الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات، ورئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود باراك، وكان الهدف هو التفاوض حول القضايا الشائكة الأخرى[١٧٨]. وليس من اليسير حل تلك المشكلات. والمعضلة المحورية هى المطالب الإقليمية للطرفين حول الأرض ذاتها. وما لم يكن الطرفان مستعدين للتوصل إلى حلول وسط تنتج حلولاً ابتكارية، فإن الجمود سيستمر. وفى الوقت ذاته، فإن مئات، إن لم يكن آلاف، من البشر يموتون فى صدامات لا تنتهى.

هذا الصراع ليس هو صراع الحق ضد الباطل، كما يرى بعض المتحيزين إنه معضلة الحقوق الإسرائيلية فى مواجهة الحقوق العربية. وهذا هو ما يصنع المآسى الحقيقية. إن الطريق إلى السلام الدائم هو الخروج من لعبة اللوم والأفكار التقليدية حول السيادة الوطنية المطلقة. يجب أن يتضمن الحل العادل لتلك المشكلة السيادة المشتركة على القدس، وهى مدينة مقدسة لليهود، والمسيحيين، والمسلمين على حد سواء. كما أن هذا الحل سيتضمن إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية فى إطار ترتيب فيدرالى مع دولة إسرائيل[١٧٩]. ومن الطبيعى أن الشيطان يكمن فى التفاصيل. يجب أن نترك تلك المهمة لصانعى السلام المعتدلين، والوسطاء الحكماء، والسياسيين الشجعان على الجانبين. إن السلام هو ضرورة تاريخية. يجب اعتبار السنوات الخمسين الأخيرة بمثابة حقبة استثنائية من القاعدة التاريخية للتعايش السلمى بين اليهود، والمسلمين، والمسيحيين فى الأرض المقدسة. وفى هذا السياق، فإن التفجيرات الانتحارية الفلسطينية، والسياسات الأحادية التى يتبعها الرئيس الأمريكى بوش[١٨٠] ورئيس الوزراء الإسرائيلى شارون[١٨١] قد أدت إلى إشعال الصراعات القائمة.

---

(١٧٨) ليس واضحًا ما يقصده طهرانيان "بالقضايا الشائكة الأخرى". فالحق أن مفاوضات كامب ديفيد كانت تتعامل مع القضايا السبعة التى حددها طهرانيان آنفا، وليست قضايا "أخرى".

(١٧٩) مرة أخرى لا يشير طهرانيان إلى قطاع غزة، كما أن اقتراح الدولة الفيدرالية يعنى أن الدولة الفلسطينية لن تكون مستقلة.

(١٨٠) جورج بوش، الرئيس الثالث والأربعون للولايات المتحدة، ولد سنة ١٩٤٦، انتخب مرتين سنة ٢٠٠٠ وسنة ٢٠٠٤ رئيسًا. من أبرز أعماله غزو أفغانستان سنة ٢٠٠١، ثم العراق سنة ٢٠٠٣، ومشروعه لنشر الديمقراطية فى الشرق الأوسط باسم "الشرق الأوسط الأكبر".

(١٨١) إرييل شارون، رئيس وزراء إسرائيل السابق (٢٠٠١ – ٢٠٠٦)،ولد سنة ١٩٢٨، كان جنرالا فى الجيش الإسرائيلى وخاض المعارك مع العرب منذ حرب سنة ١٩٤٨، اشتهر بأفكاره اليمينية الداعية إلى ضم الأراضى العربية المحتلة سنة ١٩٦٧. أصيب بنزيف فى المخ سنة ٢٠٠٦ فى أثناء توليه رئاسة الوزراء، مما أدى إلى تقاعده.

الفصل التاسع

قرن من الحروب

لنتذكر جوشى تودا

إيكيدا: لقد احتفلت سنة ٢٠٠٠ بالعيد السنوى لميلاد جوشى تودا، الرئيس الثانى لسوكا جاكاى، والرجل الذى ظل يعلمنى حتى وفاته. وقد أنتج جوشى تودا، الذى ولد فى فبراير سنة ١٩٠٠، أساسًا مفهوميًا راسخًا لسياسة وبحوث السلام مازال قائما حتى اليوم، ومبنيا على موقفه الحازم ضد الأسلحة النووية، والذى شرحه فى بيانه الصادر سنة ١٩٥٧، ورؤيته للسلام والمساواة بين أعضاء "العائلة العالمية"، والتى نسميها "تخطى القوميات".

أنا أعتقد أن معهد تودا عقد مؤتمرًا دوليا فى فبراير سنة ٢٠٠٠ للاحتفال بتودا.

طهرانيان: هذا صحيح، قد تم اختيار موعد انعقاد المؤتمر مع الذكرى المئوية لميلاد الرئيس تودا، تناول مؤتمر فبراير فكرة "الحوار بين الحضارات: أجندة السلام فى الألفية الجديدة". فعندما أنشئ المعهد سنة ١٩٩٦، اخترنا برنامجًا بحثيا يدور حول الفكرة الواسعة "الأمن الإنسانى والحكم العالمى الرشيد". ومع نهاية سنة ١٩٩٨، كنا قد عقدنا أربعة مؤتمرات دولية فى هونولولو، ولندن سنة ١٩٩٧، وفى ديربان (جنوب إفريقيا)، وسيدنى (أستراليا) سنة ,١٩٩٨ وقد عقد المؤتمر التالى فى إستانبول فى مارس سنة ١٩٩٩، وركز على "الأمن والتعاون فى غربى آسيا"، وتبعه فى الخريف مؤتمر آخر عقد فى برلين. وقد استفاد مؤتمر فبراير من نتائج كل المؤتمرات السابقة، ومثل ذروة الجهود التى بذلناها حتى الآن.

إيكيدا: دعنى أقول مرة أخرى، كم نقدر تقديراً عميقًا الجهد المخلص الذى لا نظير له، والمهارة المهنية التى قدت بها هذا المشروع.

طهرانيان: بالعكس، لقد كان شرفًا بالنسبة لى أن أشارك فى بحث يسعى لتحقيق أهداف سامية ومهمة كبحثنا. إن أعظم رصيد يتمتع به معهد تودا هو الرؤية المشتركة للرؤساء الثلاثة المتتابعين لسوكاجاكاى، وهم الرؤساء ماكيجوتشى، وتودا، وإيكيدا. فقد سعوا بلا كلل لتحقيق حلم الوحدة، والسلام، والعدالة العالمية. إن فكرة ماكيجوتشى عن "التنافس الإنسانى"، وإعلان تودا المناهض للأسلحة النووية، ومفهومه "للأسرة العالمية"، ومشروعاتك لتحقيق هذه الأحلام من خلال "الحوار مع العالم"، كل ذلك يقدم نماذج حية لدورهم كمواطنين عالميين حقيقيين.

ومن خلال البناء على فلسفة السلام العالمى التى يشترك فيها الرؤساء الثلاثة، فإننى واثق أن المعهد سيكون قادراً على تحقيق هدفه فى دعم المواطنة العالمية التى يتطلبها القرن الحادى والعشرون. وقد ركزت كل المؤتمرات بقوة على فكرة الحوار، تحت شعار "حوار الحضارات من أجل المواطنة العالمية"، وبهذا فإنهم يشكلون، بمعنى من المعانى، امتداداً عمليًا لحواراتك التى تزيد على ١٥٠٠ حوار حول العالم.

وكلما عقدنا مؤتمراً دوليًا، نحاول دائمًا أن نختار مكانا يكون فيه موضوع المؤتمر وقضاياه ذا أهمية خاصة فى هذا المكان. إن توجه تلك المؤتمرات مدين بالكثير إلى عقيدتك: "أنصت إلى أصوات البشر الذين يعانون الألم وقف إلى جانبهم".

إيكيدا: إننى ممتن لكلماتك الكريمة. ما أحاول فعله هو أن أطبق ميراث معلمى فى شكل حركة محددة وعملية لتحقيق السلام العالمى. لقد أنشئ معهد تودا لكى يكون مركزا يمكن من خلاله حشد حكمة ومواد البشر على المستوى الجماهيرى، وأن نصر على أن تحدى التوصل إلى حلول للقضايا العالمية يجب أن يكون جزءًا من "النضال المشترك للبشرية".

عندما أسست المعهد، وبدأت التفكير فى منهجه البحثى، تخيلت نمطًا جديدًا من مركز بحوث السياسات يستند إلى دعم أنماط عديدة مختلفة من البشر. تعشمت أن أستقطب المنظمات الأكاديمية والبحثية، والمنظمات غير الحكومية حول العالم لكى تعمل معًا لبناء شبكة تصل إلى كل الأمم، شبكة تتحصل أهدافها العريضة فى ربط جماعات وأفراد مختلفين يعملون فى أنشطة تتعلق بالسلام، وبذلك يساعدون على تنظيم وترقية "سلطة الشعب". أردت أن أوفر طريقًا للبشر الذين يعملون بشكل منفصل لكى يوحدوا جهودهم فى غمار أنشطتهم على المستوى الجماهيرى، وذلك لكى يكونوا قادرين على الاضطلاع بدور أكبر فى التوصل إلى إجابات لمشكلات العالم.

وعندما عبرتم عن تحمسكم ودعمكم لهذه الأهداف بمجرد استلامكم عملكم مديرًا للمعهد، أصابنى شعور بالثقة الجديدة أن هذه الأهداف ستتحقق بإصرار. إننى مهتم بالذات بخطتكم الطموحة للاستفادة الكاملة من أحدث تكنولوجيات المعلومات والاتصال لكى تربط البشر المنخرطين فى أنشطة تتعلق بالسلام عبر العالم، وبذلك تحول المعهد إلى ما أسميته "قلعة السلام".

طهرانيان: خلال عام ١٩٩٦ عقدنا فى المعهد سلسلة اجتماعات تشاورية فى طوكيو، وكامبريدج (الولايات المتحدة)، وهونولولو، وهيروشيما، ويورك (المملكة المتحدة)، وطهران، وبريسبان (أستراليا)، وتورنتو. دعونا أكثر من مائتين من علماء السلام والسياسة من كل قارة لكى ينضموا إلى مجلسنا الاستشارى الدولى. كذلك أنشأنا روابط إنترنت بين أعضاء المجلس تتضمن العناوين البريدية الإلكترونية، وذلك لتسهيل الاتصال وتبادل الآراء والمناقشة والتشاور المستمرين. ويزداد المجلس نموا فى حجمه، مكونًا بذلك شبكة من المواطنين العالميين لا ينتمون فقط إلى العالم الأكاديمى، ولكن أيضًا إلى الحكومات، وقطاع رجال الأعمال وكل مستويات المجتمع المدنى.

مقترحات وأنشطة محددة من أجل السلام

إيكيدا: ما حققتموه يثير الإعجاب. من الواضح أن البحث فى مجال السلام قد وصل الآن إلى نقطة تحول جوهرية. إبان السنوات الطويلة للحرب الباردة، كانت بحوث السلام تهدف أساسًا لمنع حدوث حرب نووية كارثية، وتخفيف التوترات التى تحدثها المواجهة بين الشرق والغرب. ورغم ذلك، وحتى قبل استثمار نتائج هذه البحوث بشكل كامل، سقطت النظم الشيوعية فى شرقى أوروبا بفضل سلسلة من الثورات، كما أن الاتحاد السوفيتى تفكك، مما أدى إلى نهاية الحرب الباردة.

بطبيعة الحال، فإن هذا العمل مهم كما كان الأمر دائمًا، وذلك باعتباره مصدرًا للتحذير يمكن أن يمنع من ظهور الصراعات، ويمنع من تصعيد المواجهات. بيد أن مهمة بحوث السلام من الآن فصاعدا ستكون هى أن تمدنا ببدائل محددة وقابلة للتطبيق لبناء السلام فى العالم، وبرؤية راسخة للمستقبل. إن الوظيفة الجديدة لبحوث السلام هى أن نضع أسس حقبة جديدة.

طهرانيان: لدى الشعور ذاته. لقد قلت هذا آنفًا، ولكن إذا عدنا إلى سنة ١٩٩٦ عندما تأسس المعهد، وكنا نحاول صياغة مهمة المعهد، قررنا أن تكون تلك المهمة هى "معهد من نوع جديد لعالم من نوع جديد". كان الهدف الأساسى لبرنامجنا البحثى الأولى الذى أسميناه "الأمن الإنسانى والحكم العالمى الرشيد"، هو تطوير مبادرات وأنشطة للسلام فى الأمم والأقاليم، واقتراح سياسات بديلة محددة، وبالتالى، فإن معهد تودا قد أصبح بمثابة شبكة نامية من علماء السلام والسياسات منتشرين حول العالم.

إيكيدا: سيكون لبحوث السلام من الآن فصاعد مساران أحدهما لصياغة خطط محددة، والثانى لبناء توجه عام وواضح للأفكار والأنشطة، وكلاهما ضرورى. وقد كان جوشى تودا يؤكد دائمًا على أهمية المقترحات المحددة، والنشاط العملى فى أى جهود للسلام. وكان يضيف أنه حتى إذا لم تثمر تلك الجهود أية نتائج فورية، فإنها ستنتج تلك الخبرات المتوهجة التى تشعل نيران السلام فى العالم أجمع.

إن النظريات الفارغة والجدل العقيم لا يحقق شيئًا، ولكن يمكن أن تؤدى المقترحات المحددة والعملية إلى تغيير الوضع الراهن، وإلى أن تصير بعد ذلك بمثابة المأوى الذى يحمى البشرية بأسرها.

واقتداء بالإشارات التى غرسها فىَّ السيد تودا، فقد حاولت فى مقترحات السلام السنوية التى ما فتئت أقدمها لمدة خمسة وعشرين عاما، وفى المناسبات الملائمة وغيرها من المواقف، حاولت أن أقدم أفكارًا تقودنا إلى مسار بناء ونافع للمجتمع الدولى، ومناهج محددة لحل مشكلات محددة، ولم أتوان عن القيام بأنشطة تهدف إلى تطبيق المبادرات الجديدة للسلام.

تودا، الحق الحصين فى الحياة

إيكيدا: من بين كل المشروعات التى انخرطت فيها، ربما كان عملى فى الحملة لإزالة الأسلحة النووية هو الأطول والأصعب. وكما تعرف، فإننا فى حركة سوكا جاكاى، كانت نقطة الانطلاق لحركتنا من أجل السلام هى الإعلان المناهض للأسلحة النووية الذى دشنه السيد تودا فى سبتمبر سنة ١٩٥٧ . وتقول إحدى الاقتباسات التى نستعملها كثيرًا "نحن مواطنى العالم، لدينا حق حصين فى الحياة، وأى كائن يسعى إلى تعريض هذا الحق للخطر هو شيطان مجسم، عفريت، ووحش." وتلى ذلك صرخة السيد تودا: "أريد أن أستأصل هذا الشر من جذور مخالبه العميقة والمظلمة".

لقد كان هجوما ضاريا على الشرور التى تجلبها أسلحة قادرة على محو البشرية من الوجود، وإدانة شرسة للشرور التى تطارد كل من هو مسئول عن إنتاج الأسلحة النووية، وكل من يمكن أن يفكر فى استعمالها. وقد كان هذا الإعلان الذى صدر قبل وفاة السيد تودا، هو بمثابة تعليماته الأخيرة لنا نحن الأعضاء الصغار، تعليمات تقول إن مهمتنا الأساسية، كما قال، هو أن نخلص الأرض من أسلحة الدمار الكلى تلك.

وبالإضافة إلى المعارض المتنقلة دوريا بعنوان "تهديد الأسلحة النووية لعالمنا"، وبعنوان "الحرب والسلام"، والتى عقدت فى مدن عديدة عبر العالم – فإن حركة سوكا جاكاى عقدت وانخرطت فى عدد من المشروعات المختلفة المتعلقة بالسلام. كما أنها تنشر سلسلة من المطبوعات المعادية للحروب. ولعل أحدث تلك المشروعات هو أن "قسم الشباب" أيد حملة "إلغاء ٢٠٠٠"، لإزالة الأسلحة النووية، واستطاعت أن تحصل على توقيع ١٣ مليون نسمة على عريضة تطالب بذلك.

طهرانيان: إننى على علم تام بعملك الدائب وجهود سوكا جاكاى التى لا تهدأ من أجل إنشاء عالم خال من الأسلحة النووية والسعى من أجل السلام. والحق أن هذه المثاليات هى ما جذبتنى فى البداية إلى سوكا جاكاى ورسالتها. وهذه المثاليات، كما نعلم، هى على قمة الأجندة البحثية لمعهد تودا حيث إننا نحاول أن نقتفى آثار النموذج الذى قدمه.

فى سبتمبر سنة ١٩٩٧، عقدنا مؤتمراً كبيراً فى إطار مشروع "الأمن الإنسانى والحكم العالمى الرشيد"، وقد ركز المؤتمر على فكرة "المتطلبات غير النووية لإزالة الأسلحة النووية"، فى تابلو كورت، فى مدينة ميدنهيد، بالمملكة المتحدة. وقد التقى فى هذا المؤتمر حوالى ثلاثون عالما عالميًا مرموقًا فى موضوع ضبط التسلح، لمناقشة كيفية التخلص من لعنة الأسلحة النووية. وقد ألقى الخطاب الافتتاحى جوزيف روتبلات(١٨٢) الحائز على جائزة نوبل للسلام، ومؤسس ورئيس حركة الباجواش(١٨٣)، ورائد النضال ضد الأسلحة النووية. وقد عدت من هذا المؤتمر بشعور أقوى بأن إعلان تودا كان مستشرفا للمستقبل، كما عدت بإيمان متجدد بأن مشروعنا ضرورى وملح.

---

(١٨٢) جوزيف روتبلات (١٩٠٨ – ٢٠٠٥) عالم فيزياء بولندى المولد، وبريطانى الجنسية، كان لأعماله عن أثر التفجيرات النووية أثر كبير فى التوصل إلى اتفاقية الحظر الجزئى للاختبارات النووية سنة ١٩٦٣، وكان أمينًا عاما لحركة مؤتمرات الباجواش حول العلم والشئون العالمية منذ تأسيسها. حصل على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٩٣ .

(١٨٣) الباجواش، واسمها الرسمى "مؤتمرات الباجواش حول العلم والشئون العالمية"، وهى منظمة دولية غير حكومية تضم العلماء والمفكرين المهتمين بقضايا الأمن العالمى، تأسست سنة ١٩٥٧ على يد جوزيف روتبلات وبرتراند رسل فى مدينة باجواش فى نوفاسكوشيا بكندا. وللباجواش هيكل تنظيمى يضم رئيسًا، وأمينًا عاما، ومديرًا تنفيذيا، ولجنة تنفيذية. حصلت الحركة على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٩٣، بالاشتراك مع المؤسس المشارك روتبلات .

إن أصداء صرخة الألم التى أطلقها السيد تودا مازالت تتردد فى قلوب الملايين من مواطنى العالم.

إيكيدا: بطبيعة الحال، فإن الجانب الآخر لما تقول هو نهاية الحرب الباردة. فهذه الحرب تعد حاليا جزءًا من التاريخ، كما أن خطر نشوب حرب نووية شاملة قد تراجع. لقد حل فى ضمير الجماعة الدولية شعور بالطمأنينة. وقد بدأ الاهتمام الدولى بالأسلحة النووية يخبو إلى حد ما. وكما اتضح بجلاء شديد فى الاختبارات النووية الهندية سنة ١٩٩٨ والتى تلتها الاختبارات الباكستانية، فإن المزيد من الدول يتطلع إلى امتلاك المقدرة النووية. إننا نشهد نوعًا من "أثر الدومينو"[١٨٤] ، وسيؤدى ذلك إلى مزيد من الانتشار النووى[١٨٥] . فإذا سمحنا لهذا التيار بالاستمرار ولم نفعل شيئًا لوقفه، فإن الجنس البشرى سيصير أسير مصيدة لا خروج منها.

والأسوأ من ذلك، أن الدول النووية ترفض أن تغير سياستها التى تقضى بأن الأسلحة النووية ضرورية لضمان أمنها. وهى تستمر فى التمسك بشدة بالأثر الردعى المفترض للأسلحة النووية. فما المطلوب لإقناع الدول التى تمتلك المقدرة النووية بالفعل، والتى لا تريد حتى أن تفكر فى إزالتها، بأن تغير سياستها؟ هناك عدد من المنظمات يستطيع أن يضطلع بدور فى هذا المجال: إنها المنظمات غير الحكومية، بالإضافة إلى الحركات الشعبية الأخرى. ويبدو أن موضوع المنظمات غير الحكومية، وأهميتها قد نوقش أيضًا فى "مؤتمر الأمن الإنسانى والحكم العالمى الرشيد" فى إنجلترا.

طهرانيان: هذا صحيح. إن مخاطر الحرب النووية كانت من القضايا الرئيسية التى طرحها ديفيد كرايجر رئيس مؤسسة سلام العصر النووى"[١٨٦]، وذلك فى تقريره

---

(١٨٤) "أثر الدومينو" يقصد به حالة يؤدى فيها تغير محدود فى قطاع معين إلى تغيرات مماثلة فى القطاعات المجاورة، مما يؤدى بدوره إلى سلسلة تغيرات مماثلة فى شكل تتابع خُطّى، مما يشبه حالة سقوط قطع لعبة الدومينو تباعًا بسقوط إحدى القطع.

(١٨٥) يلاحظ هنا أن طهرانيان وإيكيدا لا يشيران إلى امتلاك إسرائيل للسلاح النووى بالفعل، واقتصرا على الحديث عن الهند وباكستان.

(١٨٦) ديفيد كرايجر مؤسس ورئيس "مؤسسة سلام العصر النووى" ، ألف العديد من الكتب، ومن أحدثها كتاب "الحمائم تطير عاليا"، سنة ٢٠٠٧ . أما مؤسسة سلام العصر النووى فهى منظمة غير حكومية تأسست سنة ١٩٨٢ ، لمعارضة التسلح النووى، ودعم القانون الدولى.

بعنوان "من ضبط التسلح إلى الإزالة – العمل العالمى من أجل إنشاء عالم خال من الأسلحة النووية". وخلال توقف قصير أثناء إلقائه خطابه همس لى كرايجر بأننا نحتاج إلى ضغوط أقوى بكثير من الرأى العام الدولى، إذا كنا نأمل بشكل واقعى أن نتخلص نهائيًا من الأسلحة النووية. قال كرايجر، "إن المنهج الذى تسلكه سوكا جاكاى سيصبح أكثر أهمية من الآن فصاعداً".

إننى أيضًا أعتقد أن البشر لديهم المقدرة على تحطيم أوهام مالكى الأسلحة النووية، ومن يتطلعون إلى ملكيتها. ولن أنسى ما حييت قوة كلمات البروفسور روتبلات فى خطابه الافتتاحى فى مؤتمر تابلو كورت عندما قال: "حتى فى أكثر سيناريوهاتنا تشاؤما، لم نستطع أن نتصور أن المجتمع الإنسانى يمكن أن يكون غير مكترث، إلى الحد الذى يؤدى إلى تراكم هذا العدد الهائل المزرى من الأسلحة، والتى لا نرى أن لها أية فائدة تذكر. ومع ذلك فقد تبين أن المجتمع الإنسانى كان مفرطًا فى عدم استخلاص العبر".

إن الأمر لا يتطلب أكثر من الشعور الإنسانى الأساسى لكى يتبين مدى الفحش والحمق الكامن فى رغبة أية حكومة فى امتلاك أو الاحتفاظ بالأسلحة النووية واعتبارها أن هذا الامتلاك "شرًا لابد منه". وسيتطلب الأمر شجاعة جادة ومتواصلة من الحركات الشعبية، ومن كل الجماعات فى أى مكان، لكى ترفض التسامح مع الظلم. وهذه الشجاعة هى ما نتوقعه من حركة سوكا جاكاى للسلام.

قرن من الحرب لن يتكرر أبدًا

إيكيدا: إننى مسرور بما تقول. لم أيأس أبدا من الاعتقاد أنه لا يمكن بناء عالم بدون أسلحة نووية، وقرن بدون حروب، إلا إذا كانت الشعوب، وليست الحكومات هى القوة الدافعة. ومع توسعها التدريجى، فى بناء شبكتها من الشعوب المحبة للسلام،

استطاعت حركة سوكا جاكاى أن تبنى تضامنًا عالميًا مبنيًا على الحلم المشترك فى إنهاء كل الحروب. لقد فقدنا أعدادًا فلكية من الأرواح فى الحروب المجنونة للقرن العشرين، بحيث أن القليل منا هو الذى لم تمسه تلك الحروب بأى شكل. إذ يقدر أن حوالى ٢٢ مليون نسمة، بما فى ذلك المدنيين، قتلوا فى الحرب العالمية الأولى، وأن ٦٠ مليونا قتلوا فى الحرب العالمية الثانية. لقد سمى هذا القرن "قرن قتلى الحروب".

وقد تعلمنا أخيراً أنه لا شئ أكثر مأساوية وقسوة من الحرب، ولكن تكاليف هذا التعلم كانت باهظة على الجنس البشرى. ورغم ذلك، فمازالت الحروب تحل بنا كما كان عهدها دائمًا، بدون أية علامة على التراجع. لقد وقعنا فى شرك دائرة لا مخرج منها بدون أن نتحول أولاً من نظام للأمن يتأسس حول الدولة إلى نظام للأمن الإنسانى. وسينشأ الدافع والحافز لتحقيق مثل هذا النظام من حركات السلام الشعبية والقاعدية.

طهرانيان: كما قلتم، فإن الأمن فى المجتمع الدولى كان دائمًا يتمحور حول الدولة. فمنذ مؤتمر وستفاليا المنعقد سنة ١٦٤٨، ظل النظام الدولى التقليدى مؤسسا بصفة محورية حول قضايا الأمن بين الدول. وبالتالى ظلت دراسات الأمن منشغلة بالنظم الأمنية الوطنية والدولية على حساب الأمن الإنسانى.

ولابد أن نسلم أنه قد حدث بعض التقدم فى الأمن الدولى فى مجال تخفيض ووضع قيود على الأسلحة البيولوجية والكيميائية. ومع ذلك، فإن التاريخ يعلمنا درسا مهما وهو أنه حينما تقرر دولة – على أساس الحسابات الخاصة بسياستها القومية – أن تشن الحرب، فإن الشعوب هى دائما الضحية. والأمر لا يقتصر على الحروب، فقد أدت انتهاكات الأمن الإنسانى، فى شكل المجاعات، والأوبئة، والعنف الداخلى، والحروب الأهلية، وتدهور البيئة – إلى زيادة الحاجة إلى إعادة النظر فى مفهوم الأمن. هناك توافق جديد ناشئ للاقتراب من هذا المفهوم من منظور أكثر شمولية.

وبشكل أكثر تحديداً، فإن تقارير برنامج الأمم المتحدة للتنمية البشرية، ولجنة الحكم العالمى الرشيد، قدمت مساهمات مهمة فى مجال صياغة مفاهيم جديدة للأمن الإنسانى، وقد أصبح تطبيق تلك المفاهيم مناط الاهتمام فى الجماعة الدولية.

إيكيدا: أعتقد أن الأمن الإنسانى يتطلب توسيع نطاق القانون الدولى، ومد نطاق أسسه إلى مكان الصدارة من اهتمامات البشرية، مع تقوية، ودعم الأمم المتحدة. لقد تشكل القانون الدولى على أساس المفاهيم الأساسية لنظام وستفاليا، والتى استمرت لقرون، وطور بذلك مجموعة من القواعد التى أعطت الأولوية للتوفيق بين مصالح الدول، ورفعت من شأن السيادة التقليدية المقصورة على الدولة. ومن ثم، أصبح من الصعب بناء توافق على أساس مصالح البشرية جمعاء. وحتى إذا تم التوصل إلى اتفاق، فإنه عادة ما لا يعيش إلا لفترة زمنية قصيرة، ويظل هذا الاتفاق محاطًا بالعراقيل التى تنهى أية فاعلية حقيقية له.

طهرانيان: يمكن أن نفكر فى العلاقات الدولية على أنها تطورت تاريخيا عبر ثلاث مراحل كبرى، المرحلة الأولى هى مرحلة "القوة الصلبة"، واتسمت بأن القوى كان يحكم الضعيف بالإكراه. وبمرور الوقت، وبعد أن نضجت الدول، تراجعت القوة الصلبة وحلت محلها "القوة المهيمنة"، والتى استطاعت من خلال الاستعمال الانتقائى للقوة العسكرية، وقوة الإقناع، بالتوازى مع تطبيق بعض جوانب القانون الدولى - أن تنشئ ميزانًا بين الدول حافظ على التوازن الدولى. واليوم، فإن القانون الدولى يتطور فى إطار الأسس التى حددت هاتين المرحلتين فى عصور تاريخية سابقة. ولكن فى عصر العولمة المتزايدة، فإن الأزمات تأخذ أبعادًا عالمية، كما أن الحلول التقليدية الماضية لم تعد صالحة. نحن نواجه تحديًا جديدًا، إعادة صياغة القانون الدولى بهدف إعطائه مدى وبؤرة اهتمام وهدفًا أكثر اتساعا من المصالح الوطنية الضعيفة السائدة فى الوقت الراهن. لقد دلفنا إلى عصر جديد ربما صارت فيه "القوة اللينة"، أكثر فعالية من القوة الصلبة أو المسيطرة. فالمعتقدات الروحية، والمؤثرات الثقافية، بما فى ذلك الطعام والموسيقى، والفن، والسينما، والمقاضاة، تؤثر بشكل أكثر سلمية وفعالية.

تحويل الأمم المتحدة إلى تجمع إنسانى

إيكيدا: إذا انتقلنا إلى الأمم المتحدة، فالواقع أنها لم تستطع أن تكسر قيود الإطار التقليدى لتجمع الدول، كما أنها لم تستطع أن تحقق بشكل كاف الأهداف التى أنشئت من أجلها. ولكن كما أشرتم، "الآن، وبصرف النظر عن إنجازاتها أو إخفاقاتها، فإن الأمم المتحدة هى التنظيم الوحيد الذى يجسد وحدة العالم، (سيكيو شيمبون، ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٩٣). يجب أن نؤيد الأمم المتحدة، كما هى الآن، بشكل كامل. ولكن فى الوقت ذاته، فإنه من المهم أن نسعى لكى نحولها إلى تجمع يعمل لصالح كل البشر فى المعمورة.

عندما قابلت بطرس بطرس غالى، الأمين العام للأمم المتحدة فى خريف سنة ١٩٩٤، قلت له أثناء حوارنا إنه رغم أن كثيراً من البشر لديهم توقعات قصوى من الأمم المتحدة، فإنهم لم يعطوها سوى الحد الأدنى من الدعم والمساعدة. وأنت يا بروفسور طهرانيان، لطالما دعوت إلى إنشاء "جمعية للشعوب"، يمكن أن تعمل بشكل خلاق فى صورة قوة تنسيقية، إنها لفكرة رائعة. والآن، وقد أصبحت كل الدول تقريبًا أعضاء فى الأمم المتحدة، فقد حان الوقت لتجميع الخبرات من كل أنحاء العالم، والنظر بجدية فى كيفية إصلاح الأمم المتحدة لكى تعمل "كتجمع للبشرية"، كوكالة إنسانية.

طهرانيان: إننى سعيد لأنك قد أثرت هذا السؤال، لأن معهد تودا يتعاون مع جامعة لاتروب (أستراليا) وجامعة شولا لنجورن "برنامج تركيز على الجنوب العالمى" (تايلاند)، فى مشروع نسميه بكل ود، "مشروع الأمن الإنسانى والحكم العالمى الرشيد - الأمم المتحدة"، وهو جزء من مشروعنا عن الأمن القومى والحكم العالمى الرشيد، يركز على إمكانيات إصلاح الأمم المتحدة. وهناك مناقشات مع عدد من الشخصيات البارزة والخبيرة تجرى حاليا حول هذا الموضوع. وقد أثمرت تلك المناقشات سلسلة من المقترحات الهادفة إلى مقرطة الحكم العالمى الرشيد سواء فى الأمم المتحدة أو خارجها. وقد نشرنا بالفعل كتابين حول هذا الموضوع.

إن وجهة نظرى الشخصية هى أنه لكى تجعل من الأمم المتحدة تنظيما يستجيب لمشكلات البشر، فإنه من الضرورى مقرطة هيكل وتنظيم وأدوات عمل الأمم المتحدة بقدر ما نستطيع. وبالتحديد، فإن أحد المقترحات الجيدة هو إصلاح مجلس الأمن، وأن نضيف جهازًا جديدًا إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة. وفيما يتعلق بمجلس الأمن، فهناك ثلاثة مقترحات، أولها تقليص – ووصولاً إلى الإلغاء التدريجى – لحق النقض الذى تتمتع به الدول الخمس دائمة العضوية، وثانيها توسيع عضوية مجلس الأمن، وثالثها، أنه فى ظل إلغاء حق النقض ينبغى تطبيق مبدأ الإجماع فى الحالات التى تتطلب تدخلا عسكريًا من الأمم المتحدة.

أما بالنسبة للجمعية العامة، فنحن فى حاجة إلى جهاز إضافى يمثل شعوب العالم بشكل مستقل عن حكوماتهم. ويمكن أن نطلق على هذا الجهاز اسم "جمعية الشعوب"، وأن نطلق على الجمعية الحالية "جمعية الدول". وينتخب أعضاء جمعية الشعوب على أساس نيابى، كما هو الحال فى انتخاب أعضاء البرلمان الأوروبى.

إيكيدا: هذه أفكار قيمة وراسخة. إن فكرة "جمعية الشعوب"، فكرة اتفقت مع يوهان جالتونج، عالم السلام، على أن نعطيها الاهتمام الجدير الذى تستحقه. بالطبع هذه الفكرة لن تتحقق بين عشية وضحاها، ولكنها يمكن أن تكون هدفًا عمليا. وعندما نتذكر أن ميثاق الأمم المتحدة يبدأ بعبارة، "نحن شعوب الأمم المتحدة"، فإنه ينبغى أن نتذكر فى الوقت ذاته أهمية بذل الجهود المتواصلة لكى تسمع أصوات الشعوب. وحتى الآن، كل ما يمكن أن نراه فى الأمم المتحدة هو الحكومات. يجب إصلاح الأمم المتحدة استنادًا إلى روح إنشائها، بجعل وجوه البشر، وجوه الشعوب – فى كل مناحى الحياة – مرئية، وجعل أصواتهم مسموعة سواء فى عملياتها أو تنظيماتها.

دور أكبر للفاعلين غير الحكوميين

طهرانيان: أعتقد أنه من الممكن الافتراض أن عصر القوة المهيمنة - الذى يعد نظام الدول القومية هو محوره المركزى - قد وصل إلى منتهاه. إن آرائى بهذا الخصوص تشبه آراء فاسلاف هافيل، رئيس جمهورية التشيك، والذى يصف الموقف الراهن كما يلى:

"أعتقد أن هناك أسبابًا وجيهة لكى نعتقد أن العصر الحديث قد انتهى. واليوم هناك أشياء عديدة تشير كلها إلى أننا نمر بمرحلة انتقالية يبدو فيها أن شيئا ما فى طريقه للنهاية، وشيئًا آخر يولد بصعوبة. ويبدو الأمر كما لو أن شيئًا يتداعى، ويتآكل، ويفقد طاقته، فى حين أن شيئًا آخر مازال غير واضح المعالم، ينشأ من بين الحطام".

رؤية مثيرة للتأمل حقا، نحن لا نستطيع حتى الآن أن نرى الجديد، ولكنه موجود بدقات قلبه النابضة، وآلام الولادة. نستطيع أيضًا أن نتعرف على بعض الاتجاهات الجديدة بشكل رمزى. ففى مرحلة ما بعد الحرب الباردة، اكتسب الفاعلون غير الحكوميين، زخما وقوة جديدة.

إيكيدا: تستحق منا الأنشطة الأخيرة للمنظمات غير الحكومية بعض الاهتمام فى هذا المقام. فحتى الآن، قدمت المنظمات غير الحكومية مساهمات رائعة فى مجالات البيئة، وحقوق الإنسان، والمشروعات الخيرية، ولكنها بدأت تنشط وتؤثر بشكل فعال فى مجال تخفيض التسلح أيضًا، وهو مجال كان حتى الآن امتيازًا خالصًا للحكومات الوطنية.

ففى يوليو سنة ١٩٩٦، أصدرت محكمة العدل الدولية فتوى تقول إن التهديد باستخدام أو استخدام الأسلحة النووية عمومًا يتعارض مع القانون الدولى، وبالذات القانون الدولى الإنسانى المتعلق بالصراعات المسلحة وما يعطى لهذه الفتوى أهمية خاصة، هو أن الدافع الحقيقى من إصدارها كان الحملة التى قادتها المنظمات غير الحكومية. وفى سبتمبر سنة ١٩٩٧، تم توقيع اتفاقية حظر الألغام الأرضية، وكانت تلك

الاتفاقية محصلة جهود "الحملة الدولية لحظر الألغام الأرضية" وغيرها من المنظمات غير الحكومية، والتى حثت العديد من الحكومات على توقيع المعاهدة فى هذا الوقت.

طهرانيان: كانت تلك إنجازات عظيمة تظهر القوة الجديدة للفاعلين غير الحكوميين. ويمكن فهم قدرة هؤلاء الفاعلين غير الحكوميين على الحصول على مساحة أكبر من الحرية فى مجالات عملهم، بشكل جزئى فى ضوء انتهاء الصراعات بين القوتين العظميين. وإلى جانب المنظمات غير الحكومية، هناك الشركات متعدية الجنسية وغيرها. ويمكن أن نقول إن الاقتصاد العالمى تديره حاليا أكبر خمسمائة شركة متعدية الجنسية. والمعضلة هى أن تلك الشركات لا تخضع لرقابة الحكومات أو الرقابة الديمقراطية فى الأماكن التى تعمل بها.

ويتم هذا النشاط الاقتصادى فى أغلب الأحوال بالتعاون بين مؤسسات مثل البنك الدولى للإنشاء والتعمير، وصندوق النقد الدولى، ومنظمة التجارة العالمية، والتى تشرف كلها على الاستراتيجيات طويلة الأمد للتنمية الاقتصادية العالمية، واستقرار أسعار الصرف، والتقسيم الدولى للعمل والتجارة.

إيكيدا: من المؤكد أن هناك بعض الشركات متعدية الجنسية التى تمول وتنظم بشكل يجعلها شبيهة بالدول. وقد رأينا أكثر من مرة أن تصرفاتها يمكن أن تهز الجماعة الدولية بأسرها. فإذا أخذنا فى الاعتبار أن هذه الشركات ذات تأثير قوى على الاقتصاد العالمى، فإنه يبدو من الجلى أن فجوة معينة ستظهر بين هؤلاء الذين يحددون قواعد السلوك الاقتصادى، وهؤلاء الذين يتبعونهما.

طهرانيان: هذا صحيح، فحينما تجرؤ إحدى الدول الصغيرة أو المتوسطة على تحدى سياسات القوى العظمى، أو الشركات متعدية الجنسية، أو المنظمات الدولية الحكومية، فإنها يمكن أن تعاقب من خلال المقاطعة، والعقوبات التجارية، وحرمانها من الحصول على مصادر رأس المال العالمى. ولهذا اقترح معهد تودا ومن يتعاونون معه إنشاء جمعية استشارية أخرى فى إطار الأمم المتحدة تسمى "جمعية المنظمات غير الحكومية" تضم رجال الأعمال، والمجتمع المدنى، وممثلين للجماعات الأكاديمية.

وسائل الإعلام، من هم قادة الرأى؟

طهرانيان: إن من يقوم بدور الرصد وقيادة الرأى فى تلك العملية هى منظمات الإعلام متعدية الجنسية، ذلك أن برامج الأخبار لا تكتفى برصد الأحداث، وإنما أيضاً تقوم ببناء الوقائع التى نتعامل معها. هذا ما أسميته أنت "القوة الناعمة". بيد أن القوة الناعمة قد تتخذ أشكالاً مختلفة، إيجابية وسلبية أيضاً.

إيكيدا: ماذا تقصد؟

طهرانيان: طالما أن المصادر والقنوات الأساسية للأخبار العالمية هى أنجلو - أمريكية المنشأ، كما كان الحال طوال القرن الماضى، فإن الوقائع التى يتم صياغتها للجمهور ستكون دائماً ذات طابع أحادى. بيد أن منظمات الإعلام متعدية الجنسية هى أيضاً قنوات للإعلان على المستوى العالمى، وهى وسائط لتنشيط النزعة الاستهلاكية وشرعنتها. وهذا شكل مختلف من القوة الناعمة يؤثر فى عالمنا اليوم. وعلى الدرب ذاته، فإن السفر الدولى، والتبادل الثقافى، والإنترنت هى وسائط توفر قنوات للتبادل تؤدى بدورها إلى التبادلات الثقافية.

وبينما تغلغلت مطاعم ماكدونالد، وأغانى مايكل جاكسون، ومادونا، وشبكةCNN الإخبارية فى الأسواق العالمية، فإن السوشى اليابانى(١٨٧)، والساشيمى(١٨٨)، وأفلام كوروساوا(١٨٩) قد أسرت قلوب شعوب عديدة حول العالم.

---

(١٨٧) السوشى، نوع من الطعام اليابانى المشهور الذى يصنع من الأرز المنقوع فى الخل ويوضع فوقه مكونات أخرى، أشهرها السمك المطهى أو غير المطهى والخضراوات. ويقدم السوشى بأشكال متعددة، من أهمها أن يقدم ملفوفاً بالنورى (طبقات من أعشاب البحر).

(١٨٨) الساشيمى، نوع من الطعام اليابانى يتألف من أشكال من السمك غير المطهى، المقطع إلى شرائح رقيقة، ويغمس فى صلصة الصويا.

(١٨٩) أكيرا كوروساوا (١٩١٠ - ١٩٩٨) مخرج سينمائى يابانى مشهور، حصل على جائزة الأوسكار عن مجمل إنجازاته السينمائية، آخر فيلم له كان "مادادايو".

إيكيدا: هذا صحيح. فى حالة الأخبار، فإنه نتيجة للتغيرات الجذرية فى تكنولوجيا الاتصال، فإنه يمكن معرفة الأخبار فى أى مكان فى العالم حية ولحظة وقوعها، ولكن كما قلت أنت فإن الأخبار اليوم تنتقل من خلال قنوات أنجلو - أمريكية. ومن ثم، فهى تتبنى الرؤية الغربية للأحداث. وفى تدفق المعلومات، فإن الجزء الأكبر يأتى من اتجاه واحد هو المصادر الأنجلو-أمريكية، ومن ثم لا تأتى أخبار كافية عن المناطق الأخرى فى الاتجاه المضاد.

ومع ذلك، فإن تطور وسائل الإعلام والإنترنت أتاح الحصول على المعلومات بشكل أوسع وأسهل عما كان الحال قبل ذلك، ويمكن أن نعتبر ذلك بمثابة مساهمة فى النمو الديمقراطى الصحى. أكثر من ذلك فإنه من خلال وسائل الإعلام، فإن قطاعات أكبر من البشر تعلم عن نتائج الكوارث البيئية، وعن ظروف اللاجئين فى أقاصى بعيدة فى المعمورة، مما يوفر الفرصة لتدشين وتطوير حملات للتعامل مع تلك المشكلات.

آفاق جديدة لأجهزة الإعلام والديمقراطية

طهرانيان: لا تحمل القوة الناعمة بذاتها فى ثناياها قيما معينة. فهذه القوة يمكن توظيفها لتحقيق الخير أو الشر. ويمكن أن تحسن من الحياة أو تزيدها سوءًا. كما أنه يمكنها أن تنمى التفاهم الدولى أو تعمق من الصور النمطية الثقافية من خلال تقديم جماعات عرقية، ودينية، وقومية معينة بشكل سلبى. بطبيعة الحال، فإن التوسع الهائل فى الاتصالات العالمية يوفر أملا فى تحقيق قدر أكبر من التفاهم طويل الأمد بين الأمم والثقافات، ولكن ازدحام القنوات بالأنباء الدرامية عن العنف بدون أى تحليل جدى لجذوره، وطرق علاجه، يؤدى إلى التشويه المنظم للاتصال والمعرفة. فمعظم الأخبار يتم وصفها فى أطر متحيزة وقومية ضيقة. ولكن السوق والمجتمع العالمى يتطلبان قواعد، ومواطنة وصحافة عالمية.

إيكيدا: يجب أن يتسم تحرير الأخبار بقدر أكبر من المسئولية، وأن يكون متحررا من أى شكل من التحيز الضمنى ضد مصالح معينة، أو المشاركة فى تنفيذ أجندة معينة. ويعنى ذلك أخلاقًا جديدة للصحافة تبعدها عن أى نوع من أنواع الانحراف القومى أو التحيزى.

طهرانيان: سيكون لمثل هذه الأخلاق الجديدة انعكاسات مهمة على الممارسة العالمية وعلى حفظ السلام، كذلك فإن هذه الأخلاق تتطلب إنشاء صحافة عالمية تكون بمثابة التطبيق للمواطنة العالمية. بالنسبة لى، فإن التحدى الحقيقى لأجهزة الإعلام هو أن توظف القوى الناعمة لتحقيق السلام والتفاهم الدوليين. خذ على سبيل المثال، الحملة الدولية لإزالة الألغام الأرضية، والتى سبق أن أشرتم إليها، وتأمل ما حققته تلك الحملة. إن تلك الحملة هى نموذج رائع للمهارة الكاملة التى يمكن أن تدار بها حملة فعالة للقوة الناعمة. فلمدة ست سنوات، وباستعمال الإنترنت والشبكة العالمية كأداة لنشر المعلومات والاتصال، استطاع منظمو الحملة أن يعبئوا أكثر من ألف منظمة دولية غير حكومية، وملايين المواطنين العالميين، للانخراط فى حملة مستنيرة وفعالة. وقد نجحوا فى إقناع أكثر من مائة دولة بتوقيع معاهدة تحظر الألغام الأرضية، وهى المعاهدة التى دخلت حيز التنفيذ فى مارس سنة ١٩٩٩[(١٩٠)] . إنها لظاهرة جديرة بالاحتذاء حقا. ورغم ذلك، فقد رفضت الولايات المتحدة، وروسيا، والصين، وهى دول تمتلك ترسانات هائلة من الألغام الأرضية، أن توقع تلك المعاهدة.

إيكيدا: يجب أن نجد طريقًا لإثارة الاهتمام الدولى بشكل يكفى لإقناع هذه الدول. فلابد أن تنضم كل الدول إلى هذه المعاهدة. فى البداية كان كثير من الناس

(١٩٠) معاهدة حظر الألغام الأرضية، وتسمى رسميًا "اتفاقية حظر استعمال أو تخزين أو إنتاج أو نقل الألغام المضادة للأفراد وتدميرها"، وتسمى أحيانا بمعاهدة أوتاوا، وهى تحظر تماما استعمال الألغام الأرضية المضادة للأفراد، ووقعت فى سنة ١٩٩٧، من قبل ١٣٢ دولة زاد عددها سنة ٢٠٠٧ إلى ١٥٦ دولة ودخلت حيز التنفيذ سنة ١٩٩٩، وهناك ٣٧ دولة لم توقع المعاهدة مثل الصين الشعبية، والهند، والولايات المتحدة وروسيا .

متشائمين فيما يتعلق بتوقيع تلك المعاهدة، ولكن بمعنى من المعان، فإن نجاح المعاهدة يدلنا على الكثير عن الإيجابيات التى ستنتج عن استمرار "عملية أوتاوا"(١٩١) - أى الضغط نحو توقيع معاهدة بتأييد من عدد من الدول الراغبة فى التوقيع. وكما لاحظتم، فإن "الحملة الدولية لإزالة الألغام الأرضية"(١٩٢) قد تحولت لتصبح علامة فارقة ناجحة كبرى فى التاريخ العالمى.

إن عدم إخفاق تلك المعاهدة، وهى تتسم بعدم وجود ثغرات فى نصوصها، ولا تستثنى أحدًا، يرجع جزئيًا إلى استراتيجية الإعلان عن قائمة الدول المعارضة لها، واستمرار الضغط عليها بوسائل أخرى. من ناحية ثانية، فيما يتعلق بالحكومات التى ترددت فى الموافقة محتجة باعتبارات "الأمن القومى"، فإن "الحملة الدولية لحظر الألغام الأرضية"، تشبثت للغاية بحثها على إعادة النظر فى سياستها، وفى النهاية وافقت تلك الحكومات.

عندما نالت "الحملة الدولية لإزالة الألغام الأرضية" جائزة نوبل للسلام فى أكتوبر سنة ١٩٩٧، أشارت لجنة الجائزة إلى الإنجازات المبهرة للحملة، وقالت إنها تقدم مثالا لحملات مماثلة فى المستقبل لتعبئة الجهود الدولية نحو تخفيض التسلح وتحقيق السلام. لقد كانت تلك الإشارة تعبيرًا عن الأمل فى أن يصير البشر قوة مثابرة، ومدفوعة ذاتيًا من أجل بناء حملة لخفض التسلح.

طهرانيان: من خلال توظيف الإنترنت، وتكنولوجيا الاتصال بشكل إيجابى، قدمت "الحملة الدولية لإزالة الألغام الأرضية" المحاولة الأولى لكسر حواجز الأساليب القديمة

(١٩١) "عملية أوتاوا" يقصد بها الحملات والمفاوضات التى أدت إلى توقيع معاهدة حظر الألغام الأرضية المشار إليها فى الهامش السابق.

(١٩٢) الحملة الدولية لإزالة الألغام الأرضية، هى ائتلاف من عدد من المنظمات الدولية غير الحكومية التى حددت هدفها بأنه حظر استخدام الألغام الأرضية المضادة للأفراد. تكونت الحملة سنة ١٩٩٢ من عدة منظمات، منها هيومان رايتس واتش، وانضمت إليها الأميرة ديانا البريطانية، وكانت جودى ويليامز المتحدثة الرسمية باسمها، ونالت الحملة مع جودى ويليامز جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٩٧.

لاتخاذ القرار. وبذلك أمكن للمجتمع المدنى المنظم أن يتغلب جزئيًا على معضلة تآكل الديمقراطية التى تحدث نتيجة خضوع السياسيين لمصالح المانحين، بما فى ذلك منتجو الأسلحة نتيجة تحكمهم فى النواحى التمويلية، وليس لصالح المواطنين. ولكن هذا الأمر يتطلب وجود مواطنين ناشطين وعارفين. ويوفر الإنترنت مجالا ديمقراطيا جديدًا للحوار العام الذى يستطيع من خلاله المواطنون أن يحصلوا على المعلومات، والسلطة، وأن يستنيروا وينتظموا فى التعامل مع قضايا محددة. إن حالة الألغام الأرضية توضح كيف يمكن أن يكون الفضاء الديمقراطى الجديد فعالا من خلال التعليم والتعبئة. كل ما يتطلبه الأمر هو وجود مواطن عالمى لديه حاسب آلى، ومقدم خدمة الإنترنت، وموصل للحاسب بمقدم الخدمة.

إيكيدا: تستطيع التكنولوجيا الحديثة أن تجعل من عالمنا مكانًا أفضل للعيش فيه، كما أنها تستطيع كذلك أن تلحق به أفدح الأضرار. يجب أن نكون واعين تمامًا بكيفية عمل هذه التكنولوجيا، والطرق التى يمكن توظيفها من خلالها، ومن ثم نستطيع أن نستعملها لصالح البشر. اعتقد أنه ينبغى علينا أن نتمسك بهذا التوجه الأساسى نحو التكنولوجيا.

تؤكد التعاليم البوذية على الحاجة إلى الحكمة لتحسين نوعية الحياة. فمن بين المظاهر الإيجابية للإنترنت، والعناصر الأخرى "لثورة المعلومات"، هو، كما أشرتم، طابعها الذى لا يستثنى أحدًا. الآن، المعرفة والمعلومات متاحة بشكل أكبر، ولم تعد حكرًا على قطاع أو جماعة معينة من البشر. فقد أصبح من الممكن أن يتقاسمها البشر الراغبون فى الوصول إليها بشكل ديمقراطى.

أكثر من ذلك، فإنه سيصير أكثر أهمية من المعرفة والمعلومات فى ذاتها التحلى بالحكمة والانضباط فى استعمالهما. وللوصول إلى تلك الحكمة، ليس هناك من طريق أفضل من التقاء القلوب والعقول من خلال الحوار بين رفقائنا من بنى البشر. عند الالتقاء الحقيقى للعقول، لا يمكن أن تنشأ مشكلة التدفق الأحادى للمعرفة أو فيضانات

المعلومات التى لا معنى لها. فمن أعماق الأصوات والقلوب التى تسعى إلى التلاحم من خلال الدراما دائمة الحركة فى شكل حوارات، تنبع أفكار جديدة وحية وإدراكات جديدة.

طهرانيان: هل يمكن أن أضيف تحذيرين؟ أولاً، أن الإنترنت ليس متاحًا للجميع، وهى مشكلة أصبحت تعرف باسم "الانقسام الرقمى"(١٩٣) . وبالرغم من أن الإنترنت توسع بسرعة ليصل إلى حوالى ٥٠٠ مليون نسمة فى عقدين من الزمان، فإن هذا التوسع كان مقصورا على الدول والأشخاص ذوى الدخل المرتفع. وعلى سبيل المثال، فإن أكثر من ٥٠٪ من مستعملى الإنترنت يتركزون فى الولايات المتحدة. ثانيًا، رغم أننا ركزنا بالأساس حتى الآن على المشكلات الكبرى، فإن السلام يمكن أن يتحقق بشكل أكثر فعالية فى مجال المشكلات الصغرى. وكما قلتم، فإن الحوار هو المفتاح فى الحالتين. ورغم ذلك، فإنه يمكن تحقيق الاتصال الحوارى بشكل أكثر فعالية فى اللقاءات بين البشر وجهًا لوجه، وفى حلقات صغيرة أكثر منه فى حالات الاتصال عن بعد، وعن طريق وسيط بين أعداد كبيرة من البشر. ولهذا، فإنه سيرًا على درب شوماشر(١٩٤)، فإننى أعتقد أن "الصغير أجمل". يمكن أن نحقق الألفة، والتفاهم، والتعاطف بشكل أكثر فعالية فى الأعداد الصغيرة: فى إطار العائلة، والأصدقاء، ورفاق العقيدة. ولهذا، فإننى أقدِّر بدرجة عالية الدور الذى تضطلع به المنظمات الطوعية مثل سوكاجاكاى. فعلى مستوى الدول والمنظمات الحديثة، فإن التجريد، وانعدام الشخصية، والطمع، والعدوان هو الذى يسود.

---

(١٩٣) "الانقسام الرقمى" يقصد به الهوة بين الشعوب التى تستطيع الحصول على خدمات تكنولوجيا المعلومات، وتلك التى لا تستطيع الحصول عليها .

(١٩٤) شوماشر (١٩١١ - ١٩٧٧) مفكر اقتصادى بريطانى اشتهر بنقده للاقتصادات الغربية واقتراحاته لإدخال البعد الإنسانى فى الاقتصاد، ومطالبته باستعمال التكنولوجيا الملائمة. يعتبر كتابه "الصغير أجمل" من أهم الكتب التى ألفت فى النصف الثانى من القرن العشرين .

المنافسة الإنسانية نداء إلى ملائكة روحنا وليس إلى الشياطين

إيكيدا: أقدِّر ملاحظاتك على حركة سوكاجاكاى. وإذا عدنا إلى الوراء، إلى أنشطة المنظمات غير الحكومية، يبدو لى أن فكرة تودا عن تخطى القوميات، أو ما نسميه المواطنة العالمية قد امتلكت قوة ذاتية فى عصرنا. لقد قال دائما، "من الخطأ أن نضحى بأى شعب، مهما كان هذا الشعب، يجب أن ننهض لكى نمحو كلمة "البؤس" من على وجه البسيطة". إن مصدر هذه الفكرة هو مفهوم ماكيجوتشى "المنافسة ذات الطابع الإنسانى"، والتى تقدم نموذجًا مثاليا للسعادة المشتركة والرفاهية فى حياة كل الشعوب.

نشر ماكيجوتشى كتابه جغرافية الحياة البشرية سنة ١٩٠٣ . وقد نادى فى هذا الكتاب بأن الجنس البشرى يجب أن يتخلى عن التنافس العسكرى، والتنافس السياسى، والتنافس الاقتصادى. لقد قال إن الوقت قد حان لكى نتحول نحو التنافس الإنسانى. واستمر يقول "يجب أن يكون واضحًا أن "المنهج الإنسانى" لا يتضمن وسيلة محددة يمكن أن توصف بهذا الوصف. فالحق أن المنهج الإنسانى هو جهد لتخطيط وتنفيذ أى نوع من الاستراتيجيات، سواء كانت سياسية، أو عسكرية، أو اقتصادية، ولكن بطريقة أكثر إنسانية. الشئ المهم هو تحديد هدف تحقيق الرفاهية، وحماية البشر، بما فى ذلك أنفسنا، ولكن ليس بمجرد تعظيم المصلحة الذاتية. إن الهدف هو تحسين مستوى الآخرين، وإفادتهم. إنه جهد واع لخلق حياة جماعة أكثر انسجامًا، وسيتطلب منا ذلك وقتا طويلاً لتحقيقه.

طهرانيان: من المدهش حقًا أن نعرف أن تلك الرؤية الجارية الواضحة بهذا الشكل الرائع لجماعة إنسانية متعاضدة، قد قدمت منذ مائة عام. إنها تتعامل مباشرة مع مهمة عاجلة للغاية أمامنا الآن، وهى مهمة التحول من المواجهة إلى التعاون. طبقًا للرؤية الهوبزية لحالة الطبيعة، فإن العالم تسوده حالة حرب الجميع ضد الجميع، حيث

الحياة "مقفرة، وفقيرة، وسيئة، ووحشية، وقصيرة . وطبقًا لتلك الرؤية الهوبزية فإن الأمن الإنسانى هو مباراة صفرية، كلما زاد أمن دولة قل أمن جميع الدول.

إيكيدا: ما يجب أن تسعى الجماعة الدولية إلى بنائه هو عالم يكون فيه كل إنسان فائزا، وليس عالم يفرز خاسرين. فى أحد مشروعاتى للسلام، تحدثت عن مثال واحد لما نقول، وهو الرؤية والتحدى اللذان قدمهما الرئيس مانديلا رئيس جمهورية جنوب إفريقيا، لشعبه(١٩٥) ، وهو أن يبنى "أمة من مختلف الأطياف"، حيث لا يوجد تمييز على أساس لون البشرة.

طهرانيان: لقد اطلعت على هذا المشروع ووجدته مثيرا للأفكار. إن رؤية مانديلا للأمن الإنسانى تبدأ من منطلق التعاون، وليس المنافسة. إنها ترنو إلى مجتمع ديمقراطى حديث متعدد الأعراق، حيث يصير أمن ورفاهة كل إنسان شرطًا مسبقًا لأمن ورفاهة الجميع. إن هذا المفهوم التعاونى للأمن يفترض مباراة يخرج منها الجميع فائزا. فبدلاً من التشاؤم الهوبزى الأسود، ينطلق مانديلا من افتراض تفاؤلى حول الطبيعة الخيرة الكامنة فى كل إنسان. هذا المفهوم يتعامل مع الملائكة، وليس مع شياطين أرواحنا.

إيكيدا: يبدو أنه يقول إنه لا يمكننا أن نتقدم بدون ثورة روحية تحدث داخل كل منا. فلكى نخلق مجتمعًا من الفائزين نحن فى حاجة إلى ما هو أكثر من الاقتناع العقلى. إن الأمر يتطلب تغيراً جذريا عميقا فى أرواحنا.

لقد تحدث معى البروفسور روتبلات عن قدرة الحرب على تحويل البشر إلى مخلوقات فظة. فبمجرد اندلاع الحرب، يفقد فجأة عدد من العلماء قدرتهم على الحكم

---

(١٩٥) نلسون مانديلا، ولد سنة ١٩١٨، ناشط سياسى ينتمى إلى الأغلبية السوداء فى جمهورية جنوب إفريقيا، ناضل ضد نظام الفصل العنصرى فى إطار المؤتمر الإفريقى القومى، وحُكم عليه بالسجن المؤبد. أفرج عنه سنة ١٩٩٠ وترأس المؤتمر الإفريقى وحصل على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٩٣، ثم أصبح رئيسا لجمهورية جنوب إفريقيا سنة ١٩٩٤، وترك السلطة طوعًا سنة ١٩٩٩ .

الرصين، بعد أن كانوا فيما سبق واضحين ومتمسكين بالتمييز بين الخير والشر. فهؤلاء الذين أدانوا البربرية فى فترة السلام، يجدون أنفسهم يرتكبون أعمالاً بربرية فى وقت الحرب. وأضاف روتبلات : إن هذا هو جنون الحرب.

طهرانيان: مثل هذا الجنون – ليس فقط فى الحرب – تسبب فى مآسٍ عديدة مختلفة الأشكال للجنس البشرى. أتصور كل الآلام، ثم أدرك كيف أن البشر ما زالوا يرتكبون الأخطاء ذاتها مرة تلو المرة. لا أستطيع أن أتخلى عن الشعور أن جوهر المشكلة قد يكمن فى الكارما الإنسانية.

إيكيدا: يحدد المفهوم البوذى "للعوالم العشرة"، عشر حالات محتملة للحياة الكامنة فى حياة كل فرد. فحالة الحياة لشخص منخرط فى الحرب هى فى أدنى الحالات "الجحيم" (والذى يسيطر عليه انعدام القوة)، و"الجوع" (والذى يسيطر عليه الطمع)، و"الحيوانية" (الجهل الأحمق)، و"الغضب" (الأنا الأنانية). وتسمى الحالات الثلاث الأولى "الطرق الشريرة الثلاث"، وتسمى الحالات الأربع معا "الطرق الشريرة الأربع" . وبصفة عامة، فإن هذه الحالة تسودها الغريزة الخالصة والشره، ويصير فيها الفرد محكومًا بالكامل بردود الأفعال تجاه المؤثرات الخارجية. فى هذه الحالة تتسم أفكار وسلوكيات البشر بالغباء، والحمق، والتوحش.

وطبقًا للرؤية البوذية، فإن هذه الحالة متوقعة. قد تستطيع أن تحقق سلامًا شكليًا، تفرضه اعتبارات خارجية. ولكن حتى إذا حققنا هذا السلام، فإنه سيكون سلامًا هشًا وسينهار بمجرد حدوث أى اهتزاز بسيط. قد يكون ذلك أسلوبًا أكثر صعوبة، ولكن الأساس لسلام حقيقى غير قابل للانهيار هو أن نبنى السلام فى قلوب البشر، لكل إنسان. بعبارة أخرى، أن نستثمر السلام الشخصى الكامن فينا .

ما نفعله فى سوكا جاكاى هو محاولة تحفيز هذا النوع من "الثورة الإنسانية" لدى البشر فى كل أنحاء العالم، ومحاولة مساعدتهم على بناء سلامهم الداخلى الخاص

بهم. سيظل لدى دائمًا إيمان بأن الإنسانية يمكنها أن تخلص ذاتها من الصراعات ومن العنف الذى فرضته عليها نوائب الدهر، حينما يتحول التغير الداخلى فى حياة البشر، والذى يتراكم مثل تراكم الموجة فوق الموجة على الشاطئ، إلى لفيف هائل من البشر لديهم حكمة السلام الداخلى.

طهرانيان: لقد أثرتم بكل حكمة قضية السلام الخارجى والداخلى. لقد عبر عن ذلك شاعر فارسى عندما قال: "كيف يستطيع كائن بلا حياة أن يعطى الحياة لكائنات حية أخرى؟ كيف يستطيع شخص لا يمتلك السلام الداخلى أن يحقق السلام للآخرين؟ بالنسبة لى هذه مهمة مستحيلة. إن العالم الخارجى هو عالم شديد التعقيد وملىء بالصراعات، ويزداد اتساما بهاتين الصفتين بمرور الوقت. ولا يستطيع أى منا أن يدعى أنه قادر على تحقيق السلام فى العالم مرة واحدة وإلى الأبد. ولكن كل منا يستطيع أن يقدم مساهمة معينة. أين سنبدأ؟ ليس ثمة مكان أكثر تقبلاً لتأثيرنا من ذواتنا نحن.

يعتبر الصوفيون أن السيطرة على "النفس الأمارة"، هى أكثر المهام صعوبة فى الحياة. تُعلمنا إحدى المقولات الصوفية أن النفس الأمارة هى عدونا الأعظم ذلك أنها تدفعنا باستمرار نحو الغرور، والغضب، والطمع، والكراهية، والعدوان.

إيكيدا: بالتأكيد. إن إحدى النقاط الأساسية فى التعاليم البوذية هى ضرورة تطوير الانضباط الذاتى، وضبط النفس.

طهرانيان: يرى الصوفيون أيضًا أن هناك نفسًا أخرى موجودة فى كل منا، مستعدة لكى تستيقظ بقليل من التدريب، والانضباط، والتعاطف. هذه الذات الإلهية تدفعنا نحو الحب، والتصدق، والسمو، وهى قادرة فى النهاية على إذابة الأنانية فى وعاء أكبر من الاندماج مع الله. وحيثما نظرت، فإن التغلب على الازدواجية، بين الذات والآخرين، هو المفتاح إلى حياة مستنيرة وسلمية. وطالما نظرنا إلى مصالحنا على أنها

متميزة بالمقارنة بمصالح الآخرين، سنظل ننتج الصراع. وفى اللحظة التى نكتشف فيها ذواتنا على أننا جزء من كيان أكبر للوجود، وفى حالة ترابط مع كل أشكال الحياة الأخرى، فإننا سنبدأ فى البحث عن طرق لتسوية الصراعات، والتى هى الجزء الحتمى من وجودنا المادى المنفصل.

إيكيدا: هناك الكثير مما يجمع بين هذه الفكرة، والمفهوم البوذى المسمى "إنجى" (النشوء التابع)، فهى فكرة تقول بصفة أساسية إنه لا شىء ينشأ دون أن تكون له صلة بكل شىء آخر. وهكذا، فسواء فى العالم الإنسانى أو العالم الطبيعى، ليس ثمة ظاهرة واحدة تولد أو تنشأ مستقلة عن أى شئ آخر. كل الأمور متداخلة، ومترابطة، بحيث إنها تشكل معًا الكون العظيم، كما أنها تتغير بصفة دائمة.

أن نحيا، أى أن "نكتشف ذواتنا على أننا جزء من مشروع أكبر للوجود"، وأن ننظر إلى الحياة، والتى هى البعد الأكثر عالمية للوجود، بنظرة الشاعر التأملية. وهذا يعنى أن تتولد لدينا المشاركة الوجدانية مع كل أشكال التنوع اللانهائية. وهذا ما أتعشم أن يحققه كل البشر. إن المشاركة الوجدانية التى تولد من أعماق الحياة، شاملة المساواة والكرامة، هى ما يهيمن على جوهر وجودنا، ينبوع عالم من الانسجام الإنسانى.

طهرانيان: يمكننا أن نتحدث عن العيش المشترك، ولكن التسامح السطحى الذى يكتفى بمجرد العيش مع الآخرين، ليس كافيا.

إيكيدا: نعم. نحن فى حاجة إلى أن نكتشف هذا الذى يتخطى مستوى مفاهيمنا العقلية، وينبع من الشعور بالشمولية صاعدا من أعماق الحياة، ومنشئًا شعوراً بالكونية. المصطلح البوذى إيشو - فونى (وحدة الحياة والبيئة)، أى أن الحركة الأساسية للحياة والبيئة هما حركتان اثنتان، ولكنهما ليستا اثنتين فى الوقت ذاته، فهما دائمًا متوحدتين. فالطريقة التى يعيش بها البشر، وظروف حياتهم، تؤثر على

البيئة. ولهذا، فبدون السلام الداخلى، يصير من الصعب للغاية أن نحقق السلام الخارجى.

ولكن هناك أيضًا بعض المخاطر. ففى هذا العالم المضطرب لن يحقق السلام فى قلوبنا بمفرده سوى نظريات خاوية ومجردة. يجب أن يكمل ذلك السلوك العملى، السعى نحو السلام والتوافق فى عالمنا، ذلك أنه بتطوير استراتيجيات محددة وقابلة للحياة، سيصبح "السلام" حقيقة واقعة مستقرة فى المجتمع. فمن خلال النضال، يصبح من الممكن تثقيف وتهذيب السلام الداخلى لكل البشر، وتحويله إلى شىء لن ينكسر أبدًا. لدى إيمان راسخ أن التناغم الحركى بين السعى من أجل السلام الداخلى والسلوك العملى، ستتولد لديه القوة إن عاجلاً أو آجلاً لكى يحرك عصرًا بأكمله.

طهرانيان: إننى أميل إلى النظر إلى التناغم الذى أشرتم إليه على أنه بين الروحانية الطبيعية والحكمة العملية، وهو أمر يختلف عن الزهد (التخلى عن العالم)، أو الانغماس الكامل فيه. وتعرف المسيحية هذين المفهومين بأنهما الخطيئتان الأساسيتان للكبرياء والشهوانية.

الفصل العاشر

قرن من السلام

إيكيدا: إن بلورة شعور بالمواطنة العالمية وبمهمة النشء ستكون من المهام الأساسية فى القرن المقبل[196] .دعنى أعود إلى الوراء قليلاً وألقى نظرة على القرن العشرين، وهو قرن عشناه جميعًا، ويشكل الخلفية التى ستؤدى إلى المستقبل.

لقد قال أسيا برلين[197] ،المؤرخ والكاتب البريطانى، ما معناه: "لا يمكن مقارنة أى قرن بالقرن العشرين من حيث وحشيته، بسبب المجازر الرهيبة التى ارتكبتها الشعوب بعضها ضد بعض مرات ومرات". وأضاف أن هذا هو "الواقع المؤلم الذى يجب أن نتعايش معه حاليا". تذكرنا كلمات برلين، بأنه من حيث التكرار، والمدى، ومستوى الوحشية، فإن القرن العشرين رفع الدراما البشرية إلى حدها الأقصى بشكل غير مسبوق فى أية فترة تاريخية.

طهرانيان: الأمر الحقيقى المؤكد أن القرن العشرين، كان هو أكثر القرون دموية عبر كل مراحل التاريخ الإنسانى: من الحربين العالميتين الأولى والثانية، إلى هولوكوست هتلر[198]،

---

(١٩٦) المقصود هو القرن الحادى والعشرون، لأن هذا الحوار تم فى أخر القرن العشرين .

(١٩٧) أسيا برلين (١٩٠٩ - ١٩٩٧) فيلسوف سياسى ومؤرخ للأفكار، أصله يهودى من لاتفيا وهاجر إلى بريطانيا وأصبح من أبرز المفكرين الليبراليين العلمانيين فى القرن العشرين، وتعد محاضرته بعنوان "مفهومان للحرية" التى ألقاها سنة ١٩٥٨ من العلامات البارزة فى التنظير لمفهوم الحرية .

(١٩٨) "الهولوكوست" مصطلح يشير إلى الإدعاء بأن النظام الألمانى النازى قد قتل حوالى ٦ ملايين يهودى أوروبى خلال الحرب العالمية الثانية فى جزء من برنامج لإنهاء وجود اليهود. ورغم أن هتلر قد قتل أعدادًا ضخمة من جماعات وشعوب وأمم فإن المصطلح لا يشملهم .

إلى مذابح بول بوت،[١٩٩] وكل الصراعات الدموية فى حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية فى كوريا، وفيتنام، والخليج الفارسى[٢٠٠]، وغيرها من الصراعات التى لم يسلم منها أى مكان، وتسببت فى قتل وتدمير ملايين البشر. أكثر من ١٧٠ مليون نسمة قتلتهم الحكومات من خلال أعمال رسمية لإبادة الجنس مثل الهولوكوست.

ومنذ سنة ١٩٩٠ تم شن حوالى ٢٥٠ حرباً دولية وأهلية قتل فيها أكثر من ١٠٠ مليون جندى، وحوالى ١٠٠ مليون مدنى. إذا اقتصرنا على الخسائر العسكرية، فإننا نجد أن نسبة تلك الخسائر فى القرن الثامن عشر كانت ٥٠ نسمة لكل مليون نسمة فى السنة الواحدة، ولكن النسبة زادت فى القرن التاسع عشر إلى ٦٠ نسمة لكل مليون نسمة، وفى القرن العشرين إلى أكثر من ٤٦٠ نسمة لكل مليون نسمة.

هل نستطيع أن نحول القرن الحادى والعشرين إلى قرن من الحياة السلمية؟ وبما أننا نستمر فى تحقيق "تقدم" فى معدل الضرب أو القتل بالسلاح، ربما يصير القرن الجديد أكثر دموية. فهناك العديد من المشكلات العالقة مازالت لم تحل، مما يعطل تحقيق السلام العالمى.

إيكيدا: يبدو أن المواجهة غير المثمرة بين الأيديولوجيات قد تراجعت أخيراً، ولكن تستمر القوى الانقسامية فى الهياج صعوداً إلى السطح فى شكل انفجارات درامية على اتساع العالم بأسره. وبمجرد أن أعطيت فكرة الاثنية وجوداً مستقلاً ومنفصلاً عن الواقع، أصبحت غير قابلة للنقاش، وصارت هى المبرر للدمار الذى لحق بيوجوسلافيا السابقة، وبأفريقيا، وأشهر حوادثها ما جرى فى رواندا، وغيرها. إن "الواقع المؤلم" الذى أشار إليه آسيا برلين منذ ثلاثين عاماً، ليس بالقطع شيئاً من الماضى.

---

(١٩٩) مذابح بول بوت، يقصد بها السياسة التى اتبعها بول بوت رئيس وزراء كمبوديا بين عامى ١٩٧٦ و١٩٧٩ ، لبناء نظام المزارع الجماعية عن طريق العمل الإجبارى، مما أدى إلى هلاك حوالى مليون نسمة، بالإضافة إلى قتل المثقفين وكبار الملاك. هرب إلى الغابات سنة ١٩٧٩ بعد غزو فيتنام الشمالية لكمبوديا .

(٢٠٠) المقصود بذلك الحرب الكورية (١٩٥٠ – ١٩٥٣)، والحرب الفيتنامية (١٩٦٥ – ١٩٧٤)، والحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ – ١٩٨٨)، وحرب الغزو العراقى للكويت (١٩٩٠ – ١٩٩١) .

طهرانيان: هذا صحيح. فإذا أضفنا العنف البنيوى [٢٠١] ، والذى يستمر بشكل مستتر فى شكل الموت البطىء للملايين من أثر الجوع، وسوء التغذية، والأمراض الوبائية، أو التشرد - إذا أضفنا ذلك كله، يصير القرن العشرون حقا قرن الموت المخطط. وبعكس القرون الأخرى، فإن القتل فى القرن العشرين لملايين البشر كان مخططًا بعناية من خلال أحدث الأدوات العلمية تقدمًا وأسلحة الدمار الشامل.

ورغم هذا القتل الجماعى فإن القرن العشرين كان أيضًا قرن الإنجازات الرائعة فى العلم والتكنولوجيا ، والتى فاقت التقدم الإنسانى فى مجالى التفاهم العقلى والروحى. وكما برهنت الحربان الأخيرتان فى الخليج الفارسى (١٩٨٠ - ١٩٨٨)، (١٩٩٠- ١٩٩١)، فقد قمنا بتحسين مستوى تكنولوجيا وهندسة الموت بشكل يفوق بكثير تصورنا الأخلاقى.

إيكيدا: لن تتغير توجهات تلك المرحلة إلا إذا حدث تغير جذرى فى القيم. أعتقد أن الخطوة الأولى ينبغى أن تبدأ بدراسة واضحة المعالم لأصول المآسى التى حدثت حتى نستطيع أن نتعلم شيئًا منها.

طهرانيان: فى هذا الصدد، يمكن أن نحدد ثلاثة أنواع من التعلم الثقافى: التراكمى، والتجديدى، والتحويلى. أما التعليم التراكمى، فهو يتمثل فى التعلم العلمى والتكنولوجى حيث تتراكم المعرفة وتتسارع. أما التعلم التجديدى، فهو المعرفة الروحية التى تنتقل من جيل إلى آخر، ولا يمكن تعلمها إلا من خلال آلام ومعاناة كل جيل جديد. ولهذا، فإن الحروب تتكرر، ويرتكب كل جيل ذات الأخطاء التى ارتكبتها الأجيال السابقة.

إيكيدا: إذن أنت تقول إن التعلم التجديدى لا يمكن أن يكون تراكميا. ومن ثم، فإن على كل جيل أن يمر بآلامه ومعاناته، ومن خلال ذلك يكتشف القيم الأساسية

---

(٢٠١) العنف البنيوى هو مصطلح نحته المفكر السويدى جالتونج فى السبعينيات، ويشير إلى نوع من العنف الناشئ عن قيام بناء أو مؤسسة اجتماعية معينة بقتل البشر ببطء، من خلال منعهم من الحصول على حاجاتهم الأساسية، ومن أمثلتها الاستغلال الاجتماعى والدكتاتورية .

لثقافته ومجتمعه. وبالتالى، فإنه يقوم بتكييف وتعديل تلك القيم لكى تتلاءم مع العصر الذى يعيشه، والبيئة التى تحيط به. أهذا ما تقصده؟

طهرانيان: نعم، هذا صحيح. وبالعكس، فإن التعلم التحويلى هو نوع من المعرفة الأخلاقية والروحية التى تنشأ ببطء من خلال الإلهام الذى يقدمه القادة الروحيون العظام الذين يقفزون خطوات عملاقة إلى الأمام من خلال صهر المعرفة الجماعية لكل الأجيال السابقة. مثل هذه الإنجازات المعنوية العظيمة هى المرادف للإنجازات التكنولوجية الكبرى فى التاريخ، ذلك أنها تتدفق فى شرايين المجتمع لقرون قادمة حتى تتأسس بشكل نهائى. هذه هى تعاليم سادتنا العظام من زرادشت إلى بوذا(٢٠٢) وكونفوشيوس(٢٠٣) ولاوتزى(٢٠٤) والأنبياء إبراهيم، وموسى وعيسى ومحمد ونيتشيرين، وغاندى.

أزمة بنى البشر والروح الإنسانية عصر محورى

إيكيدا: من الأهمية بمكان أن عدداً كبيراً من القادة العظام ظهروا فى الفترة الممتدة من القرن الثامن قبل الميلاد، وحتى القرن الثانى قبل الميلاد. لقد مثلت تلك الفترة "عصراً محورياً"، على نحو ما أسماها كارل ياسبرز (٢٠٥) . وكما أشرتم، فقد

---

(٢٠٢) زرادشت، سبق أن عرفنا الزرادشتية، أما زرادشت فهو نبى إيرانى قديم، وشاعر دينى، عاش فى حوالى القرنين العاشر والحادى عشر. وقد ألف "الجاثا" التى تعتبر الكتاب الأساس للزرادشتية .

(٢٠٣) كونفوشيوس، سبق أن عرفنا الكونفوشية، أما كونفوشيوس فهو فيلسوف ومعلم صينى (٥٥١- ٤٧٩ ق.م) ولد فى ليو (مقاطعة شاندونج بالصين). جمع تلاميذه تعاليمه فى كتاب يسمى "مناقشات حول أقوال كونفوشيوس أو "أناليكتس" Analects .

(٢٠٤) لاوتزى، فيلسوف صينى قديم، عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد. وهو من أهم مؤسسى الديانة التاوية من خلال تأليفه لأهم كتاب فى تلك الديانة تاويشنج، وله تمثال عظيم فى مدينة جوانجو بالصين .

(٢٠٥) كارل ياسبرز (١٨٨٣ - ١٩٦٩) عالم نفس وفيلسوف ألمانى، كان له تأثير كبير على علم النفس العلاجى، وبلورة الفلسفة الوجودية، وتركيزه على فكرة الحرية الفردية .

شهد هذا العصر ميلاد شاكيامونى وتأسس "فلسفة الآبانيشاد"،[٢٠٦] فى الهند، وظهور كونفوشيوس ولاوتزى، وغيرهم من المفكرين العظام فى الصين. وفى فارس قدم زرادشت مبدأ الصراع بين الخير والشر، بينما ظهر فى فلسطين إلياس[٢٠٧]، وأشعياء[٢٠٨]، وأشعياء الثانى[٢٠٩] وغيرهم من الأنبياء العبريين العظام.

طهرانيان: لقد كان هذا العصر هو العصر الذهبى لإنجازات رائعة فى اليونان – هوميروس وملحمتيه الشعريتين الخالدتين[٢١٠]، وهرقليطس[٢١١]، وسقراط، وأفلاطون،

---

(٢٠٦) "فلسفة الآبانيشاد"، جزء من فلسفة فيدا الهندية، وهى توجد فى سلسلة كتب هندوسية، تركز على التأمل الروحى، والبراهما والروح الذاتية، وظهرت فى القرن السابع قبل الميلاد .

(٢٠٧) الياس (أو إيليا أو إلياهو) وهو أحد أنبياء بنى إسرائيل، ظهر فى القرن التاسع قبل الميلاد، ويقال إنه كان يحيى الموتى، وإنه صعد إلى السماء على بساط الريح. ويرى بعض اليهود أنه سيعود إلى الأرض قبل عودة عيسى المسيح، ويرجع نسبه إلى إبراهيم عليه السلام، ويشير إليه القرآن الكريم على أنه أحد رسل بنى إسرائيل، قال تعالى ﴿ إِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾. ويضيف: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصافات الآيتان ١٢٣ ، ١٢٤) ويشير القرآن إلى أنه دعا قومه إلى نبذ عبادة الأصنام ولكنهم لم يسمعوا إليه .

(٢٠٨) أشعياء، نبى من أنبياء بنى إسرائيل، ظهر فى القرن الثامن قبل الميلاد، ومشهور بكتاب أشعياء الذى ألفه بنفسه، وهو يتألف من ٦٦ فصلاً تحكى نبوءات عن الأمم الأخرى، ورسالته هى أن الله هو رب الكون كله، وأن الأمم التى تظن أنها آمنة بفضل قوتها قد تنهزم أمام قوة أخرى. ويروى أنه مات مقتولا وقطع جثمانه إلى نصفين .

(٢٠٩) أشعياء الثانى، يقصد به النبى إليسع (إليشع)، وكان قد آمن بإلياس، وصاحبه مدة حياته فى الأرض، ثم خلفه من بعده فى بنى إسرائيل، وقد ثبتت نبوته فى القرآن: ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام / ٨٦) .

(٢١٠) هوميروس، شاعر إغريقى، ألف الملحمتين الإلياذة والأوديسا، وقام بتخليد حرب طروادة، التى وقعت حوالى سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد، بشكل شعرى دقيق. أنجز ملحمة شعرية أخرى تروى مغامرات أوديسيوس وهو عائد لوطنه بعد سقوط طروادة فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، واتسمت الإلياذة ببلاغتها ودقتها اللغوية وتشبيهاتها الرائعة .

(٢١١) هرقليطس (٥٣٥ – ٤٧٥ ق. م) فيلسوف يونانى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد، وجاء بمفهوم للتطور يقوم على أساس الجدل (الديالكتيك)، إذ أكد أن الكون ليس على صورة واحدة، ذاته متغيرة بصفة دائمة، وأن هذا التحول هو حقيقة الكون الدائمة، وأن "المنطق" هو البنية الأساسية لكل الأشياء .

وأرسطو، وغيرهم من الفلاسفة العظام. وأرشميدس[٢١٢] ، والكثير غيرهم الذين غيروا عالم العلم، والرياضيات، والعمارة.

إيكيدا: فى كتابه "أصل وهدف التاريخ" الصادر سنة ١٩٤٩، قال كارل ياسبرز، "حتى الآن عاشت البشرية استنادًا إلى ما حدث فى "العصر المحورى"[٢١٣]، وبما تم التفكير فيه وخلفه ذلك العصر، "لابد أن يكون هناك سبب ما لظهور العديد من العمالقة الروحيين فى ذلك العصر. لماذا انتشر تأثير العديد من المفكرين العظام الذين عاشوا فى ذلك العصر، فى العالم بأسره، وذلك فى قرون قليلة؟ يقول ياسبرز إنهم ظهروا فى وقت كان البشر فيه يبحثون عن إيجاد وعى بهويتهم ككل، وبحدود الوجود.

ومن رحم التحول الروحى الذى صاحب اضطرابات ذلك الزمان، ولدت الأفكار والديانات التى ترددت أصداؤها فى العصور التالية[٢١٤] .

ولكن تأثير هذا "العصر المحورى" الأول يتضاءل الآن، وينزلق عصرنا بشكل سريع نحو الفوضى غير المرشدة. لقد أصبحت على قناعة بأنه على بنى البشر أن يصوغوا بداية جديدة كاملة. لقد حان الوقت لتحول روحى عميق، وهو ما سيحدث إذا ما حاولنا أن نقيم أساسًا متينًا نبنى عليه مجتمعًا عالميا للتعايش الإنسانى.

طهرانيان: حقا، تلك هى واحدة من المهام الملحة لدينا الآن.

---

(٢١٢) أرشميدس (٢٨٧ - ٢١٢ ق. م) عالم رياضيات إغريقى قديم، ركز جهده على معرفة القوانين الميكانيكية التى تتحكم فى كل الآلات، وتوصل إلى معرفة وتسجيل قوانين الروافع، وتعتبر نظريته عن الروافع من أهم نظريات الفيزياء النظرية. توصل إلى قانون الوزن النوعى المعروف بقاعدة أرشميدس، وتقول إن كل جسم يغمس فى الماء يفقد من وزنه ما يعادل ثقل الماء الذى يزيحه حجمه .

(٢١٣) العصر المحورى، هو مصطلح صاغه الفيلسوف الألمانى كارل ياسبرز ليشير إلى الفترة الممتدة من سنة ٨٠٠ ق. م حتى سنة ٢٠٠ ق. م ، والتى ظهرت فيها الديانات والفلسفات الروحية فى الصين، والهند والشرق، وبلاد الإغريق، والتى مازالت تؤثر على العالم حتى الآن، ومنها ظهور الفلسفة الأفلاطونية والبوذية، والكونفوشية، والزرادشتية، وغيرها .

(٢١٤) تعنى مقولة ياسبرز أن الدين من صنع البشر. وربما كان ذلك صحيحًا بالنسبة للديانات غير السماوية كالبوذية، والهندوسية، ولكن المؤمنين بالإسلام، والمسيحية، واليهودية، لا يشاركون ياسبرز مقولته .

إيكيدا: أعتقد أن الرؤى الثاقبة التى قدمتها الدكتورة سيسلابوك(٢١٥) من جامعة برانديز، تفيد فى الإجابة على السؤال المتعلق بكيفية التوصل إلى بداية جديدة. فهى تقول إن كل البشر يمكنهم أن يتشاركوا فى القيم ذاتها. وتقول كلماتها ما معناه، "لا حاجة بنا إلى البحث عن قيم جديدة، والأكثر أهمية هو أن نعيد فحص القيم الموجودة بالفعل بشكل نقدى". وتستمر لتقول : "وأستطيع أن أؤكد بشكل قاطع أن القيم ليست فائدة بذاتها إلا إذا طبقناها فى الحياة العملية". أعتقد أن الأمر يستحق أن نفحص الأيديولوجيات والفلسفات، انطلاقًا من معيارى عالميتها، وواقعيتها، وهما المعياران اللذان تعتبرهما بوك أكثر أهمية.

طهرانيان: الأمر يستحق حقا، كما أنه مثير لتحديات. وقبل أن أعقب، دعنى أحدد أولا سياق موقفى من خلال عرض التيارات الفلسفية الراهنة. فمن جانب يرى الحداثيون، أو ذوو النزعة الإنسانية العلمانية، أنه لتحقيق التقدم فإن مبادئ العلم الحديث والتكنولوجيا تقدم أساسًا كافيًا لبناء قيم أخلاقية عالمية حول حقوق الإنسان والمشاركة الديمقراطية. وانطلاقًا من وجهة النظر تلك، فإن الرؤى الدينية العالمية ليست ذات أهمية، وعلى أسوأ الظروف، هى عائق أمام التقدم الإنسانى. وعلى النقيض من ذلك، لدينا ما بعد الحداثيين، وهم يرفضون الاعتراف بصدقية أية رؤى كلية، سواء دينية أو علمانية. فمن وجهة نظرهم، فإن كل الرؤى الكلية، والفلسفات الغائية للتاريخ هى مشروعات محتملة أو فعلية للهيمنة، تهدف بشكل واع أو غير واع إلى السيطرة والاستغلال.

إيكيدا: يبدو لى أن ما بعد الحداثيين يشملون العديد من المتشككين الذين يسعون إلى كشف أسرار أو الكشف عن الأوهام التى تكمن فى الديانات والأيديولوجيات التقليدية.

---

(٢١٥) سيسلابوك، فيلسوفة سويدية، ولدت سنة ١٩٣٤، ابنة حاصلين على جائزة نوبل وهما جونار ميردال سنة ١٩٧٤، وألفا ميردال سنة ١٩٨٢ . لها العديد من المؤلفات الفلسفية مثل "القيم المشتركة" الصادر سنة ٢٠٠٢ .

طهرانيان: نعم. إن ما بعد الحداثيين هم متشككون جذريون منخرطون فى استراتيجية التفكيك وكشف أوجه التلفيق فى الادعاءات الأيديولوجية للمتدينين والعلمانيين على حد سواء. ومن ناحية ثالثة، لدينا مزيج مركب من الرؤى العالمية الدينية والعلمانية التى تحاول أن تؤقلم تقاليدها لكى تطور فلسفة أخلاقية تتماشى مع التعقيدات المتزايدة فى عالمنا. ومن هؤلاء نجد الأصوليين، بالإضافة إلى الروحانيين، والشموليين، والليبراليين، والمثاليين، والبراجماتيين.

إننى أعتبر نفسى – شأنى فى ذلك شأن غاندى – باحثًا يجب أن يجرب الحقيقة، دون أن يدعى أنه قد وجدها. أعتقد أنه فى اللحظة التى تزعم فيها أنك قد وجدت الحقيقة، تكون قد فقدتها، لأن هذا الزعم يجعلك تتوقف عن البحث عن المعرفة والحكمة، وهو الأمر الذى يتطلب منك أن تتفاوض مع أناس آخرين من أجل البحث المشترك عن الحقيقة. فى تقديرى، أن مثل هذا الزعم يعادل رفض الحوار. ومن ثم، فإن الحقيقة بالنسبة لى هى البحث عن الحقيقة من خلال الحوار.

إيكيدا: أستطيع أن أتفهم ذلك تمامًا. فقد اعتقد غاندى أن الحقيقة هى الله، وليس أن الله هو الحقيقة، ورفض أى شكل من أشكال الطائفية. وفى سياق الحديث عن الحقيقة قال "لقد كرست نفسى لا لشىء إلا للحقيقة، ولا أدين بالخضوع لأى كائن سوى الحقيقة". كما قال، "إن إيمانى الثابت هو أننا نستطيع أن نهزم العالم بأسره من خلال الحقيقة والحب".

كذلك تحدث غاندى عن الحقيقة باعتبارها "هذا الذى تعتقده حقيقيا فى تلك اللحظة،" "والكامن فى كل قلب إنسانى"، ومعرفة "الذات، ومصير الإنسان". لقد كان منهجه للبحث عن الحقيقية، منهجًا عمليا للغاية رغم أنه كان منهجا باطنيا بعمق. ولهذا يمكنه أن يقول، "ما هو ممكن لإنسان واحد، ممكن أيضًا لكل إنسان آخر".

طهرانيان: أوافق. ففى قلب فلسفة اللاعنف الغاندية (آهميسا) وحركة الساتياجراها[٢١٦] ، كان اعتقاده بأن الطبيعة البشرية بالأساس هى طبيعة خيرة، واعتقاده فى الحوار الذى يتماشى مع تلك الطبيعة. لذلك، فإنه لم يميز ضد أعدائه، ولكنه عاملهم كبشر. لقد طلب من أصدقائه وأعدائه أن يسيروا على الدرب ذاته، وأن يتأملوا أنفسهم لكى يكتشفوا الطريق الصحيح.

لم يستطع كثير من المستعمرين البريطانيين أن يقاوموا الشعور العميق بالإعجاب بشجاعة وتواضع هذا الرجل الواهن، والفولاذى فى آن واحد. لقد لاحظ فى إحدى المرات أن حذاء قائد القوات البريطانية فى الهند، والذى وضعه فى السجن، كانت به ثقوب. فقام غاندى وهو فى السجن بصنع زوجين من الأحذية للجنرال البريطانى وأرسلهما له هدية مع خالص تحياته. وقد عرض الجنرال هذا الزوج من الأحذية فى مكتبه بفخر طوال حياته، باعتباره رمزا للصداقة بين الهند وبريطانيا. هذه هى الروح الدينية والإنسانية التى نحتاج أن نروج لها اليوم فى العالم بأسره.

إيكيدا: لم تكن رؤية غاندى للدين - كما أفهمه - مسألة متعلقة بالطوائف، ولكنها مرتبطة بالإيمان فى النسق الأخلاقى الذى يحكم الكون. إن الدين يستطيع أن يغيرنا كأفراد من خلال ربطنا بالحقيقة الكامنة فينا، وبالتالى يستطيع أن يطهرنا. ويقول غاندى إن هذا الجانب من البشرية هو جانب خالد، ما يحتاجه مجتمعنا اليوم هو هذا النوع المنفتح والمتسامح من الروحانية والتدين.

---

(٢١٦) الساتياجراها، هى فلسفة وحركة المقاومة غير العنيفة التى طورها غاندى، وطبقها فى سعيه لمقاومة الاحتلال البريطانى للهند، وهو الذى صاغ هذا المفهوم. وتختلف الساتياجراها عن المقاومة السلبية على أساس أن الأولى هى سلاح القوى، كما أنها ترفض استعمال العنف تحت أى ظرف، وتنهض على الحقيقة كما قال غاندى .

طهرانيان: كما اقترحتم، فإننى أرى أيضًا أن الأسس الدينية العالمية لعقيدة غاندى قد أعطت تلك العقيدة صلاحية دائمة بصرف النظر عن الزمان والمكان، ولهذا تم تبنى فلسفة اللاعنف وأساليبها فى أماكن ومواقف مختلفة خلال هذا القرن(٢١٧). فى حركة الحقوق المدنية الأمريكية، وفى نضال جنوب أفريقيا ضد الفصل العنصرى، وفى ثورة شعوب شرقى أوروبا ضد الدكتاتوريات الشيوعية، وحتى فى فلسطين وأيرلندا(٢١٨)، فى كل هذه الأماكن تم تجريب أساليب اللاعنف وحققت نجاحًا كليًا أو جزئيًا، وبالطبع كان المفتاح الحقيقى لهذا النجاح، هو نظرة معينة للدين ليس باعتباره طريقًا للإنقاذ الشخصى فقط، ولكن أيضًا باعتباره سلوكًا اجتماعيًا يهدف إلى تحقيق السلام والعدالة.

إيكيدا: ما تقوله إذن هو أن غاندى لم ير الدين فقط على أنه مجرد قوة تؤثر على حياتنا الداخلية الشخصية. إن ديانة غاندى تتعمق بشكل أكبر فى حياة المجتمع، حاكمة بذلك الطريقة التى يدير بها الناس شئونهم فى الحياة. ويذكرنى هذا الأسلوب فى التفكير بفكرة ماهايانا التى تقول إن الدين هو مصدر كل الأنشطة الإنسانية.

طهرانيان: بالطبع فإن المفهوم الأدائى، هو تلك الرابطة بين الدين والعمل، وأعنى به مفهوم اللاعنف. ففى الهندوسية والبوذية، تعد أهيمسا - أى مبدأ عدم الإضرار بالكائنات الحية - مقولة محورية. وتبدأ سور القرآن الكريم بكلمات ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. وقد فسر البعض الجهاد فى الإسلام على أنه يعنى "الحرب المقدسة"، ولكن التحليل المتأنى للمفهوم، وتطبيقات الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، يظهر أن الاحتكام إلى السلاح مسموح به فى الإسلام للدفاع عن النفس فقط. ويسمى ذلك الجهاد الخارجى. أما الجهاد الداخلى، فإنه أصعب بكثير وأكثر تحديًا للذات، ذلك أنه يعنى تطهير الروح من الشوائب - الطمع، والعدوان، والشر. ويسمى ذلك لدى الصوفيين الجهاد الأكبر.

---

(٢١٧) المقصود هنا هو القرن العشرين .

(٢١٨) يقصد طهرانيان الانتفاضة الفلسطينية الأولى ضد الاحتلال الإسرائيلى التى اندلعت سنة ١٩٨٧، ومقاومة الأيرلنديين للسيطرة البريطانية على شمالى أيرلندا .

إيكيدا: وكما أشرتم تؤكد التعاليم المسيحية كذلك على اللاعنف، ألم يقل المسيح "إن من يعش بالسيف يُقتل بالسيف"؟

طهرانيان: نعم، كانت هذه نصيحة المسيح لحوارييه، ولذلك تدين كل الديانات الكبرى العنف، وتحبذ الحب، والتعاطف، والصدقات. كذلك، ففى كل التقاليد الدينية العظيمة، يمكن أن نجد عصوراً وظروفًا تم فيها تبرير التعصب والعنف على أسس دينية وبالتالى فإننا فى مواجهة معضلة التناقض بين المبادئ النبيلة، والممارسات التى لا تتصف تمامًا بالنبل، ولهذا السبب، فإن الإنسانية العلمانية الحديثة بمختلف أشكالها (الماركسية، والوجودية،[٢١٩] وما بعد الحداثة[٢٢٠])، حاولت أن تعيد إلى الحريات الفردية ما تصورت أن التقاليد الدينية قد سلبته. وبينما أحلت الماركسية الحتمية التاريخية محل الحتمية الدينية، فإن الوجودية وما بعد الحداثة دافعتا بقوة عن الحرية الإنسانية.

إيكيدا: لقد تحدث جان بول سارتر[٢٢١]، والذى أماطت فلسفته الوجودية اللثام عن تأثير كيركجارد[٢٢٢] ، عن الحرية الإنسانية بشكل أصبح جزءًا من خطاب كل إنسان.

---

(٢١٩) الوجودية هى حركة فلسفية تؤكد أن الكائنات البشرية الفردية تخلق معنى وجوهر حياتها. وأنه فى غيبة القوة الإلهية فإن الفرد حر تمامًا ومسئول عن أفعاله وأن الوجود يسبق الماهية، أى أن وجود الإنسان يسبق، كما أنه أكثر محورية من أى معنى يمكن إعطاؤه للحياة. فالبشر هم الذين يحددون ماهيتهم. وقد ظهرت تلك الحركة فى القرن العشرين رغم أن لها جذوراً تعود إلى ما قبل هذا القرن، وذلك فى أفكار فلاسفة مثل كيركجارد ودستويفسكى. ومن أهم من دافع عنها فى القرن العشرين جان بول سارتر، وألبيرت كامى، وسيمون دى بوفوار .

(٢٢٠) ما بعد الحداثة، حركة فكرية ظهرت فى مختلف العلوم، ترفض المقولة الحداثية التى تؤكد على وجود منهج واحد للمعرفة (المنهج العلمى)، وتؤكد على تعدد الثقافات والمناهج وأساليب الوصول إلى المعرفة، بل إنها ترفض اعتبار أن العقل هو وحده الحكم فى الاختيار بين البدائل .

(٢٢١) جان بول سارتر (١٩٠٥ - ١٩٨٠) فيلسوف وكاتب روائى فرنسى ، اشتهر بدفاعه عن الفلسفة الوجودية .

(٢٢٢) سورين كيركجارد (١٨١٣ - ١٨٥٥) فيلسوف دانمركى، اشتهر بنقده للكنيسة الدانمركية ودفاعه عن الأفكار التى عدت وجودية فيما بعد، مثل الشك فى وجود الله جزء من الاعتقاد فى وجوده، والتأكيد على الفرد وحرياته .

طهرانيان: فى أحد أهم أقوال سارتر الخالدة، فإن البشر "محكوم عليهم بالحرية". واستنادًا إلى خبرة الحرب العالمية الثانية، كتب فى الفترة الكئيبة التى تلت الحرب، متصورًا عالمًا بدون معنى ينبغى أن يعيش فيه الفرد حياة الوحدة، ولكن بشكل حر ومسئول. وفى عالم "تتوفى فيه الآلهة، كما قال نيتشه[٢٢٣]، يواجه الأفراد المسئولية الرهيبة للاختيار ليس فقط لأنفسهم ولكن أيضًا لكل الآخرين.

وكما أشار سارتر، ينبغى أن نزن كل اختيار فى ضوء تداعياته الأخلاقية والعملية، مفترضين دائمًا النتائج التى تترتب على اتباع الجميع لاختيارنا هذا.

إيكيدا: وهذا يعطى للناس سببًا وجيهًا لإعطاء الاحترام الواجب للآخرين.

طهرانيان: نعم. فإذا ما عرفنا النزعة الإنسانية بهذا الشكل، فإنها لا تتناقض بالضرورة مع التقاليد الدينية الإنسانية. وكما برهن سورين كيركجارد، وبول تيلك، يمكننا أن نصير إنسانيين دينيين أفضل من أن نكون إنسانيين علمانيين أو وجوديين. وعلى حد فهمى لأفكارهم، فإن هذا هو المعنى المحورى لسوكا، أو ماهايانا، وللتقاليد الصوفية، فبدلاً من اتخاذ القرارات على أساس دوجما دينية جامدة، أو كلمة عليا لقائد روحى معين، فإنه مطلوب من كل مؤمن أن يتخذ قرارات أخلاقية واعية بناء على تقديره هو، مع تحمل تبعات القرار. وبالتالى، فإنه من المفترض أن يتوفر لكل فرد احتمالية أن يرقى فوق مستوى مصالحه الذاتية الضيقة لكى يصل إلى الخير العالمى.

إيكيدا: وكما قلتم، فإن الروح الأساسية للبوذية هى أن تعمل على أساس القانون، وليس على أساس املاءات البشر. ذلك أن القانون ينطوى على القواعد الخالدة والثابتة التى تنظم الكون، وعلى الانضباط الذاتى الذى ينبع من الحياة الإنسانية. ولهذا، فإنه ليس ثمة تناقض بين العلم والأخلاق. ولكن الأحرى، هو أن القانون يصير هو القوة التى تحرك النشاط والنمو بين البشر، فى خلال الحياة التى نحياها، ومنه إلى المجتمع.

---

(٢٢٣) فردريك نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠) فيلسوف ألمانى، أسهم فى تأسيس الفلسفة الوجودية، وحركة ما بعد الحداثة .

طهرانيان: تؤكد فكرة الطريقة أيضًا، والتى هى فكرة محورية فى الصوفية، على روح القانون. فتؤكد الصوفية على الحياة الداخلية للروح، والالتزام الإنسانى بالخدمة الاجتماعية والخبرة، وليس اتباع الدوجما البحتة، والبحث عن حياة نحياها على أساس الطريقة بشكل يسمو على التمسك بشكليات الواجب الدينى.

إيكيدا: إن الممارسة العملية هى الشىء المهم. كيف يستطيع الفرد أن يعبر عن الحقائق الروحية بالطريقة التى يعيشها. الطريقة تعنى أن تعيش طبقًا للقانون متبعًا خطى الحقيقة والعقل. يجب أن تقرر أن تعيش مستقلاً، مستندًا إلى قوة الدافع الداخلى لا أن تكون محكومًا بقواعد أو ضغوط خارجية. إن مثل تلك الحياة تتطلب انضباطًا ذاتيًا هائلاً، ولكن الطريقة الوحيدة التى تستطيع بها الديانات أن تكافح ضد التأثيرات الشريرة للتعصب، واستبعاد الغير، والتسلطية، والدوجماتية الجامدة، وغيرها – لابد أن تكون من خلال جهود المؤمنين لتنمية مثل هذا الانضباط الذاتى والممارسة فى حياتهم. إننى مقتنع أيضًا أن هذه هى طريقة ما اسميتموه معضلة "المبدأ النبيل، والممارسين الذين ليسوا على مستوى هذا النبل".

لقد أمضى تسونيسابورو ماكيجوتشى، أول رئيس لحركة سوكا جاكاى، حياته مكافحًا ضد التسلطية، والرؤى الدينية الجائرة، ومحاولاً أن يعيد الدين إلى البشر. وقد ظل متمسكًا بعقائده تلك حتى وفاته فى السجن، مقاتلاً ضد القوى التى سعت دون حياء إلى توظيف البشر باسم الدين، ونحن خلفاؤه وقد ورثنا هذه الروح، ومازالت هذه الروح تلهمنا فى أن نستمر فى الكفاح.

طهرانيان: دائمًا ما وجدت أن نضالات الرؤساء السابقين لحركة سوكا جاكاى، مصدرا لإلهام عظيم. لقد كان الإنجاز المهم هو تغيير الأولويات من "البشر فى خدمة الدين"، نحو "الدين من أجل البشر".

إيكيدا: وهذا ما يثير القضية المحورية فى هذا الموضوع، والتى هى كيف يستطيع الفرد أن يبرز المقدرات الكامنة والتى هى مرتبطة بالحياة الإنسانية، ويسمو "فوق

مصالحه الذاتية الضيقة لكى يصل إلى الخير العالمى"، هذا إذا استعملنا عبارتك. تتضمن إحدى الشروحات البوذية، عبارة جميلة تقول : "عندما تنحنى أمام المرآة، فإن الصورة فى المرآة تنحنى تجاهك". (جوشو، ص ٧٦٩). إن هذه العبارة تحدثنا أنك حينما تحترم حياة شخص آخر، فإنك ستتذكر نبل حياتك، تماماً كحالة الصورة فى المرآة.

بعبارة أخرى، تستطيع أن تحول حياة متمركزة حول الذات من خلال "الاحترام الدائم للآخرين، باعتبارهم غير منفصلين عنك" (جيتا فونى نو رايهاى). ويعنى ذلك أن تنظر إلى الحياة بأسرها، وأن تعتبرها ليست كجزء منفصل عن ذاتيتك، ولكن كشىء يتضمنك، وكل الكائنات الأخرى فى شكل وجود مشترك. ويقول الشرح ذاته، "إن البهجة هى عندما تشاطر السعادة مع الآخرين "(جوشو، ص ٧٦١). إذا مارس كل إنسان هذه التعاليم، سيبدأ شعور جديد بالقيم فى الانتشار فى أنحاء المجتمع، وستكبح تلك القيم البشر عن محاولة بناء سعادتهم أولا وعلى حساب سعادة الآخرين.

ويبدو أن الضيق الذى نعانيه فى العالم المعاصر، نابع من افتقادنا للشعور بما يربط البشر ببعضهم. إن الأنانية المتمحورة حول الذات، وبكل أشكاله العديدة والمتنوعة، هى بمثابة شكل من أشكال الطاقة الإنشطارية التى تسبب المواجهات والنزاعات والتى نستطيع أن نراها تندلع فى كل أنحاء العام.

التغلب على الصراع العرقى

إيكيدا: من أكبر المشكلات التى ورثها القرن الجديد من القرن القديم هى ذلك الخلاف الحاد بشكل متزايد والناشئ حول مفهوم البشر لماهية الجماعات العرقية. فبعد حقبة طويلة من الحكم الاستعمارى، وغيره من أشكال السيطرة، والتى أثمرت معاناة وتضحيات مضاعفة - بدأت فكرة النسبية الثقافية تتجذر بشكل نهائى باعتبارها شكلاً من أشكال المساواة.

المشكلة هى أن مصطلح النسبية الثقافية يبدو على أنه مصطلح محايد، إلا أن تلك النسبية، بسبب كونها بمثابة تأكيد للذات وإثارة للوعى به، يمكن أن تصير مصدراً لعدم الاستقرار الدائم لمجموعة عرقية من خلال إضعاف الدافع لبذل جهود إيجابية نحو بناء مجتمعات مستقرة وصحية. إن المصطلح يتضمن بالفعل خطر تشجيع البشر على التحيز للقومية، والمركزية العرقية فى أية لحظة، مما يمكن أن يؤدى إلى التمزق الاجتماعى، والاضطهاد الصريح. فالحق إنها لمأساة، أن يصبح جارك اليوم، هو عدوك غداً. وهذا ما فرق شعوب رواندا، ويوجوسلافيا السابقة وشعوباً أخرى.

طهرانيان: من الناحية التاريخية، فقد تعاملت المجتمعات مع مشكلة التنوع العرقى، والدينى، والثقافى بأشكال متفاوتة. وينضح التاريخ بسياسات ثقافية حاولت تعديل الهويات لكى تلائم متطلبات الدولة. لقد تراوحت تلك السياسات ما بين أقصاها فى اللاإنسانية، إلى أقصاها فى الإنسانية، بدءاً من الإفناء، والفصل، والاستيعاب، والإدماج، والتكامل. وقد كانت أكثرها قسوة هى استراتيجية إفناء من لا يشبهونا. وقد اتبعت سياسات الإفناء فى حالات اليهود فى ألمانيا الهتلرية، ومسلمى البوسنة.

إن التنوع فى ثقافاتنا ومجتمعاتنا هو مصدر للإثراء العظيم للخبرة الإنسانية، ولكن فى الوقت ذاته فإن كل مجتمع وثقافة لديها القدرة على تحطيم الروابط بين البشر. ومن خلال دعم الميول الثقافية نحو السلام، يمكن أن نبنى مجتمعات تحابى السلام، وتعادى العنف.

إيكيدا: بالنسبة لى، فإن أحد المظاهر الجوهرية للثقافة أنها تجعل الحياة الإنسانية أكثر ثراء، وأكثر إمتاعا. ولكن الكلمة ذاتها إذا استعملت بمعنى "آخر"، فإنها تصبح بمثابة مصطلح آخر يصف شيئًا "ينتمى" إليه الإنسان. المشكلة مع الاستعمال الأخير هو أنه يثير إمكانية "الإطلاقية الثقافية"، والتى تصير بمثابة مبرر للسياسات والسلوكيات الاستبعادية.

فبمجرد أن تبدأ فى تصنيف البشر على أساس العرق، أو الاثنية، فإنك تفقد الشعور العاطفى بالانتماء، أو بأنك جزء من البشرية الواحدة، وتتوقف قدرتك على التعاطف مع الآخرين عن العمل.

وقد بلور فرويد مصطلحا يعبر عن تلك الحالة، وهذا المصطلح كامن فى العقل الباطن، وهو ما أسماه "النرجسية فيما يتعلق بالفروق الطفيفة". فطالما أن تلك "الفروق الطفيفة" تحظى بأهمية، فإنه يظل من الصعب وقف الدائرة المفرغة من الصراع المتصاعد، والمتناقض، والمتكرر بشكل لا ينتهى. وفى هذا الصدد، فإن فكرة هوبز عن الدولة القانونية لم تساعد على الإطلاق فى إنشاء عالم "يشعر بالانتماء المشترك"، يتمتع فيه كل البشر من كل الأطياف بالحرية، والرفاهية على قدم المساواة. وللدهشة، فإن هذا الأمر قد برهنت على صحته أحداث عالمنا الراهن.

طهرانيان: حقا، لقد كان هوبز مقتنعا أن الحياة فى حالة الطبيعة الأولى هى حرب الجميع ضد الجميع، ولكى نحقق السلام والانضباط الاجتماعى فى هذا العالم، يجب أن تكون لدينا حكومات قومية ومركزية تتمتع بسلطات دكتاتورية تضمن ردع هذا الميل البشرى نحو الشر. ومن ثم، كانت رؤية هوبز للأمن الإنسانى رؤية صفرية، كلما زاد أمن أحد الأفراد، قل أمن كل الآخرين. ولهذا، كان الحل الذى قدمه هوبز لمعضلات الأمن التنافسى، هو إخضاع سيادة كل فرد فى حالة الطبيعة إلى "التنين"، وهو السيد الأعلى الذى سيوفر الأمن للجميع نظير الخضوع لقوانينه.

وقد اعتبر هوبز أن هذا العقد الاجتماعى بمثابة شرط لا غنى عنه لتوفير الأمن الإنسانى والرفاهية. ولكن كل الحروب المسماة بالعادلة التى تم شنها، وكل العنف الذى شرعنه نظام الدولة الحديثة ذات السيادة، لم يؤد إلا إلى المزيد من تعقيد المشكلة. ولهذا، فإننا فى حاجة إلى نظام جديد، نظام ديمقراطى قادر على إحباط المبادرات العنيفة لأصحاب السلطة. أكثر من ذلك، إذا كان لبنى البشر أن يأملوا فى التحول من ثقافة الحرب إلى ثقافة السلام، فإن عليهم أن يقوموا بتحول روحى جوهرى.

إيكيدا: ثمة احتمال قوى أن يثمر توحيد الجماعات العرقية وغيرها من الجماعات عن بناء السلام والرفاهية، ولكن ليس ثمة احتمال على الإطلاق أن يحدث ذلك إذا ما تفرقت تلك الجماعات. ففى عالم اليوم أصبحت الهوية مصدراً لقلق حقيقى. فهناك قدر كبير من التوتر لدى البشر نتيجة لرغبتهم فى الانتماء إلى جماعة محددة.

وبالنسبة لهم، فإن العواطف يمكن أن تكون هى المصدر الذى يغذى شرك العرقية. ورغم ذلك، فإننى أشك أن يتم تغذية الشعور بالانتماء العرقى بشكل متعمد ، فـ "العرقية" هى من حيل التاريخ المعاصر.

وقد عبر عن ذلك الشاعر الهندى رابندرينات طاغور، بشكل صحيح فى كتابه "دين الإنسان" الصادر سنة ١٩٣١ حينما أشار إلى مضمون العرقية. أتذكر أنه قال إن الأنبياء العظام فى كل العصور اتسموا بحرية حقيقية فى الروح لأنهم كانوا واعين أن للروح الإنسانية بعداً عالميا. ورغم ذلك، فإن ظروفاً مختلفة، كالجغرافيا، فصلت بين بنى البشر، كما أن جماعات عرقية محددة طورت أساليب فى التفكير تتمحور حول الذات بشكل متزايد.

طهرانيان: عطلت مسيرة القرن العشرين تلك الطاقات الانقسامية الناشئة عن الوعى الزائف بالقبلية، والمركزية العرقية، والقومية. وبالتالى اندلعت العديد من الحروب التى انجر إليها البشر تحت دعاوى قيم وأفكار وهمية. وقد غلف كل المتحاربين مطالبهم الإقليمية المتعارضة فى أغلفة من السمو الأخلاقى الأكبر لتلك المطالب، مستغلين فى ذلك دعاوى العرقية. ويسعى المتحاربون إلى اجتذاب جمهور عالمى ينمو بشكل مضطرد يشاهدهم على شاشات التليفزيون. وما إن تشرع أجهزة الإعلام فى تصنيف، ومسرحة، وشيطنة "هم" ضد "نحن"، فإن الصور المصطنعة "للإرهابيين الإسلاميين"، و"الأمريكيين الشياطين"، و"اليابانيين الخبثاء"، والصينيين الأشرار"، و"الأفارقة غير المتحضرين"، تتجمد فى عقول الجماهير الواسعة كمبررات للدورة التالية من العنف.

إيكيدا: إن الصور النمطية العنصرية والعرقية هى صور ماكرة. فبمجرد أن تنغرس فى العقل، يصعب إزالتها بمرور الوقت. وكثيراً ما تكمن خلف نزاعات غير مهمة تنتهى بإشعال صراع شامل. وقد حذرنا طاغور من الخطر الكامن فى المواجهات العنصرية والعرقية. ولكن المشكلة العنصرية التى تحلق فوقنا ستجبرنا إن عاجلاً أو آجلاً

أن نتخلى عن البحث عن حلول سطحية، وتدفعنا نحو نقطة معينة نجد أنفسنا بدون خيار إلا خيار تعديل ما فى عقولنا، وإلا فإننا سنجد أنفسنا وقد تجمدنا، وأصبحنا غير قادرين على التصرف لأن الاختلافات العرقية ستكون قد غرست بذوراً كثيرة للصراع. وفى النهاية، ستؤدى المشكلة العنصرية إلى هلاكنا. وقد مر أكثر من نصف قرن منذ أن أطلق طاغور هذا التحذير. إنه تحذير كاف يدفعنا لأن نتعقل وأن ننظر إلى الوراء لكى ندرك أن الحماقات المفجعة التى عاناها البشر لا يبدو لها من نهاية، بل إنها تعمقت اليوم ووصلت إلى درجة الأزمة.

ما الشكل المثالى للمواطنة العالمية ؟

طهرانيان: لقد طرحتم واحدة من أكثر المشكلات إزعاجا فى هذا الزمان. وتتضمن تلك المشكلة السؤال الذى نواجهه جميعًا فى غمار سعينا لكى نعرف، "من نحن؟" "لمن ندين بولائنا؟ "نحن الآن مطالبون بالاختيار بين أن نظل أسرى الهويات الضيقة، والجزئية، أو أن نوسع من نطاق تلك الهويات لتشمل بقية العالم. ورغم ذلك، فإنه بسبب قوى العولمة الاقتصادية والثقافية، فإن هذا الاختيار لم يعد اختياراً حراً. لقد أصبح اختيارا مفروضًا علينا. نستطيع أن نفترض أنه فى المجتمعات التقليدية، التى يولد فيها البشر، ويعيشون، ويموتون فى القرية الصغيرة ذاتها، فإن هذه المشكلة لم توجد فى الأساس. فقد كان البشر متأكدين من هوياتهم، وهى هويات كانت تعرف على أساس العائلة، واللغة، والدين، والثقافة. ولكن بصعود العالم الحديث، زاد التنقل البدنى، والاجتماعى، والنفسى، بمعدلات متسارعة دائمًا. ومعظم الناس اليوم، لا يعيشون فى الأماكن التى ولدوا فيها. وكثير من الناس الآخرين يتعرضون بكثافة لمجتمعات وثقافات أخرى من خلال السفر، والاتصالات المهنية، أو أجهزة الإعلام.

إيكيدا: تلك هى كل الشروط اللازمة لصعود أزمة الهوية المعاصرة فى عالم اليوم.

طهرانيان: فى مثل تلك الأزمنة، يجب على البشر أن يعيدوا النظر فى هوياتهم فى سياق تفاعلاتهم الثقافية والاجتماعية الجديدة. إذا أردنا أن نعيش فى عالم أكثر سلاماً، فلابد من أن نقبل أننا كلنا ننتمى إلى مركب متنوع من الجماعات، والهويات، والولاءات. وبهذا المعنى، فنحن جميعا متعددو الثقافات، وعلينا أن نتوصل مع الآخرين ومع أنفسنا، إلى هوية، ومواطنة جامعة لا مانعة. وبصرف النظر عن المكان والزمان، فإننا جميعا ننتمى إلى عالم الروح. وسنكون أكثر سعادة إذا استطعنا أن نتخطى ذاتيتنا المحدودة لكى نشارك فى الذات الكونية.

إيكيدا: منذ حوالى مائة عام، نشر تسونيسابورو ماكيجوتشى كتابا بعنوان "جغرافية الحياة البشرية". وقد قال فى هذا الكتاب إن كل فرد فى حاجة إلى ثلاثة أنماط من الوعى الذاتى. أولاً، أن يكون واعيا بهويته "المحلية" مهتما بمحل معيشته، والجماعات المجاورة، ثانيًا، أن يكون لديه إحساس بالانتماء إلى أمة، وثالثا، أن يرى ذاته على أنه ذو هوية عالمية، أى أنه مواطن عالمى. وطبقًا لرؤية ماكيجوتشى، فإن كلا منا فى حاجة إلى موطئ قدم فى "موطنه"، وفى العالم.

ينبغى أن يكون موقفنا قويا بشكل كاف للوقوف أمام الضغوط الناشئة عن السياسات القومية العنيدة، وواثقًا بقوة بشكل يكفى لتمكيننا من تقدير وفهم الآخرين. وهذا الموقف ينبغى أن يكون نقطة انطلاقنا لكى نعيش كجيران صالحين، وكمواطنين صالحين، ومدافعين عن التعايش والرخاء المشترك، سواء كنا نعمل محليا أو فى المجتمع الدولى. والحق إن ماكيجوتشى كان يحلم بعالم يتمتع فيه البشر بسعة وعمق الرؤية إلى حد يمكنهم من أن ينظروا فى اتجاهين فى آن واحد - تجاه العالم، وتجاه الوطن.

طهرانيان: لقد كان ماكيجوتشى عالما بالغيب إلى حد كبير لاستشرافه ذلك النوع من المواطنة العالمية، والذى يلقى اليوم الترحيب اللازم. من المهم أن نتذكر أن أمام الفرد اختيار بين هويات بديلة، على المستويات المحلية، والإقليمية، والعالمية.

إيكيدا: لقد قدمتم ملاحظات مهمة حول ما أرى أنه ترابط متزايد على كل مستوى، يجبر الفرد على تطوير شعور بالذات يتخطى ما هو جزئى لكى يلتحم

بالبشرية كلها. ولكن يبدو أن محاولة وضع كل إنسان لكى يصبح مواطنًا عالميًا على الفور، قد يكون لها نتائج عكسية، حيث إن الكثيرين سينتهى بهم المطاف لكى يصبحوا مثل حشيش الأرض الهش عديم الجذور، أى يصبحوا بدون هوية محلية أو قومية.

لقد كتب الفيلسوف الفرنسى سيمون فيل كلاما مقنعًا عن الحاجة إلى "جذور" فى الحياة. فإذا كان من الصحيح أنه يمكننا أن نغوص فى جذور الهوية، فإنه من المهم فى الوقت ذاته وبالقدر ذاته من الأهمية، أن نطور انفتاحا عالمى الهوية. وبالنسبة لى، لا تناقض بين أن أكون مواطنًا صالحا فى أمة أو فى مدينة، وبين أن أكون مواطنا صالحا فى العالم. علينا أن نوجد الآن الظروف التى تمكن البشر من أن يصبحوا مواطنين صالحين على المستويين دون تصادم. ذلك أن هويات المرء فى إطار مكان عيشه، أو أمته، أو العالم لا يجب أن تكون هويات مانعة لبعضها، كما أنه لا يجب على أى إنسان أن يفاضل بين تلك الهويات.

طهرانيان: تشهد حياة القادة العظام من أمثال غاندى ومارتن لوثر كنج(٢٢٤) على قدرة البشر على هزيمة التناقضات واكتشاف هوية أعمق على كل المستويات. وفى أفلام كوروساوا العظيمة، نلحظ تآليفا فريدا بين المحلى والعالمى. وفى شعر حافظ كذلك، فإن الصور المطروحة هى صور محلية وعالمية. وتتسم كل أشكال الحياة والفنون العظيمة بهذه الصفة.

إيكيدا: أريد أن أتحدث الآن عما ينبغى عمله لكى يصير المرء مواطنًا عالميا. عندما أتحدث فى هذا الموضوع أفكر دائمًا فى كارل ياسبرز. لقد لاحظت حنا

---

(٢٢٤) مارتن لوثر كنج (١٩٢٩ - ١٩٦٨) أحد قادة حركة الحقوق المدنية الأمريكية، وقاد "المسيرة إلى واشنطن" سنة ١٩٦٣ ، حيث ألقى خطابه المشهور "لدىَّ حلم". وفى سنة ١٩٦٤ أصبح أصغر من حصل على جائزة نوبل للسلام سنا، لجهوده فى القضاء على التمييز والفصل العنصرى فى الولايات المتحدة. اغتيل فى مدينة ممفيس بولاية تنيسى فى ٤ أبريل سنة ١٩٦٨، وحصل اسمه بعد ذلك على ميدالية الرئيس للحرية وأهداها الرئيس كارتر لاسمه سنة ١٩٧٧ .

أرندت[٢٢٥] ، والتى كانت قريبة جدا منه، أن فلسفته تدور حول فكرة محورية هى الكونية. وترى أرندت، أنه ليس مستغربا أنه حين يواجه البشر الأعباء الهائلة "للمسئولية العالمية"، فإنهم يتصرفون بعدم اكتراث سياسى، وبالقومية الانعزالية، أو بمقاومة كل أشكال السلطة. وقد فهم ياسبرز، أكثر من أى فيلسوف آخر، طبيعة وجذور هذه الحقائق الروحية والسياسية، ولكن ذلك لم يمنعه أبدا من محاولة بناء فلسفة تنحو تجاه الكونية، مبنية على اعتقاده فى الروح الإنسانية.

طهرانيان: ورغم ذلك، أستطيع أن أتفهم انتقاد أرندت للطرق التى يتعامل بها البشر عموما مع المشكلات العالمية.

إيكيدا: حقا، لقد كان ياسبرز فيلسوفا غير عادى. ليس ثمة طريقة تعبر عن عظمته كفيلسوف، وتلخص الصفات اللازم توافرها فى المواطن العالمى فى زماننا. فانطلاقا من حبها لألمانيا، كانت جيرترود، زوجة ياسبرز اليهودية، تنتقد بقسوة خلال الحرب العالمية الثانية، هؤلاء الألمان الذين باعوا أنفسهم لهتلر دون منافسيه، ولكنها حينما انتقدت ألمانيا تأسيساً على أنها قد فقدت روحها، رد ياسبرز قائلاً، "حاولى أن تفكرى فى كائنى ألمانيا"، (تيراواكى هيرونوبو، الفكر الوجودى والسياسى لياسبرز، ١٩٩١، ص ١٥).

لقد عايش ياسبرز هذا الاعتقاد، أى الاعتقاد بأنه يمكن دائمًا إصلاح البشر. ولأن زوجته كانت يهودية فقد مُنع ياسبرز من ممارسة أية أنشطة عامة، ولكنه رغم ذلك كان مصمما على أن يعيش "ليس بالشكل الذى داست به الفاشية على ألمانيا"، ولكن "كمواطن نموذجى"، يجسد ألمانيا الحقيقية. وهكذا استطاع ياسبرز أن يعيش فى حقبة من الخبل الهائج دون أن يفقد ذاته.

---

(٢٢٥) حنا أرندت (١٩٠٦ - ١٩٧٥) منظرة سياسية ألمانيا يهودية، ذهبت إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٤١ هربا من الاضطهاد النازى. من أهم أعمالها كتاب بعنوان "أصول الشمولية" سنة ١٩٥١ ، وكتابها بعنوان "الثورة" سنة ١٩٦٣ .

طهرانيان: ويبرهن ذلك على أن نقطة البدء فى أن تكون مواطنًا عالميًا صالحًا، هى أن تكون مواطنًا محليًا، وقوميًا صالحًا.

تعليم السلام وتدريب النشء

إيكيدا: فى سياق مختلف قليلاً، علمت أنكم مهتمون بمشروعات جامعة الأمم المتحدة فيما يتعلق "بالتدريب العالمى"، وأنكم ترون أن هناك حاجة حقيقية إلى ذلك النوع من التعليم الذى يجعل الناس منفتحى العقل، ومواطنين عالميين نشطين.

طهرانيان: هذا صحيح تمامًا. فجامعة الأمم المتحدة تستعمل هذا المصطلح للتعبير عن رؤية يبلغ كرمها حجم الكون، تستجيب "للقرية العالمية" التى أصبح عليها عالمنا. لقد دشن صديقى العزيز الراحل إيدى بلومان هذا البرنامج حينما كان نائبًا لرئيس جامعة الأمم المتحدة. والتدريب العالمى هو برنامج لا يعترف بحدود الجنسيات أو الأجناس، أو السن، ويشمل كل بنى البشر. نحن نعيش فى مجتمع متعولم بصفة متزايدة. ورغم ذلك، فإن أنظمة التعليم القومية العاملة فى أطر الأقاليم والثقافات القومية، هى التى تحدد معظم تعليمنا. وبالتالى، فنحن غير مستعدين للتعامل مع عالم يتشكل بسرعة أمام أعيننا.

مازال سياسيونا يعملون على أساس مفاهيم للأمن القومى عفى عليها الزمن، وهو الأمن الذى يعرف على أنه تراكم ترسانات الأسلحة النووية التى لا تعترف بالحدود القومية. وفى حالة الحرب النووية، فإن ما سيحدد العدد الأكبر من الضحايا، هو اتجاه الريح. فيسعى معلمونا إلى أن يغرسوا فى النشء أفكار الوطنية التى تقسم العالم إلى "نحن"، و"هم"، ولا يُنشر صحفيونا إلا الأخبار الدولية التى تجذب انتباه أكبر عدد من الجمهور وتحقق أفضل المعدلات من خلال تنميط بقية العالم على أنه عجيب، وغريب، وغير متحضر.

إيكيدا: ربما تؤثر العولمة فى بعض جوانب عالمنا، ولكن بالتأكيد ليس لها تأثير ذو شأن فى المجالات التى يمكن أن تؤثر بحق على أسلوب تفكير البشر، وبالتحديد على السياسة الداخلية، والتعليم، والافتراضات التى تعمل على أساسها أجهزة الاتصال والإعلام. إن هذه الفجوة هى الأكثر إثارة للقلق.

طهرانيان: أعتقد أن أكثر الطرق فعالية للتعامل مع هذه المشكلات هى التركيز على الشباب. لقد ذكر رودلف باهرو، زعيم حزب الخضر الألمانى[٢٢٦] ، أنه عندما تموت أشكال ثقافية قديمة، تنشأ ثقافة جديدة على يد عدد قليل من البشر لا يخشون على أمنهم. أفهم هذه العبارة على أنها تعنى أن هؤلاء الناس الذين لا يخشون من أن يعتقدوا، أو يتشككوا، أو يتعلموا، سيقودون عملية إنشاء حقبة جديدة. وهذا ما يجعل الشباب فى مركز الريادة لإنشاء القيمة.

نحن فى حاجة إلى أن نعلم جيلاً جديداً من بنى البشر كيف يتمتع بالاحترام العميق لكل مناحى الحياة، ولكل مظاهر العبقرية الإنسانية بصرف النظر عن الجنس، واللون، أو العقيدة، ويمثل التعليم الذى حصلت عليه شاهداً على تلك الحاجة.

إيكيدا: سيكون أمراً مهما أن أسمع عن خبراتك الخاصة.

طهرانيان: فى البداية، كان لى شرف المشاركة فى منتدى للشباب نظمته جريدة نيويورك هيرالد تريبيون سنة ١٩٥٥ . لقد كنت عضواً فى مجموعة من خمسة وثلاثين تلميذاً بالمرحلة الثانوية تم اختيارهم من عدة دول من خلال مسابقة فى كتابة المقال.

---

(٢٢٦) رودلف باهرو (١٩٣٥ - ١٩٩٧) ناشط سياسى فى ألمانيا الشرقية، اعتقل عدة مرات لآرائه السياسية التحررية، ورحلته السلطات الألمانية الشرقية إلى ألمانيا الغربية سنة ١٩٧٩ . بعد ذلك قام بدور مهم فى الإطاحة بالنظام الشيوعى فى ألمانيا الشرقية قبل وبعد عودته إلى ألمانيا الشرقية فى نوفمبر سنة ١٩٨٩ . قاد حركة الخضر فى ألمانيا، وألف كتابا باسم بناء حركة الخضر سنة ١٩٨٦ . أما حزب الخضر الألمانى فهو حزب سياسى، أسس رسميا فى يناير سنة ١٩٨٠ فى ألمانيا الغربية آنذاك. وقد أندمج معه سنة ١٩٩٣ الحزب المماثل الذى كان قد أنشئ فى ألمانيا الشرقية سنة ١٩٨٩، ودخل الحزب الحكومة الألمانية الائتلافية بين سنتى ١٩٩٨و ٢٠٠٥، وينادى الحزب بالاهتمام بسياسات البيئة، والتخلص من الطاقة النووية .

حضرنا إلى الولايات المتحدة لقضاء ثلاثة شهور لكى نعيش مع عدد من العائلات المتطوعة، ننتظم فى المدرسة الثانوية مع عدد من الشباب ممن هم فى عمرنا، ونقوم بإلقاء محاضرات عن بلادنا وثقافاتنا، ونشارك فى اجتماعات فى الأمم المتحدة وفى أماكن أخرى لكى نناقش المشكلات العالمية واحتمالات السلام. لقد تركت هذه الخبرة أثرًا لا ينسى على عقلى. لقد أصبحت مواطنًا عالميًا طوال حياتى.

وخلال فترة قصيرة من الزمن، درست مقررًا قصيرًا حول الثقافة الأمريكية من خلال معايشة عائلات يهودية، وبروتستانتية، وكاثوليكية، وأفريقية - أمريكية، فى الوقت الذى كنت أحضر فيه المدارس الثانوية المحلية. وفى الوقت ذاته، تلقيت تعليمًا راقيًا حول الصراعات بين الهنود والباكستانيين، والعرب والإسرائيليين، والبيض والسود فى جنوب أفريقيا.

إيكيدا: لقد كانت تلك بلا شك فرصة قيمة بالنسبة لك، أن تتاح لك الفرصة، وأن تعرف العديد من أنماط البشر وأنت فى سن صغيرة يساعد بقوة فى توسيع مداركك. إن توفير مثل هذه الفرص هو أحد الطرق التى يمكن من خلالها أن نوفر بيئة يستطيع الشباب فيها بعقولهم المفتوحة، وقلوبهم العامرة، أن يمتلكوا الشجاعة والذكاء المطلوبة لبناء السلام. إن أحد الأهداف الأساسية لبرامج حركة سوكا جاكاى الدولية، هو دعم الشباب فى كل أنحاء العالم.

لقد تحدث الدكتور جالتونج عن الأهمية الفائقة للموارد البشرية، أى البشر الذين يمتلكون كلا من "الولاء العاطفى للسلام، والحكمة من أجل تحقيقه"، وفى حركة سوكا جاكاى الدولية، التى أُنشئت لتكون قلعة للسلام، نعتبر أن جزءًا أساسيا من مهمتنا هو تعليم الشباب أن يصبحوا أخصائيين، و"موارد بشرية" قادرة على المساعدة فى بناء وحماية السلام بين كل الشعوب. لقد قدم الدكتور جالتونج مساهمة مهمة فى سبيل تحقيق هذا الهدف عندما أتى إلى الجامعة وألقى سلسلة محاضرات. ورغم قصر فترة زيارته، فإن محاضراته تركت أثرا عميقا على الطلاب. وفيما بعد أخبرنى بعض هؤلاء

الطلاب أنه بعد استماعهم للدكتور جالتونج، فإنهم يريدون الآن أن يصبحوا عاملين من أجل السلام، وليسوا دارسين للسلام.

طهرانيان: لدى توقعات هائلة بأن جامعة سوكا ستخرج أجيالاً متعاقبة من العاملين من أجل السلام المؤهلين تأهيلاً جيداً، وأنها ستترك بصمة على العالم وذلك تطبيقا لمثالياتها الغالية. وفى هذا السياق، آمل أن يستطيع معهد تودا أن يدشن مشروعه الخاص، برنامج لتعليم السلام موجه للأجيال التى ستقود فى المستقبل. لقد أعطيت هذا المشروع المقترح اسما وهو "منتدى معهد تودا للتعليم والقيادة العالمية للشباب"، وأتصور أن المنتدى سينعقد بشكل منتظم، وسيوفر للمشاركين الفرصة ذاتها. على كل شاب أن يلتقى بشباب آخرين من دول أخرى، لتبادل الأفكار، وتوسيع مداركهم. ولكى نضمن أقصى قدر ممكن من الاحتكاك العالمى، يمكن أن ينعقد المنتدى فى منطقة مختلفة من العالم كل سنة.

إيكيدا: خلال حواراته معى، أبدى الدكتور جالتونج ملاحظة ثاقبة قوامها أن مناط اهتمام دراسات السلام يتحول بثبات من بحوث سلام تركز على المعرفة إلى تدريب على السلام يركز على المهارة والتقنية. أعتقد أنه بوسع معهد تودا أن يقدم برنامجًا أكثر شمولاً للتدريب على السلام للشباب حول العالم. فالشباب أملنا فى المستقبل، فلديهم القدرة على جعل هذا المستقبل أفضل. ولهذا أفعل ما بوسعى لتدريبهم، ولهذا أيضًا أشجع مثل هذا البرنامج الذى يطرحه معهد تودا.

ربما كانت أفضل أرضية لتدريب الشباب هى أرضية الالتقاء فيما بينهم، ومع أنواع مختلفة من البشر التى يمكن أن يتفاعلوا معها، ويتبادلوا الأفكار، ثم يخرجون إلى العالم ليتعلموا ما الذى يمكن أن يفعلوه لتحسين أحواله. حينما يحترق الشباب شوقًا من أجل السلام، فإن الشعلة الموقدة فى قلوبهم تنير قلوب الآخرين حتى تصبح تلك الشعلة منارة متوهجة من الأمل الذى يعد بإنقاذ بنى البشر من الظلمات التى غطت عالمنا لفترة طويلة.

الفصل الحادى عشر

اختر الحوار

إيكيدا: لقد بلغنى أن معهد تودا عقد عدة مؤتمرات فى تركيا وقبرص. وقد كانت مؤتمرات ناجحة للغاية كما علمت.

طهرانيان: كان مؤتمرا معهد تودا هما المؤتمر الأول والثانى "للجنة الدولية للأمن والتعاون فى غربى آسيا"، وقد عقدا فى إستانبول، وليماسول سنة ١٩٩٩، وسنة ٢٠٠٠ على التوالى. وقد تلاهما مؤتمران فى الدوحة سنة ٢٠٠١ ، ثم ليماسول سنة ٢٠٠٢[٢٢٧]. لقد كان مشروع معهد تودا أول مبادرة لمنظمة غير حكومية لبناء السلام فى منطقة الخليج الفارسى. وبمشاركة ممثلين من الدول الثمانى المشاطئة للخليج، والدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وآخرين. كانت المناقشات شديدة الحيوية ومفيدة[٢٢٨] .

كما تعلم، فقد ظل إقليم الخليج الفارسى مضطربا إلى حد كبير، ويتسم بدرجة عالية من التوتر وصراع المصالح المتشابكة، على نحو ما تمثل فى حرب العراق وإيران، وحرب الخليج[٢٢٩]. ولهذا كان لزاما على أن أعتصر ذهنى حول كيفية إدارة المؤتمر.

---

(٢٢٧) شارك المترجم فى مؤتمر ليماسول المنعقد سنة ١٩٩٩ .

(٢٢٨) يشير طهرانيان إلى "ممثلين" لدول بصفة الخليج العربى، والدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن. وقد حضر المشاركون بصفتهم الفردية، وليس ممثلين لدولهم، لأن مؤتمر معهد تودا لم يكن مؤتمراً حكوميا .

(٢٢٩) المقصود بحرب الخليج الحرب التى نشبت عامى ١٩٩٠و ١٩٩١ على أثر الغزو العراقى للكويت .

ولحسن الحظ، فإن جميع المشاركين فهموا جيداً أهداف المؤتمر - تحقيق سلام دائم واستقرار اقتصادى للإقليم. ونتيجة لذلك، تقدمت المناقشات بشكل، سلس وبناء للغاية.

إيكيدا: إننى مسرور لسماع ذلك. فالخليج الفارسى منطقة مهمة للسلام العالمى. ولكن ليس لدينا اهتمام كاف بما يحدث فى تلك المنطقة. ويرجع ذلك، إلى حد ما، إلى المساحة الشاسعة التى تفصلنا عنه. وهذا مما يجعل من الأهمية بمكان لمركز لبحوث السلام يتمركز فى طوكيو، أن يسهم بإيجابية فى بناء السلام فى هذا الإقليم.

طهرانيان: بالقطع يجب أن تتخذ المنظمات غير الحكومية وغير الساعية إلى الربح، مبادرات نشطة من أجل السلام. لا أرى طريقًا أخرى لإحداث تغيير إيجابى فى الموقف. فمعهد تودا يركز على "الأمن الإنسانى" فى كل مشروعاته البحثية، مما يعنى أننا نبحث عن حلول لقضايا مهمة من زاوية حماية الحياة البشرية، من خلال تخطى المصالح القومية، ومن زاوية تحقيق "الأمن الإنسانى" بما فى ذلك الأمن الطبيعى والاجتماعى.

إيكيدا: هذه نقطة محورية. كيف نصون قيمة الحياة البشرية، ستكون هذه هى القضية المحورية فى تقييم الأمن الدولى فى القرن الحادى والعشرين.

ومن هذا المنطلق بالضبط، فقد أعطيت محاضرة فى "مركز الشرق - الغرب" فى هاواى سنة ١٩٩٥ حول فكرة "السلام والأمن الإنسانى". ففى مطلع القرن الحادى والعشرين تتشارك أعداد متزايدة من الشعوب فى الوعى بأنه من الأهمية بمكان أن نهتم بشكل جدى بقدسية كل حياة بشرية. وكبوذى، أقول ذلك منذ سنوات، وهو ما أصبح أخيراً، وبعد طول انتظار، موضوعًا محوريًا فى عصرنا.

اقترح الآن أن نحلل أولاً بعض التيارات الأساسية فى العالم المعاصر، ثم نتحدث بعد ذلك عن التوجه الأساسى الذى سيتسم به القرن الحادى والعشرون.

طهرانيان: حسنا. كما قلت آنفًا فى حوارنا، فإن العولمة السريعة لعصرنا ترتب نتائج إيجابية وأخرى سلبية. فعلى الجانب الإيجابى، نشهد صعوداً غير مسبوق للوعى

العالمى وللشعور بالتضامن حول قضايا مثل حقوق الإنسان، والجوع، والاحترار العالمى، والبيئة، بالإضافة إلى حظر الألغام الأرضية، وحول الأسلحة النووية، والكيميائية، والبيولوجية.

وعلى الجانب السلبى، فإن العولمة تؤدى إلى خلخلة الاقتصادات الوطنية من خلال تحويل الصناعات من مناطق تتميز بالأجور المرتفعة إلى أخرى تتميز بانخفاض الأجور، وسعر الأرض، والضرائب، والتدخل الحكومى. وتتعرض الصناعات المحلية فى كثير من الدول لمنافسة عالمية شديدة. إننى اعتبر أن الفجوات المتزايدة بين الدول المتقدمة والنامية، أو ما يسمى الشمال والجنوب، هى المشكلة المركزية فى عصرنا. ولا يمكن فهم تلك المشكلة، ناهيك عن حلها، بدون الحوار.

إيكيدا: أصبحت إعادة توطين مواقع الإنتاج فيما وراء البحار من أجل تعظيم الأرباح وتقليل التكاليف، ظاهرة ملحوظة فى اليابان منذ ثمانينيات القرن العشرين. وبينما نلحظ أن الإنتاج فيما وراء البحار ضرورى لبقاء الصناعة، فإنه قد خلق مشكلة خطيرة وهى "اللا تصنيع".

طهرانيان: هذا صحيح، فبينما أدت هذه التحولات إلى زيادة أرباح الشركات، أو إلى إعادة توزيع الدخل لصالح الدول النامية، فإن الدول الصناعية تعانى من ارتفاع معدلات البطالة، ومن انهيار دولة الرفاهة. وهذا ما يؤدى بدوره إلى إشعال الصراعات العرقية والدينية، والطبقية ضد المهاجرين وضد الدول النامية، وإلى زيادة جو العداء للأجانب، وإلى الانعزالية. فقد بلغ معدل البطالة فى الاتحاد الأوروبى أكثر من ١٠٪ فى الوقت الذى تفقد فيه الدول الدخول الضريبية، وهو ما يرجع جزئيًا إلى العولمة، والتحويلات المالية الإلكترونية. وقد أدى ذلك إلى تدهور فى قدرة الدولة على دفع تكاليف برامج الرفاهة والخدمات الاجتماعية، وهو ما أدى تدريجيا إلى نشوب أزمات سياسية، نلحظها فى صعود الحركات اليمينية فى أوروبا والولايات المتحدة. ومن ثم، فإن مشكلة الشمال - الجنوب هى مشكلة داخلية بالإضافة إلى كونها مشكلة دولية. وقد أدت إلى توسيع فجوة الدخول داخل وبين الدول.

ويرى البعض أنه تستتر خلف الأزمات الاقتصادية التى بدأت بانهيار العملة التايلاندية فى يوليو سنة ١٩٩٧ مجموعة من الاستثمارات المضاربة تسمى "الأموال المتنقلة". فنحن نعيش الآن فى عصر يمكن فيه تحويل كميات هائلة من الأموال بشكل فورى من سوق مالى إلى أخر، بما يهدد بتدمير الاقتصاد الوطنى للدولة. إن حركة الأموال التى تفوق الميزانية الوطنية لبعض الدول هى أمر غير مسبوق فى التاريخ.

إيكيدا: لقد سقط كثير من الاقتصادات فى حقبة التسعينيات. فقد اختنق الاقتصاد الروسى لفقدان الثقة فيه، وحدثت الأزمة النقدية فى البرازيل، وحدث الانهيار الآسيوى، وقد أحدث ذلك كله موجات صاعقة عبر العالم كله إلى حد أن البعض تخوف من احتمال تكرار الكساد العالمى الكبير الذى حدث نتيجة أزمة بورصة الأسهم فى نيويورك سنة ١٩٢٩ .

طهرانيان: هذا صحيح تمامًا. لقد أدى الكساد الكبير إلى ظهور التطرف السياسى. فقد أعطيت الأزمات الاقتصادية للحركات الشمولية مثل الشيوعية والفاشية دفعة قوية. وآمل أن نكون قد تعلمنا بما فيه الكفاية من الماضى بحيث لا نسير فى الطريق ذاته، ولكن عندما يصاب البشر بالقنوط، فإن الدروس التاريخية للماضى سرعان ما تنسى.

خطر المزيد من الانقسام

إيكيدا: كيف يمكننا أن نتغلب على هذه الاتجاهات بحيث لا نكرر المآسى ذاتها؟

منذ زمن قصير كان لى حظ التحدث مع الأستاذ/ ليستر ثورو، الأستاذ فى معهد ماساشوستس للتكنولوجيا، ومؤلف كتاب "المجتمع الصفرى: التوزيع وإمكانيات التغير الاقتصادى" (١٩٨١)[٢٣٠]. وقد اتفقنا سويا على أنه كلما عظمت الأزمة، زادت حاجتنا

(٢٣٠) ليستر ثورو أستاذ اقتصاد، ولد سنة ١٩٣٨، تخرج فى جامعة هارفارد سنة ١٩٦٤، اشتهر بفلسفته المسماة "الطريقة الثالثة"، أى بناء نظام اقتصادى تلعب فيه الحكومة دورًا توجيهيا، على غرار النظام اليابانى والنظم الأوروبية .

إلى قادة يمتلكون كفاءة حقيقية يمكنهم إحداث التغيرات بشجاعة وثبات. أعتقد أنه من الضروري أن نقوى من سلطة الشعب بحيث يكون قادرًا على منع السياسة من التحول نحو التطرف. وعلى هؤلاء الذين أدركوا الحقائق الحرجة لزماننا، أن يعملوا معًا دفاعًا عن العدالة والحرية.

طهرانيان: أوافق معك، وأقول إننا يجب أن نظل مفتوحى الأعين على مثالب الرأسمالية المعاصرة. لقد تعامل المؤتمر السنوى للمنتدى الاقتصادى المنعقد فى دافوس، سويسرا، سنة ١٩٩٩ مع موضوع، "عالمية مسئولة: إدارة آثار العولمة". وكما هو واضح من الموضوع، فإن عولمة خالية من أية قواعد أو ضوابط يمكن أن تكون خطرة جداً.

إيكيدا: لقد كان الأستاذ ثورو قلقا إلى حد بعيد من هذا الخطر، فهو واحد من الاقتصاديين الذين أشاروا مرارًا إلى "قصر النظر" الذى يبتلى الاقتصادات الرأسمالية حيث يسود قانون الغاب. وما لم يتم تنظيم السوق العالمية بشكل معين، فإنه سيكون محكوما على الدول الضعيفة الأقل قدرة على المنافسة أن تصبح ضحايا للأقوياء، جارفة معها رجالا ونساءا عاديين أبرياء.

وهناك شىء آخر يرى الأستاذ ثورو أنه ضرورى للرأسمالية لكى تظل نظامًا اقتصاديًا قابلاً للحياة، وهو التحول من أيديولوجية "الاستهلاك، إلى أيديولوجية "البناء"، يجب أن نطرح الاقتصاد الصفرى وراءنا، وهو الاقتصاد الذى يعنى فيه مكسب شخص واحد خسارة شخص آخر، يجب أن نسعى لبناء نظام اقتصادى "تكافلى"، يتقاسم فيه أفراد المجتمع القيم، وينقلونها بعضهم إلى بعض ، بما يمكنهم من إنشاء قيم جديدة معًا. لبناء هذا النظام الاقتصادى، فإننا فى حاجة إلى نظام من الأفكار يكون بمثابة الأساس الفلسفى.

طهرانيان: انطلق الأستاذ آمارتيا سين، الاقتصادى الهندى، وأول آسيوى يحصل على جائزة نوبل فى الاقتصاد سنة ١٩٩٨، من منطلق كيفية تحسين الحياة الإنسانية،

ومن هذه الزاوية ناقش الأستاذ سن عدة أسئلة تتعلق بالأسلوب الواجب أن يعيش عليه البشر، ما هى الوفرة الحقيقية؟ وما هو مضمون الرفاهة الإنسانية. كذلك سلك منهجاً جديداً فى مناقشة المشكلات المتعلقة بالتنمية والحرية.

أجد فى منهجه تعاطفاً دافئاً مع البشر. فهذا المنهج يثير فى عقلى وتراً حساساً. فالمجتمع الذى يثرى فيه الأغنياء فقط، بينما يترك الضعفاء ليتفاقم بؤسهم، ينتهى بتحطيم ذاته.

إيكيدا: بالضبط. لقد كانت نقطة الانطلاق فى المفهوم الاقتصادى للدكتور سين هى شوقه الجارف إلى "إنهاء الجوع والفقر"، و"محاربة الظلم الاجتماعى". وبوقوفه مع الضعفاء فى المجتمع، فقد أضفى ضوء الفلسفة والأخلاق على الاقتصاد الحديث. لقد انتقد الدكتور سن بقوة ذلك التصور الذى يسلم به معظم الاقتصاديين دون مناقشة، والذى يرى الكائنات البشرية باعتبارها كائنات غارقة فى السعى نحو المصلحة الذاتية.

طهرانيان: إن حقيقة أن جائزة نوبل فى الاقتصاد لعام ١٩٩٨ قد أعطيت للأستاذ سين، هى شهادة بمعنى من المعانى لهذا الإدراك العالمى المتزايد للمخاطر الكامنة فى اقتصاد السوق الحر مطلق العنان.

ويذكرنى ذلك بلقائى مع الدكتور محمد يونس فى جامعة سيدنى، حيث كنت أحضر مؤتمرا. لقد اعتاد يونس أن يدرس فى جامعات فى الولايات المتحدة، وفى وطنه بنجلاديش، ولكنه حينما شاهد المجاعة الكبرى فى بنجلاديش سنة ١٩٧٤ دشن حركة لإنقاذ أفقر الفقراء.

لقد أسس الدكتور يونس نظاماً مصرفيا جديداً وفريداً أسماه "مصرف جرامين". ويوفر هذا المصرف ائتماناً منخفض الفائدة، وغير مؤمن عليه لفقراء الريف، ومعظمهم من النساء، لمساعدتهم على أن يبدأوا بأنفسهم مشروعات متناهية الصغر، وقد كان مصرف جرامين ناجحاً للغاية، وبلغت نسبة رد القرض الائتمانى حوالى ٩٨٪.

وقد كانت طريقة التمويل التى ابتدعها محمد يونس هى "الائتمان الصغير"، وهى تطبق حاليًا فى حوالى ٦٠ دولة، مما يمكن الفقراء من التغلب على فقرهم. حينما التقيت به فى سيدنى، كان يقول بكل ثقة، "يمكن بكل تأكيد حل مشكلة الفقر".

إيكيدا: عند تقديم المعونة الخارجية، يجب أن تستفيد الدول الصناعية من أسلوب الدكتور يونس فى التفكير، وإلا فإنها ستظل ترتكب الأخطاء ذاتها كما فعلت دائمًا. فالمساعدة المادية وحدها لا تؤدى إلى حلول حقيقية لمشكلة الفقر. على الدول المانحة أن تكون مستعدة لمشاركة الدول المتلقية فى معاناتها وبؤسها، فى غمار بحثهم المشترك عن الطريق الأمثل للاعتماد على الذات.

طهرانيان: سيكون الفقر والجوع أخطر مشكلتين تواجهان بنى البشر فى القرن الحادى والعشرين، ولكن حتى فى ظل النظام الاقتصادى الراهن من المفترض أنه من الممكن حل هاتين المشكلتين إذا ما غيرنا من نمط تفكيرنا بشكل جذرى، وذلك يكون بالتركيز على العامل البشرى: كيف نستطيع أن نمكن البشر من إعطاء أفضل ما لديهم للمجتمع.

إيكيدا: كيف يمكن أن نغرس العامل الإنسانى، أو إن شئت فقل "القلب الإنسانى"، فى الاقتصاد الرأسمالى الذى تنتشر فى أرجائه مبادئ العقلانية باردة العقل؟ وقد بدأ عدد متزايد من قادة الرأى فى العالم يدركون أهمية العامل الإنسانى فى الاقتصاد.

إن السعى من أجل تحقيق سعادتنا على حساب الآخرين، وتجميع الثروات فوق بؤسهم – هو هراء مطلق. لا يجب أن نتسامح مع مثل هذا المسلك. يجب علينا فى القرن الجديد أن نبنى مجتمعًا يسعى فيه البشر إلى تحقيق رخائهم الذاتى فى الوقت الذى يساعدون فيه الآخرين على الازدهار أيضًا. ينبغى أن يكون البحث المشترك عن السعادة المشتركة هو القاعدة المتبعة فى مجتمع القرن الحادى والعشرين.

يجب أن يكون أعضاء هذا المجتمع رحيمى القلوب بشكل يكفى ليجعلهم يشعرون بآلام الآخرين كما لو أنها آلامهم، وراغبين فى عمل كل ما يمكنهم عمله لمنفعة الآخرين. ما يمكن أن نسميه "الإيثار العالمى" يجب أن يكون هو القاعدة العالمية.

التكامل الإقليمى

طهرانيان: يمكن اعتبار الإقليمية، والقومية، والمحلية، بمثابة عمليات للمقاومة ضد العولمة السريعة، فهى يمكن أن تؤدى إلى توسيع وتعميق الديمقراطية العالمية.

إيكيدا: لقد أصبحت الإقليمية محل اهتمام واسع فى السنوات الأخيرة، ويبدو لأول وهلة أن العولمة والإقليمية متعارضتين مع بعضهما، ولكن اعتقد أن الأمر ليس كذلك بالضرورة.

طهرانيان: حقًا، يمكن أن تكونا متكاملتين، تغذيان بعضهما وبالتالى تؤكدان تطورهما الراسخ. إن الجماعة الإقليمية توفر درعًا واقية للدول وللمدن فى إقليم معين من النتائج السلبية للعولمة السريعة.

فإذا ظهرت جماعة إقليمية مثالية حيث ترتبط الدول الأعضاء ببعضها بشكل ديمقراطى وسلمى، فى الوقت الذى يحترم فيه تنوعها المحلى، فإن ذلك سيكون بمثابة نموذجًا قيما للمجتمع المدنى العالمى المستقبلى.

إيكيدا: هناك العديد من أشكال التكامل الإقليمى التى يتم تطبيقها فى الوقت الراهن فى أجزاء مختلفة من العالم. ومن تلك الأشكال الجديرة بالتأمل الاتحاد الأوروبى(٢٣١)، والذى دشن تجربة غير مسبوقة فى التاريخ الإنسانى حينما تبنى عملة موحدة. إن تأثير هذه التجربة سيكون واسعًا، بحيث يتخطى الاقتصاد ليؤثر فى السياسة والثقافة.

---

(٢٣١) بدأت عملية إنشاء الاتحاد الأوروبى بإنشاء "الجماعة الأوروبية للفحم والصلب" بموجب اتفاقية باريس سنة ١٩٥٢ . وقد اشتركت ست دول فى إنشاء الجماعة، وهى فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، ودول البينيولكس الثلاث. وقد مثل إنشاء "الجماعة الاقتصادية الأوروبية" الخطوة الثانية نحو إنشاء الاتحاد الأوروبى. وقد تم ذلك بموجب معاهدة روما الموقعة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٥٧ بين فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، ودول البينيولكس الثلاث. وبموجب معاهدة روما تم إنشاء سوق مشتركة بين الدول الست. تشمل الإلغاء التدريجى للتعريفات الجمركية بينها، وإنشاء تعريفة جمركية خارجية موحدة، وتحرير انتقال العمل =

طهرانيان: هذا حقيقى، لقد تكونت بالفعل عدة جماعات إقليمية. فلكى تدافع عن نفسها ضد خطر السيطرة الاقتصادية الأمريكية فى حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، كان على أوروبا أن تلجأ إلى تكوين الجماعة الاقتصادية الأوروبية، والتى أصبحت الاتحاد الأوروبى فيما بعد. وما إن تحركت أوروبا نحو التكامل الاقتصادى، حتى أخذت الولايات المتحدة زمام المبادرة لتكوين منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (النافتا)[٢٣٢]، والتى تضم الولايات المتحدة، وكندا، والمكسيك.

=ورأس المال بين الدول الأعضاء مع التنسيق بين السياسات الاقتصادية لتلك الدول فى مجال الانتاج والتسويق. وفى اليوم الذى وقعت فيه معاهدة روما، وقعت الدول الست على اتفاقية إنشاء الجماعة الأوروبية للطاقة النووية. وفى يوليو سنة ١٩٦٧ تم إنشاء "الجماعة الأوروبية" فى صورة جهاز سياسى يشرف على اتخاذ القرارات الاقتصادية لجماعة الفحم والصلب، والجماعة الاقتصادية الأوروبية، والجماعة الأوروبية للطاقة النووية. وقد تألفت الجماعة الأوروبية من المجلس الأوروبى (مؤتمر القمة)، والمجلس الوزارى، والمفوضية، والبرلمان الأوروبى، ومحكمة العدل الأوروبية. ويعتبر المجلس الوزارى والمفوضية بمثابة جهاز تنفيذى ثنائى للجماعة، حيث يعبر المجلس عن أراء الحكومات، بينما تمثل المفوضية الجهاز فوق القومى للجماعة، ووظيفتها هى طرح المشروعات التى من شأنها تطوير التكامل الأوروبى فى مجال الاتفاقيات التى تنظم عمل الجماعة بهيئاتها الثلاث. كذلك زادت عضوية الجماعة من ستة أعضاء مؤسسين إلى خمسة عشر عضوا: فمع حلول عام ١٩٩١ كانت "الجماعة الأوروبية" تضم ١٢ دولة هى الدول الست المؤسسة بالإضافة إلى بريطانيا، وأيرلندا، والدانمرك (انضمت سنة ١٩٧٢)، واليونان (انضمت سنة ١٩٨١)، والبرتغال وإسبانيا (انضمتا سنة ١٩٨٦). وفى سنة ١٩٩٣ انضمت النمسا، والسويد، وفنلندا. كما زادت سلطات مؤسسات الجماعة الأوروبية، حتى تحولت تلك الجماعة إلى "الاتحاد الأوروبى" بموجب اتفاقية ماستريخت التى وافقت عليها قمة الجماعة الأوروبية فى ديسمبر سنة ١٩٩١، ووقعت فى ٧ فبراير سنة ١٩٩٢ . ويضم الاتحاد الأوربى حاليا ٢٧ دولة بعد انضمام بلغاريا، وقبرص، والتشيك، وإستونيا، ولتوانيا، ولاتفيا، ومالطة، وبولندا، ورومانيا، وسلوفاكيا، وسلوفينيا، والمجر.

(٢٣٢) أنشئت منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (النافتا) بموجب اتفاقية وقعت فى ديسمبر سنة ١٩٩٢ ودخلت حيز التنفيذ فى الأول من يناير سنة ١٩٩٤، وتضم دول أمريكا الشمالية، وهى كندا، والولايات المتحدة والمكسيك. وطبقًا للاتفاقية، تعهدت الدول الأعضاء بإلغاء الحواجز الجمركية وغير الجمركية فيما بينها بشكل تدريجى على معظم السلع التى تنتج وتباع فى أمريكا الشمالية. كذلك، تعهدت الدول باحترام حقوق الملكية الفكرية وإزالة القيود أمام انتقال الاستثمار بينها. كما تتضمن الاتفاقية بنوداً مهمة تتعلق بالتعاون فى مجال البيئة.

وفى الوقت ذاته، فقد أدركت الدول النامية فى جنوب شرقى أسيا وفى أمريكا اللاتينية أنه يمكن تنمية مصالحها المشتركة إذا اتحدت اقتصاديًا. فبعد الاتحاد الأوروبى، تعد رابطة أمم جنوب شرقى أسيا (الآسيان) أنجح نموذج للتكامل الإقليمى(٢٣٣) وقد تكون تنظيم إقليمى يضم أهم دول أمريكا الجنوبية يعرف باسم "الميركوسور"(٢٣٤). وبالإضافة إلى تلك المؤسسات هناك منظمة الوحدة الإفريقية(٢٣٥)،

---

(٢٣٣) أنشأت رابطة دول جنوب شرقى أسيا (الآسيان) بموجب إعلان بانكوك الصادر فى أغسطس سنة ١٩٦٧، وضمت إندونيسيا، وماليزيا، والفلبين، وسنغافورة، وتايلاند، وانضمت بروناى إليها سنة ١٩٨٤ . ويعد مؤتمر وزراء الخارجية هو أعلى جهاز لاتخاذ القرار فى الآسيان، ويجتمع سنويا. وفى سنة ١٩٧٦ تم إنشاء أمانة دائمة فى جاكارتا. وقد ركزت الآسيان على تطوير التكامل الاقتصادى بين الدول الأعضاء من خلال المشروعات المشتركة والتخصص. ولكن الآسيان سرعان ما تحولت إلى الجوانب الأمنية حيث تم إعلان منطقة الآسيان سنة ١٩٧١ منطقة للسلام والحرية والحياد ، وذلك لمنع امتداد الصراعات الإقليمية إليها، كما تم إنشاء "منتدى الآسيان الإقليمى"، وتوسعت عضويتها لتصل إلى عشر دول.

(٢٣٤) الميركوسور هو "السوق المشتركة للجنوب"، والكلمة تشير إلى الحروف الأولى من اسم المنظمة باللغة الأسبانية. وتضم منظمة الميركوسور، التى أنشئت سنة ١٩٩١ بموجب اتفاقية أسنسيون بين أربع دول من أمريكا الجنوبية هى البرازيل، والأرجنتين، وباراجواى، وأورجواى. وتهدف المنظمة إلى إنشاء سوق مشتركة، وبلورة سياسة تجارية مشتركة تجاه الدول الأخرى. وفى سنة ١٩٩٥ أنشأت الدول الأربع اتحادًا جمركيًا فيما بينها، شمل تبنى سياسة تعريفات جمركية موحدة تجاه الدول الأخرى بدءا من سنة ١٩٩٥ . وفى سنة ١٩٩٨ تم الارتقاء بمستوى التعاون بين دول الميركسور بإنشاء آلية للتشاور السياسى بين الدول الأربع بالإضافة الى بوليفيا وشيلى اللتين انضمتا الى تلك الآلية كأعضاء كاملى العضوية.

(٢٣٥) أنشئت منظمة الوحدة الإفريقية خلال المؤتمر الأول لرؤساء الدول والحكومات الإفريقية فى أديس أبابا فى ٢٥ مايو سنة ١٩٦٣ . وللمنظمة ثلاثة مستويات تنظيمية، أولها مؤتمر رؤساء الدول والحكومات (مؤتمر القمة)، ويجتمع سنويا لوضع الاستراتيجية العامة للمنظمة. أما المستوى الثانى، فهو المجلس الوزارى، ويتألف من وزراء الخارجية، ويجتمع مرتين سنويا للتوصية بالسياسات التى سيقررها مؤتمر القمة، وأخيرا هناك أمانة عامة ومقرها أديس أبابا ويرأسها أمين عام، مدة ولايته خمس سنوات. وقد حققت المنظمة نجاحا فى ميدان التسوية السلمية للمنازعات كالنزاع الجزائرى المغربى عامى ١٩٦٤، ١٩٦٥، كما توسطت فى النزاعات بين الصومال، وأثيوبيا وكينيا بين عامى ١٩٦٤، ١٩٦٧ . وقد شكلت المنظمة "لجنة التحرير الإفريقية" سنة ١٩٦٣ لمساعدة حركات التحرير الوطنى مما أسهم فى استقلال المستعمرات البرتغالية، كما ساعدت فى إزالة أنظمة الفصل العنصرى، وحكم الأقليات فى جمهورية جنوب إفريقيا، وروديسيا الجنوبية، وإقليم جنوب غرب أفريقيا. وقد تحولت فيما بعد الى مسمى "الاتحاد الإفريقى".

والتى تضم ٥٣ دولة إفريقية، ومنظمة الدول الأمريكية[٢٣٦] ، فى أمريكا الوسطى والجنوبية، وجامعة الدول العربية[٢٣٧] ، فى العالم العربى.

إيكيدا: هناك عدد من العوامل تفسر هذا التوجه العالمى نحو التكامل الإقليمى، هناك بالطبع العديد من المزايا الاقتصادية المتصورة والتى يمكن أن تترتب على الوحدة الإقليمية، بما فى ذلك توزيع أكثر كفاءة للموارد، واقتصاديات الإنتاج الكبير، ومزايا التحرير المتسارع للتجارة بين دول الإقليم، وتخفيض تكاليف بناء وصيانة البنية التحتية الصناعية والمؤسسات.

وبشكل أكثر جذرية فإن كثيرا من الناس يأملون أن يمكن التعاون الإقليمى عددا من الدول من طرح تناقضات الماضى وراء ظهورها وإنشاء علاقات دائمة من السلام والود.

---

(٢٣٦) أنشئت منظمة الدول الأمريكية خلال المؤتمر الدولى التاسع للدول الأمريكية الذى انعقد فى بوجوتا سنة ١٩٤٨، والذى صدر عنه "ميثاق بوجوتا" المنشئ للمنظمة. وقد أنشأ الميثاق أجهزة تنظيمية هى المؤتمر الأمريكى (مؤتمر القمة) ويجتمع مرة كل خمس سنوات، ومجلس وزراء الخارجية، وهو بمثابة جهاز التنسيق، والاتحاد الأمريكى، وهو بمثابة الأمانة. ويلاحظ أن إنشاء المنظمة جاء فى العام التالى لمعاهدة ريو، والتى كانت بمثابة حلفا عسكريا. ومن ثم، فإن منظمة الدول الأمريكية انشئت لاستكمال المهمة التى جاءت معاهدة ريو لتحقيقها، وهى مكافحة الشيوعية فى نصف الكرة الغربى. وقد وظفت الولايات المتحدة المنظمة لتحقيق هذا الهدف؛ فتم طرد كوبا من المنظمة سنة ١٩٦٢ بعد تحولها إلى الشيوعية، واستعملتها للتدخل فى الدومينيكان سنة ١٩٦٥ .

(٢٣٧) أنشئت جامعة الدول العربية حينما أخذت مصر زمام المبادرة بتوجيه الدعوة إلى ممثلى حكومات الدول العربية لمناقشة مسألة إنشاء تنظيم إقليمى عربى. وهكذا، انعقدت لجنة تحضيرية فى الإسكندرية برئاسة مصطفى النحاس، رئيس وزراء مصر آنذاك، خلال الفترة من ٢٥ سبتمبر حتى ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤. وقد أسفرت الاجتماعات عن إصدار "بروتوكول الإسكندرية" فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ووقع عليه ممثلو العراق، وسوريا، ولبنان، ومصر، وشرقى الأردن. وقد تضمن البروتوكول الأساس الذى يقوم عليه التنظيم المقترح والذى أطلق عليه جامعة الدول العربية. وفى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ انعقد المؤتمر العربى العام فى القاهرة بحضور ممثلى ست دول عربية هى مصر، وسوريا، ولبنان، والعراق، وشرقى الأردن، والسعودية، وتمت الموافقة على الميثاق ودخل حيز التنفيذ فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٥. وفيما بعد وقعت اليمن الميثاق واعتبرت من الدول المؤسسة. ويبلغ عدد الدول الأعضاء حاليا ٢٢ دولة عربية وقد حدد الميثاق أجهزة جامعة الدول العربية فى مجلس الجامعة، والأمانة العامة، واللجان الفنية .

طهرانيان: أعتقد ذلك أيضًا. فهناك "نظام اللاحرب" يتم إنشاؤه بشكل سريع فى الاتحاد الأوروبى، ومنذ إنشائه اضطلع الأسيان بدور أساسى فى كبح عدة صراعات إقليمية كان يمكن أن تصل إلى حافة الحرب.

إيكيدا: كان على الاتحاد الأوروبى أن يتغلب على عدد من العقبات قبل أن ينجح نهائيا فى إصدار اليورو، وهى العملة الموحدة. ما دفع الاتحاد الأوروبى إلى ذلك - على ما أعرف - هو الالتزام الشعبى القوى بالسلام، والاعتقاد الراسخ أن توحيد العملة سيجعل من احتمال نشوب الحرب أمرًا مستحيلاً.

لقد أصبح على حكومات دول الاتحاد الأوروبى أن تنقل بعضًا من حقوقها السيادية، كحقها فى إصدار العملة، إلى البنك المركزى الأوروبى، وإلى المفوضية الأوروبية، ولذلك، فقد تضاءل دور الدولة نسبيا، وسقطت الحواجز التى تفصل بين الدول الواقعة فى الإقليم.

طهرانيان: بالتوازى مع إلغاء الحدود بين الدول الأعضاء، أصبحت اللامركزية أكثر بروزا فى كل دولة من دول الاتحاد الأوروبى، فالمدن، والوحدات والتنظيمات المحلية ذات المصالح المشتركة، أصبحت تقوى روابطها، متخطية إطار الدولة.

مطلوب: جماعة شمال شرق آسيوية

إيكيدا: إن الاستعراض السريع للتاريخ يوضح لنا أن معظم الحروب تمت بين دول تشترك فى الحدود أو بين دول متجاورة.

وكما أشرتم يا دكتور طهرانيان، فإن تكوين الجماعات الإقليمية يعمل بالفعل كآلية لمنع الأعمال العدائية المسلحة المحتملة داخل الإقليم. وبالنظر إلى تلك الحقائق، فإننى آمل قبل كل شئ أن يتم تكوين جماعة إقليمية لشمال شرقى آسيا تشمل اليابان، والصين، وشبه الجزيرة الكورية.

لقد زرت كوريا الجنوبية فى مايو سنة ١٩٩٩، وهناك قابلت الدكتور شوى يونج سيك(٢٣٨)، مؤسس ومدير جامعة كيونج هى(٢٣٩). وخلال محادثاتنا، عبر الدكتور شوى عن أمله فى تكوين جماعة شمال شرق آسيوية.

طهرانيان: إن السلام فى شمال شرقى آسيا هو أحد أهم قضايا الجماعة الدولية. لقد أصبح الأمر ملحًا للغاية، أن نجد إطارًا قابلا للحياة لحل القضية.

إيكيدا: وقد قال الدكتور شوى عن هذا الموضوع ما يلى:

"رغم تاريخها الطويل فى الحروب المتكررة، فإن لدى أوروبا حاليا الاتحاد الأوروبى. وهى فى طريقها لأن تصبح دولة كبرى واحدة. لماذا لا يوجد فى شمال شرقى آسيا شئ من هذا القبيل؟ فى إقليمنا يجب أن تتشارك اليابان، وجمهورية كوريا، والصين لإنشاء جماعة".

تخيل موقفًا تتعاون فيه اليابان، وجمهورية كوريا، والصين مع بعضها، وتنضم إلينا الولايات المتحدة كدولة باسيفيكية، ويليها روسيا، فمن الذى سيجرؤ أصلاً على شن الحرب فى هذه الظروف؟ إن كوريا الشمالية (جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية) ستجد أن السلام هو الطريق الوحيد المتاح أمامها(٢٤٠).

---

(٢٣٨) شوى يونج سيك، مؤسس ورئيس جامعة كيونج هى فى كوريا الجنوبية، وهى جامعة تجسد مبادئ الأمم المتحدة، حيث تغرس من خلالها قيم المجتمع العالمى. حصل على جائزة "المواطن العالمى" من جامعة هارفارد.

(٢٣٩) جامعة كيونج هى، جامعة كورية جنوبية خاصة، تأسست سنة ١٩٤٩ فى سول، تتميز بأن بها نظاما تعليميا شاملا يبدأ من الحضانة وحتى الدراسات العليا. وتركز الجامعة على التواصل بين الثقافات وشعارها هو "إنشاء عالم متحضر".

(٢٤٠) يلاحظ أن إيكيدا قد استبعد كوريا الشمالية من جماعة شمال شرقى آسيا، بينما ضم إليها الولايات المتحدة، وهى ليست من دول هذا الإقليم، كما أنه أشار إلى كوريا الجنوبية باسمها الرسمى (جمهورية كوريا)، بينما أشار إلى اسم كوريا الشمالية بين قوسين. كما اعتبر الجماعة المقترحة عنصر ضغط على كوريا الشمالية وليست إطارًا تشارك فيه، وهو بذلك يتبنى وجهة النظر الأمريكية حول الأمن فى شمال شرقى آسيا.

لطالما فكرت فى هذا الموضوع لسنوات، وقد أعلنت وجهات نظرى حول السلام فى شمال شرقى أسيا. ولهذا، فقد اتفقت مع الدكتور شوى على أن تقوم جامعتانا : كيونج هى، وسوكا، بالعمل معًا لتحقيق هذه المهمة التاريخية خلال القرن الحادى والعشرين.

إيكيدا[٢٤١]: إن شبه الجزيرة الكورية مقسمة منذ نصف قرن، ولكن، أخيرًا، وفى سنة ٢٠٠٠، أدت اللقاءات المباشرة بين قادتى كوريا الشمالية والجنوبية إلى إطلاق تغيرات تاريخية من عقالها.

طهرانيان: بما أنك طالبت مرارا بهذا اللقاء، فلابد إنك كنت سعيدًا جدًا به.

إيكيدا: نعم. لقد اقنعنى بشكل أقوى أن عصر عدم التنازع والحوار قد أشرق أخيرا.

ورغم ذلك فإن هذا لا يعنى أنه لا توجد مناطق اضطراب أخرى. فعلى غرار القضية الكورية، فإن مشكلة الشرق الأوسط تلوح بشدة فى أفق السياسة الدولية. وتقوم الولايات المتحدة بالوساطة بين الإسرائيليين والفلسطينيين. وأنت متخصص فى هذا الحقل وستكون أفكارك حول هذا الموضوع بالغة الإفادة لنا، خاصة أننا نحن اليابانيين ننحو إلى رؤية الشرق الأوسط على أنه منطقة بعيدة جغرافيا وسيكولوجيا.

طهرانيان: إن الصراع العربى - الإسرائيلى هو من أكثر الصراعات تعقيدا ومأساوية فى العالم. ولهذا الصراع تاريخ طويل، ولسوء الحظ، فإنه لن يتلاشى قريبًا. وخلافا للرأى السائد، فإن هذا الصراع ليس صراعًا دينيًا، ولكن التعصب الدينى أدى إلى تعقيده.

إيكيدا: ويعنى ذلك أنه من الممكن إيجاد حل لهذا الصراع، رغم صعوبة الوصول إليه. وبالتالى، فإنه يعنى أن الوقت قد حان لمنهج عملى تفاؤلى.

طهرانيان: صحيح تماما. لقد عاش اليهود والمسلمون معًا فى غربى أسيا لقرون طويلة. والحق، أن اليهود تبوأوا مناصب رفيعة كعلماء، وإداريين فى الإمبراطوريات

(٢٤١) فى هذا الجزء تحدث إيكيدا، ولأول مرة فى الكتاب، مرتين متتاليتين دون تدخل من طهرانيان .

الإسلامية العباسية، والعثمانية، والصفوية. لقد كانوا إحدى المجموعات الدينية التى تمتعت باستقلال كبير فى ظل الحكم الإسلامى.

إيكيدا: وقد غير صعود هتلر كل شىء.

طهرانيان: نعم. فبعد أن بدأ اليهود فى اللجوء إلى فلسطين تحت الانتداب البريطانى، أُجبر الفلسطينيون على النزوح عن منازلهم ومزارعهم. وقد تحقق ذلك مبدئيا من خلال الشراء الصريح للأراضى من الملاك العرب، وهو الأمر الذى قامت به الوكالة اليهودية لتوفير المستوطنات للمهاجرين الجدد. ولكن هذا النوع من المعاملات ترك أثرًا على المزارعين الذين يعيشون على تلك الأرض. فقبل ذلك، عندما كانت تتغير ملكية الأرض كان المزارعون يظلون فى الأراضى، ولكن عندما بيعت الأرض لتوفير السكن للمستوطنين اليهود، كان على المزارعين العرب أن يغادروها.

إيكيدا: وقد أدى ذلك إلى تغيير العلاقات بين العرب واليهود. فقد تراجع التعايش السلمى السابق وحل محله ذلك النوع من العلاقات المتوترة الذى ينزع إلى تغذية التنازع.

طهرانيان: خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، أصبحت الجماعات العربية واليهودية أكثر نزوعًا نحو القومية، وتطلعت إلى التخلص من الحكم الاستعمارى البريطانى. وفى الوقت ذاته، فقد أعطت بريطانيا للطرفين وعودًا بإنشاء وطن قومى لهم، لكى تضمن دعمهم لجهودها الحربى(٢٤٢).

إيكيدا: فى الوقت الذى كان فيه البريطانيون يتصرفون فى إطار أنانية القوة الكبرى، زادت المشكلة تعقيدًا.

طهرانيان: نعم. ومع حلول موعد رحيل القوات البريطانية سنة ١٩٤٧، صوتت الأمم المتحدة لصالح قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين، يهودية وعربية. وبعد انسحاب

(٢٤٢) المقصود بذلك هو المجهود الحربى البريطانى فى المشرق العربى ضد الدولة العثمانية فى أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨).

القوات البريطانية، أعلنت إسرائيل استقلالها سنة ١٩٤٨ . وحينئذ قامت الدول العربية التى رفضت قرار التقسيم بمهاجمة إسرائيل الجديدة.

إيكيدا: لقد كانت حرب عامى ١٩٤٨ - ١٩٤٩ هى بداية سلسلة من أربعة حروب كارثية فى الشرق الأوسط، وقد حدثت الحروب الأخرى فى أعوام ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣، وقد وقع الكثير ضحايا لتلك الحروب، وقد كنت مهتمًا إلى حد بعيد بتلك الحروب وتبادلت الرأى حولها مع وزير الخارجية الأمريكى السابق هنرى كسينجر. ونتيجة لتلك الحروب، وبفضل الدعم العسكرى والسياسى الأمريكى، فقد توسعت إسرائيل إقليميا.

طهرانيان: لقد بدأت عملية السلام بين العرب والإسرائيليين تتغير بشكل درامى مع زيارة الرئيس المصرى أنور السادات للقدس. وفى سنة ١٩٧٩ وقعت إسرائيل ومصر "اتفاقات كامب ديفيد"[٢٤٣] ، والتى نصت على الانسحاب الإسرائيلى التدريجى من شبه جزيرة سيناء. ولكن تلك الاتفاقات تركت سبعة قضايا حساسة دون حل:

- الضم الإسرائيلى لمرتفعات الجولان.
- احتلال إسرائيل للضفة الغربية[٢٤٤] .
- إعلان إسرائيل المنفرد بأن القدس هى عاصمتها.
- الصدامات بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود الجدد فى الضفة الغربية[٢٤٥].
- عودة اللاجئين الفلسطينيين.
- إنشاء دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية[٢٤٦].
- الضمانات الأمنية المتبادلة لإسرائيل وفلسطين.

---

(٢٤٣) وقعت اتفاقات كامب ديفيد فى سبتمبر سنة ١٩٧٨، ويبدو أن طهرانيان يقصد معاهدة السلام المصرية-الإسرائيلية التى وقعت سنة ١٩٧٩ .

(٢٤٤) لا يشير طهرانيان هنا إلى احتلال إسرائيل لقطاع غزة أيضًا.

(٢٤٥) مرة أخرى لا يشير طهرانيان إلى المستوطنين اليهود فى قطاع غزة.

(٢٤٦) للمرة الثالثة لا يشير طهرانيان إلى شمول الدولة الفلسطينية لقطاع غزة.

إيكيدا: أين نجد مفتاح حل تلك المشكلات؟

طهرانيان: تدور المشكلة حول الادعاءات المستمرة للجانبين بالأحقية فى الأرض ذاتها. يجب أن نتذكر أن هذا الصراع ليس صراعًا بين الحق والباطل. إنها مشكلة الحقوق الإسرائيلية فى مواجهة الحقوق العربية. يجب أن نتخلى عن أوهام توجيه اللوم إلى طرف، وعن الأفكار التقليدية المتعلقة بالسيادة الوطنية المانعة.

إيكيدا: ولهذا يجب أن يكون لدى القادة على الجانبين الشجاعة للبحث عن حلول وسط مبتكرة. يجب أن يتعلموا من مآسى الماضى وأن يتعاونوا، فالتعاون يؤدى إلى توفير الشروط اللازمة للفهم المتبادل. فرغم أنهم ينتمون إلى أمم مختلفة إلا أنهم يشتركون فى الإنسانية المشتركة. ولهذا، فإننى متفائل، وكلى أمل.

طهرانيان: أوافق. فالحل العادل يجب أن ينهض على السيادة المشتركة على القدس، وهى مدينة مقدسة لليهود، والمسيحيين، والمسلمين على حد سواء. وهذا الحل يجب أن يتضمن إنشاء دولة فلسطينية جديدة فى الضفة الغربية فى إطار ترتيب فيدرالى مع إسرائيل[٢٤٧].

يجب أن نترك التفاصيل لصانعى السلام المتمرسين، والوسطاء الحكماء، والسياسيين الشجعان على الجانبين، فالسلام ضرورة تاريخية. ويجب أن نعتبر السنوات الخمسين الأخيرة بمثابة حالة شاذة فى القاعدة التاريخية للتعايش السلمى بين اليهود، والمسلمين، والمسيحيين.

إيكيدا: نعم، فقد أصبح التحرك فى اتجاه التعايش السلمى أمرًا حتميًا. لدى آمال عظيمة فى مستقبل الشباب الذين يعيشون فى الشرق الأوسط فى القرن الحادى والعشرين. إن تصور أن الشباب العربى والإسرائيلى يعرف ويتفهم بعضه بعضًا بشكل أفضل، يلهمنى برؤية مشرقة للمستقبل ويعزز اعتقادى فى أهمية المبادلات التعليمية.

---

(٢٤٧) لا يشير طهرانيان مرة رابعة إلى أن الدولة الفلسطينية تشمل قطاع غزة. كما أن حديثه عن دولة فلسطينية ذات علاقة فيدرالية مع إسرائيل ليس مقبولاً لدى السلطة الفلسطينية، لأنها بذلك ستكون دولة غير ذات سيادة.

طهرانيان: أعتقد أنها لفكرة رائعة أن نبدأ بالمبادلات التعليمية. هناك فى أوروبا محاولات يتم بذلها لدعم الشعور بالوحدة كمواطنين أوروبيين فى الوقت الذى يتم فيه احترام كل الثقافات واللغات المتنوعة في الإقليم. وقد بدأ بالفعل تطبيق مشروعات التبادل الطلابى الضخمة، مثل "برنامج سقراط"(٢٤٨).

ويعد التكامل الإقليمى مهما فى مجالات أخرى غير دعم السلام، ذلك أنه يمكن اعتباره بمثابة نقطة انطلاق نحو التكامل الاقتصادى والثقافى العالمى.

إيكيدا: تقصد أن التكامل الإقليمى الناجح يمكن بدوره أن يدفع التقدم الثابت فى اتجاه التضامن العالمى، والتحول الديمقراطى، أليس كذلك؟

طهرانيان: هذا صحيح، فلدينا بالفعل أسواق متكاملة ضخمة تشمل "رابطة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية" (نافتا)، والاتحاد الأوروبى، واليابان، والميركوسور، بهذا الترتيب. والآن تخطت الصين الولايات المتحدة واليابان فى الأداء الاقتصادى خلال العقدين الأخيرين. فإذا استمر هذا الاتجاه بالمعدل ذاته أو بمعدل أقل قليلاً فإن الصين قد تصبح أكبر اقتصاد فى العالم فى النصف الأول من القرن العشرين.

ولا شك أنه يجب على هذه الكتل الإقليمية، وعلى هؤلاء العمالقة الاقتصاديين أن يجدوا طريقًا ليس فقط للتعايش، ولكن لتحقيق الازدهار المشترك، وإلا - وكما يقول المثل الشعبى الأفريقى : "عندما تتصارع الفيلة، تعانى الحشائش"- فالشقاق بين الكبار يُلحق البؤس بالصغار.

---

(٢٤٨) "برنامج سقراط" برنامج تعليمى ينظمه الاتحاد الأوروبى، يتضمن ٣١ دولة أوروبية وتركيا، ويتضمن البرنامج تعلم اللغات والاتصال بين المثقفين. .

دور منظمة التجارة العالمية فى صورة نسق اقتصادي للتنوع

إيكيدا: لكى يتم تطوير أعمال الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات)(٢٤٩)، ثم عقد جولات من المفاوضات الساعية لتحرير التجارة الدولية، تم إنشاء منظمة التجارة العالمية، سنة ١٩٩٩(٢٥٠). والآن، ما هو الدور الذى ينبغى أن تقوم به فى تقديرك، منظمة التجارة العالمية من أجل إنشاء نظام دولى يضمن تغيير القواعد الحالية التى تكرس "قانون الغاب"، وهى القواعد التى تحابى بوضوح مجموعة معينة من الدول، وإنشاء نظام جديد موجه نحو حماية مصالح وكرامة كل دولة؟

---

(٢٤٩) تم توقيع الاتفاقية العامة للتجارة و التعريفات (الجات) فى أبريل سنة ١٩٤٧، واستمرت حتى ديسمبر سنة ١٩٩٤ حين حل محلها منظمة التجارة العالمية. وقد تأسست الجات بموجب بروتوكول تصور واضعوه أنه سيكون مؤقتًا لحين وضع ترتيبات التجارة الدولية بعد الحرب. كان الهدف من الجات هو تحرير التجارة الدولية عن طريق تخفيض الرسوم الجمركية، والقيود غير الجمركية على التجارة. واعتمدت الجات فكرة "الدولة الأولى بالرعاية"كأسلوب لتعميم أى ميزة توافق الدولة على منحها للدول الأخرى، مما يحرر ويزيد التجارة الدولية. ويقصد بفكرة "الدولة الأولى بالرعاية" أن أية ميزة تمنحها دولة إلى دولة أخرى عضو تنسحب تلقائيًا إلى الدول الأخرى الأعضاء. وقد أصبحت الجات بمثابة آلية للتفاوض بين الدول الأعضاء حول تحرير التجارة الدولية وإقرار مبادئ عدم التمييز بين الدول أو بين المنتج الوطنى والمنتج الأجنبى، وتجنب سياسة الإغراق.

(٢٥٠) أنشئت منظمة التجارة العالمية طبقًا لاتفاقية جولة أورجواى سنة ١٩٩٤ لكى تحل محل الجات، وهو ما حدث ابتداء من ١ يناير سنة ١٩٩٥ . وطوال سنة ١٩٩٥ ، حدث تحول تدريجى من الجات إلى منظمة التجارة حيث التقى أعضاء الجات، البالغ عددهم ١٢٨ دولة، لآخر مرة فى ديسمبر سنة ١٩٩٥، وانضموا رسميا إلى المنظمة بعد إيداع وثائق التصديق على اتفاقيتها. وتتميز منظمة التجارة العالمية باتساع نطاق اختصاصاتها، وعلو سلطاتها بالمقارنة بالجات. فللمنظمة سلطة إدارة ومراقبة اتفاقات مناطق التجارة الحرة القائمة والمستقبلية، ومراقبة الممارسات التجارية العالمية، وتسوية المنازعات التجارية بين الدول الأعضاء. وبينما كان اختصاص الجات مقصورًا على السلع، فإن اختصاص المنظمة يشمل أيضًا الخدمات التجارية كخدمات التليفون الدولية، وحماية حقوق الملكية الفكرية. كذلك، فبينما لم يكن للجات هيكل مؤسسى محدد، فإن المنظمة ذات إطار مؤسسى محدد، فلها "مجلس عمومى" يتكون من ممثلى الدول الأعضاء، ومؤتمر وزارى ينعقد مرة كل عامين، ومدير عام يشرف على عمل المجلس العمومى ولها مقر دائم فى مدينة جنيف. ومع نهاية سنة ٢٠٠٢ كانت الجات تضم ١٤٤ عضوًا. وقد انتقد البعض منظمة التجارة العالمية تأسيسًا على أنها تتمتع بسلطات تفوق سلطات الدول حيث إن من سلطتها إعلان أن بعض قوانين الدول تخالف لوائح التجارة المعتمدة لديها، كما أنها لا توفر الحماية الكاملة للبيئة، والعمال، والصحة، وبالتحديد قدرة أبناء الدول النامية على الحصول على الأدوية بسعر مناسب. هذا بينما يرى أنصارها أن الدور الذى تقوم به المنظمة فى زيادة حجم التجارة العالمية إنما يؤدى إلى رفع مستوى المعيشة فى جميع الدول.

طهرانيان: حسنا، نحتاج إلى تقوية أجهزة تسوية المنازعات فى منظمة التجارة العالمية بحيث تستطيع الدول الغنية والفقيرة، الكبيرة والصغيرة، أن تستفيد وتساعد بعضها البعض لتنمية الصناعات الناشئة، بدلا من القتال ضد بعضها حتى النهاية. يجب أن تسود مبادرات العمومية، والشفافية، والتحرر من العلاقات التجارية القديمة.

وكما قال غاندى: "يوجد فى العالم ما يكفينا جميعا، ولكن لا يوجد به ما يكفى أطماع شخص واحد"، يجب أن تكون هناك فرصة لكل اقتصاد - كبير أو صغير - أن ينمو ويتنوع. فالسوق العالمية المتكاملة ليست السوق العالمية المتماثلة. التكامل لا يعنى التماثل. ذلك أن التكامل يرسخ التنوع فى الوحدة، بينما يهدف التماثل إلى التطابق. التنوع هو الحياة، والتطابق هو الموت.

وعلى التجمعات الإقليمية أن تشجع كلا من تنوع الصناعات، والتخصص على أساس الميزة النسبية. يجب أن تسمح التجارة العالمية للتنوع والتخصص أن ينموا ويزدهرا، ودور منظمة التجارة العالمية هو أن تضع هذا التوجه على مسار راسخ.

إيكيدا: بدأنا نسمع مؤخرًا عن مصطلح "المنافسة الكبرى". يبدو أن التنافس قد أصبح هو القاعدة فى أيامنا تلك. ورغم ذلك، فإنه بهذا المعدل فإن من المحتوم أن توجد دول وشعوب لا تستطيع أن تجارى الآخرين، وبالتالى فإنها تتراجع فى السباق، وتشعر بالاغتراب عن الجماعة الدولية. وقد يتجذر التمييز بنيويًا، بما يؤدى إلى إطلاق أثر ارتدادى على الدول الأخرى فى شكل صراعات، وإرهاب ونزوح اللاجئين.

ولكى نمنع تلك الحلقة المفرغة، يجب أن نبحث عن طريق يضمن الرخاء المتبادل فى الوقت الذى يعزز فيه التنوع والتخصص. أتفق معكم حول تلك النقطة.

يجب ألا تؤدى التكتلات الإقليمية إلى عرقلة تنوع التجارة العالمية، والحق أن تلك التكتلات يجب أن تنمى هذا التنوع فى داخلها، وفى خارجها. وكما قلتم، فإن منظمة التجارة العالمية هى فى موقع يسمح لها أن تقدم مجموعة محددة من الإرشادات التى تعرف، وتحفز "الإقليمية المفتوحة".

طهرانيان: من الآن فصاعدا، ستصبح "الإقليمية المفتوحة" مفهوما مهما بشكل متزايد، ليس فقط فى الاقتصاد ولكن أيضًا فى السياسة والثقافة.

إيكيدا: من ناحية أخرى، إذا اتسمت الجماعات الإقليمية بطابع مانع فى مواجهة الأقاليم الأخرى سواء على المستوى السياسى أو الاقتصادى، أو إذا أصبحت جماعات تركز على مصالحها فقط بما يؤدى إلى تعميق التنازع والصراع مع بقية العالم، فإنها بذلك ستدفع عقارب ساعة التاريخ إلى الوراء.

طهرانيان: يمكن أن تصبح الجماعة الإقليمية التى تأخذ شكل القلعة الحصينة، بمثابة التهديد الجديد للسلام والأمن العالميين فى القرن الحادى والعشرين، وبالذات إذا حدث كساد اقتصادى عالمى، واضطرت الدول إلى إنشاء مجموعات دفاعية. فأوروبا القلعة فى مواجهة أمريكا القلعة، فى مواجهة آسيا القلعة، لا يشكل أفقًا للسلام.

إيكيدا: إن التغلب على النظرة الجزئية واستثناء الغير هو مناط الاهتمام المستقبلى للإقليمية. والحق إن العامل المحورى الذى سيحدد شكل القرن القادم(٢٥١)، هو ما إذا كان سيتم توجيه الطاقة المتولدة عن التكامل الإقليمى نحو الجهود البناءة لإنشاء نظام عالمى جديد من السلام والتعايش، وليس نحو التصرفات الهدامة المؤدية إلى الانقسام والمواجهة.

فالبشر، وليست الحكومات أو الأسواق، هم من سيحددون مسار التاريخ. يجب أن يكون البشر هم الفاعلون الرئيسيون. وكما أكدنا مرارًا فى حوارنا يجب أن يكون الحوار "المفتوح" والتبادل بين البشر على مستوى الفرد، بمثابة المحدد لكل الجهود الدولية من أجل التغيير البناء.

---

(٢٥١) المقصود هو القرن الحادى والعشرون.

الحرية والخيارات الإنسانية

إيكيدا: فى ختام حوارنا حول الحوار، أود أن اقترح أن نتحدث عن "المقدرة الإنسانية الكامنة"، التى تفتح الطريق نحو المستقبل. فالمستقبل لا يأتى من تلقاء ذاته. فأى عصر جديد لا يبدأ إلا إذا فتح له البشر الأبواب، وفى تقديرى، فإن كلمات مثل "البديل"، و"الاختيار"، تشير إلى قوة الإرادة لدى البشر الذين يدشنون المستقبل بشجاعة.

"البديل" الذى أتحدث عنه هنا هو اتخاذ قرار صريح وغير مشروط، وليس مجرد تفضيل أو اختيار نسبى للبديل (أ) أو البديل (ب). ما أتحدث عنه هو تصرف يتضمن اختيار طريق معين للعمل يتأسس عليه الوجود الكلى للإنسان، تماماً كما كان غاندى أصبح ناشطا "معاديا للعنف" لأنه لم يكن من الممكن له أن يختار طريقًا أخرى.

طهرانيان: أوافقك بكل جوارحى. فالاختيار هو مسمى آخر للتحدى الإنسانى للمستقبل، ومعناه عميق وثقيل.

فالبشر ليسوا أحرارا تماماً فى فعل أى شئ يريدونه فى الحياة، فما لدينا هو حرية هامشية. وحريتنا مقيدة بمصيرنا وبالكارما(الظروف الطبيعية والاجتماعية) والمؤسسات التى تشكلنا وتحكمنا بشكل غير مباشر (العائلة، والمدرسة، ومكان العمل، والاقتصاد، والحكومة)، والواقع الذى قمنا بتشكيله لعلاقات وأنشطة معينة.

الاختيار هو الحاصل الكلى لعملية واعية لصنع القرار، تؤدى إلى تعظيم حريتنا من خلال الوعى بالقيود المفروضة علينا. وللغرابة، فإن حريتنا تزداد كلما زاد وعينا بتلك القيود. وكلما عرفنا ما ينبغى عمله، زادت حريتنا.

إيكيدا: هذه عبارة عميقة. يجب أن يختار البشر مستقبلهم بشكل واع، ولا يمكننا أن نكون أحرارا بشكل حقيقى إلا فى إطار هذه العملية الروحية والعقلية. إن ما تقوله يتفق مع أحد تعاليم البوذية. فأحد الأشياء التى قالها شاكيامونى لحوارييه قبل وفاته: "عليك أن تصير مرشد قلبك، ولكن لا تدع أبداً قلبك يصير مرشدك".

بعبارة أخرى، محفور فى أعمق أعماق حياة الإنسان ذلك القانون العظيم. حينما تلتزم بهذا القانون تصير حراً حقيقة، فالحرية وعدم الالتزام تفصلهما فراسخ وأميال. وكما قلتم بحق، فإن الاختيار هو التصرف البشرى الأكثر جوهرية والأكثر استقلالا. ففى الاختيار أنت لست مدفوعاً بالظروف المحيطة بك ولا تتجاذبك الأنا الصغيرة أو المصير.

طهرانيان: تنحو المجتمعات التقليدية إلى الاعتقاد فى القدرية، وبالعكس، تؤكد المجتمعات الحديثة على الحرية الإنسانية، ولكن من الواضح أن القوة، والتهديد باستخدام القوة، والترتيبات المؤسسية التى وقعنا فى شركها، تلعب دوراً مهماً فى تحديد سلوكنا. فالعالم الزمنى محكوم بالضرورة. والعالم الروحى هو عالم الحرية، والاختيار، وصفاء العقل.

تفاؤل الإرادة، وتشاؤم العقل

إيكيدا: تذكرنى كلمة "الاختيار" بكتاب صديقى العزيز الراحل نورمان كازنز،(٢٥٢) المسمى "البدائل الإنسانية" (١٩٨١). فتقول إحدى عبارات الكتاب:

"أهم ما تعلمته هو أن أحد العناصر الجوهرية للتفرد الإنسانى هو القدرة على خلق وتطبيق بدائل جديدة والاختيار بينها".

أجد تلك العبارة مفعمة بالأمل. فالتفاؤل بمعناه الحقيقى يتخلل كل أنحاء فكر نورمان كازنز، ومثل هذا التفاؤل هو شعارى.

طهرانيان: فى التحليل الأخير، أعتقد أن الحب، والتعاطف، وعادات القلب(الولع) تنفذ فى خلايا العلاقات الإنسانية تماماً كما يقوم الماء بتليين أكثر الأراضى صلابة.

إيكيدا: أعتقد أن ما سيمكن البشرية من تحرير ذاتها من ظلمات عصرنا التى

---

(٢٥٢) نورمان كازنز (١٩١٥ - ١٩٩٠) كان مؤلفاً وأستاذاً جامعيا ومدافعاً عن السلام العالمى.

تعمها العدمية[٢٥٣] ، هو وجود دافع قوى نحو "الثورة الإنسانية"، و"التفاؤل" المستند إلى الثقة المطلقة فى البشرية، مقرونة "بحوار الحضارات" ومطبقة بروح هذا الدافع والتفاؤل.

لقد قال نورمان كازنز فى كتابه البدائل الإنسانية "إن نقطة البدء نحو إنشاء عالم أفضل هى الاعتقاد أن إنشاء هذا العالم أمر ممكن". يجب أن نبدأ بصياغة رؤية واضحة للعالم المنشود، وللاتجاه الذى نعتقد أن الزمان ينبغى أن يسلكه.

طهرانيان: سبق أن وضع أنطونيو جرامشى (١٨٩١ - ١٩٣٧)، المفكر الماركسى الإيطالى، تحديًا مزدوجًا أمام رفاقه. لقد طالب بتشاؤم العقل، وتفاؤل الإرادة.

إن المثال الذى قدمتموه يصور كيف يمكن تحقيق هذه التوليفة الصعبة. فمن ناحية، لا تتضمن كتاباتك أبدا تفاؤلا ساذجًا، فأنت دائما واقعى ونقدى، وهو ما يسميه البعض أحيانا تشاؤما فيما يتعلق بتراث القرن العشرين من الحرب والدمار. ولكن من ناحية أخرى، فقد برهنتم من الناحية العملية على صدق المثل الشعبى الصينى: "من الأفضل أن تضئ شمعة من أن تلعن الظلام ألف مرة". لقد قمت باتخاذ مبادرات شخصية لتنظيم أنشطة متعددة لتحقيق السلام، وفى مجالى التعليم والثقافة أيضًا.

إيكيدا: أفضل أن أفهم كلماتك الرقيقة عنى، ليس كتقييم لأنشطتى السابقة، بقدر ما هى تعبير عن توقعاتك لأنشطتى القادمة.

أتذكر سلسلة حواراتى مع الدكتور توينبى عامى ١٩٧٢ و ١٩٧٣ . فمن خلال رؤيته العريضة للتاريخ الإنسانى، اعتبر أن الصراع بين الرأسمالية والشيوعية بمثابة صراع ثانوى، بالمقارنة بالحوار بين الأديان.

---

(٢٥٣) العدمية فلسفة تؤكد أن الوجود الإنسانى الماضى والحاضر ليس له معنى موضوعى أو هدف أو قيمة أساسية، وتؤكد بالتحديد أنه لا يوجد دليل على وجود خالق أعظم، أو "أخلاق حقيقية"، وأن الحياة ليس بها حقيقة ثابتة، وبالتالى لا يوجد سلوك يفضل غيره. ولعل من أشهر رواد تلك الفلسفة الفيلسوف الألمانى فريدريك نيتشه ويرى البعض أن فلسفة ما بعد الحداثة هى امتداد للفلسفة العدمية.

لقد أشار إلى الحوار بين المسيحية والبوذية، ولكننى أعتقد أنه كان يقصد أن "الحوار بين الحضارات" الذى أجريناه هو أهم ما نحتاجه فى وقت تتجه فيه البشرية نحو العولمة، كما أنها تتحول لكى تصير عائلة عالمية واحدة. وعندما انتهينا من محادثتنا الطويلة والثرية، قال لى الدكتور توينبى: "آمل أن تجرى حوارات مماثلة فى السنوات القادمة". لقد عهد لى بمهمة استمرار "حوار الحضارات" مع قادة العالم السياسيين والمثقفين.

ربما كان حوارنا متواضعًا، ولكننى مقتنع أنه يمثل خطوة إلى الأمام فى عملية بزوغ تاريخ جديد.

طهرانيان: تنظر الصوفية إلى التطور الروحى باعتباره رحلة. والسلام أيضًا رحلة، لا يمكن الوصول إلى نهايتها بسرعة. فالبحث عن السلام فى حد ذاته هو المهمة. لقد ظل الصراع والتوتر عنصران لامتناهيين فى التاريخ الإنسانى، ولكن علينا أن نسير قدما دون أن نفقد الأمل.

رحلة من أجل السلام: روابط وليست قيودًا

إيكيدا: البشر ليسوا كائنات هزيلة وعابثة خاضعين لمصائرهم. فالحياة البشرية موهوبة بإمكانات ، فلا نهائية يجب ألا نتخلى أبدا عن جهودنا لبناء مستقبلنا.

طهرانيان: هذا هو البرهان الحقيقى على أننا بشر.

فى لقائنا الأول سنة ١٩٩٢، اكتشفت أننا روحان من أصل واحد. أتذكر هذا اليوم بوضوح. أتذكر أننى أرسلت لك رسالة فى اليوم التالى بعنوان، "هدية الصداقة" والتى جاء فيها:

التقينا غرباء

ولكتنا أصبحنا أصدقاء بسرعة

عبر الزمان والمكان

والحديث الذى يفصل بيننا

أقمنا

رابطة بلا قيود

صلة بلا سلاسل

وحدة بلا دول

فى مملكة الروح

لغتنا النابعة من القلب

أحلى من

لغات اللسان

(التى تفرقنا بعضنا عن بعض)

فهى تجلب لنا

المتعة

التى توحدنا

فى تشوقنا

إلى العبور

إلى ما وراء المنتهى والهشاشة

اللذين يميزان أزمنتنا وأمكنتنا

وخطاباتنا

ومعاناتنا

إيكيدا: إنها مقطوعة رائعة تلخص حواراتنا. ستظل دائما في هذا العالم قوى تسعى إلى قطع الروابط بين البشر، وتقسيمهم. ولكن ليس ثمة صراع، أو نزاع لا يمكن التغلب عليه. يجب أن ندع قوى الخير الكامنة في بني البشر تحتوى قوى الشر التى تسبب الانقسام. يجب أن يكون الحوار بالمعنى الحقيقي للكلمة، بمثابة الخيط الذى يصل بين الشعوب المحبة للخير فى رابطة من التضامن.

وأعتقد أن الصداقة أجمل وأثمن جوهرة يمكن أن تحصل عليها فى الحياة. الصداقة تعنى أن تكون متفهما لأصدقائك وأن تحافظ على حكمتك وأن تفعل ما وعدت أن تفعله. وأن توسع شبكة الصداقة يعنى أن توسع من قاعدة السلام العالمى. قد يكون ذلك طريقا التفافيا ولكنه فى الواقع الطريق الأكثر يقينا واستمرارًا إلى عالم بدون حروب.

الخاتمة

من مجيد طهرانيان:

سيظل يوم ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ لحظة حاسمة فى تاريخ العالم. ففى هذا اليوم برهن الإرهاب على أنه أداة مخيفة، أداة قاتلة للمجتمعات المفتوحة والمنكشفة[٢٥٤] .

إن الجذور المسببة للعنف الإرهابى تكمن فى الاغتراب والعداء الناشئ عن التهميش المنهجى لقطاعات واسعة من سكان العالم، نحن نعيش الآن فى "حوض سمك" عالمى حيث تبدو للعيان كل أنماط الحياة المتناقضة، سواء الأنماط الباذخة أو تلك المتدنية. لقد سبق الاتصال العالمى، الحوار العالمى كما أن الحسد والكراهية تفوقا على التفاهم الدولى. والعدو الذى هاجم أهدافًا فى نيويورك وواشنطن، لم يكن دولة ذات إقليم، ولم يكن دينًا أيضًا. لقد كان العناصر الهامشية لهذا التمرد العالمى ضد التهميش.

إن الظروف الاجتماعية النفسية التى تنشئها العولمة هى الأرض التى تثمر سياسة وهوية التطرف. ويبدو أن الفوضى العالمية الجديدة "تأخذنا إلى نظام عالمى مفتت. وعلى المجتمع العالمى أن يهتم بمصير ٢ بليون نسمة من البشر المهمشين والفقراء الذين يعيشون على حوالى دولارين يوميًا.

(٢٥٤) لم تبرهن الولايات المتحدة حتى الآن أن أعمال العنف فى ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ قامت بها جماعات إرهابية أجنبية، واكتفت بالادعاء .

ولكن أحدا لا يعتقد أنه بإزالة الفقر سينتهى العنف. فالحق أنه لا يوجد بين الإرهابيين البارزين الذين ظهروا فى السنوات الأخيرة، ابتداء من تيموثى ماكفى[٢٥٥]، وحوارى أسامة بن لادن[٢٥٦]، من عانى من الفقر المادى. ولكن ما كان لديهم هو فقر روحى حاد.

إن ترياق العنف هو الحب والتعاطف. إن الأحداث الإرهابية تصدم العالم ليفيق من غفلته، إنها تجعلنا ندرك أننا فى حاجة إلى بناء مؤسسات عالمية للأمن الإنسانى. لا يمكننا بعد اليوم أن ننزوى فى شرنقاتنا. فالقرية العالمية، بكل مزاياها ومصائبها، قد أتت لتبقى.

أين يبدأ الأمن الإنسانى؟ يبدأ باعترافنا جميعا، وقد خبرنا أشكالا مختلفة من الحياة فى كل أرجاء العالم، إن كل نفس بشرية مقدسة، وأنه يجب تنمية تلك النفس حتى تحقق كامل قوتها الكامنة.

سلام وناماستى

مجيد طهرانيان

١٨ نوفمبر سنة ٢٠٠٢

---

(٢٥٥) تيموثى ماكفى (١٩٦٨ - ٢٠٠١) جندى أمريكى سابق أُدين بتهمة تدمير مبنى اتحادى فى مدينة أوكلاهوما فى ١٩ أبريل سنة ١٩٩٥، مما أدى إلى قتل ١١ شخصًا، وأُعدم فى ١١ يونيو سنة ٢٠٠١. وقد قال ماكفى أن ما قام به كان انتقاما لقيام القوات الاتحادية الأمريكية بقتل ٧٦ شخصًا (منهم ٢١ طفلاً) فى حصار واكو أو ما عرف باسم مذبحة واكو فى ١٩ أبريل سنة ١٩٩٣.

(٢٥٦) أسامة بن لادن هو أسامة بن محمد بن عوض بن لادن، ناشط سعودى إسلامى، ولد سنة ١٩٥٧، يعتقد أنه مؤسس تنظيم القاعدة الذى نسبت إليه الولايات المتحدة هجمات ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١.

من دايساكو إيكيدا:

فى خريف سنة ٢٠٠١ وقعت أحداث ١١ سبتمبر المرعبة فى الوقت الذى كانت الطبعة اليابانية من هذا الحوار فى طريقها إلى المطبعة. ومازلت أشعر بالعنف والأسف تجاه هذا العمل المنكر الذى حرم العالم من أرواح ثمينة لا يمكن إحلالها. وكل ما أستطيع أن أقوله هو أن أعيد تأكيد قناعتى، التى عبرت عنها فى مقابلات ومقالات عديدة نشرتها فى ذلك الوقت، وهى أننا لم نولد فى هذا العالم لكى نكره وندمر بعضنا بعضاً.

إن مهمة الشيطان هى الوقيعة بين البشر. إن هذا العالم وأرواحنا هى مسرح لنضال لا ينقطع بين الكراهية والتعاطف. وفى النهاية، فإن الشر الذى ينبغى أن ننتصر عليه هو هذا الدافع الغريزى نحو الكراهية التدمير الكامن فينا جميعًا. يجب أن نستفيد وأن نجدد إيماننًا فى الخير البشرى وفى بعضنا بعضاً.

لقد أصبح الأمر ملحًا الآن، وأكثر من أى وقت مضى، أن نبذل جهداً أكبر لفهم بعضنا بعضًا، وأن ننخرط فى حوار حقيقى. إن الكلمات النابعة من القلب تمتلك قوة تمكنها من تغيير حياة الإنسان. وتستطيع كلمات التشجيع الدافئة والصادقة أن تذيب حوائط عدم الثقة الثلجية التى تفصل بين الشعوب والأمم.

ولتحقيق هذه الغاية، فإننى مصمم أكثر من أى وقت مضى على تحفيز الحوار بين الحضارات. ومازلت أعتقد، وأمل أن تعتقد أنت معى عزيزى القارئ، أنه من خلال قوتنا وكلمتنا نستطيع أن نحرر القرن الحادى والعشرين من مشاعل العنف والحرب، وأن نجعل من زمننا عصرا يستطيع فيه كل البشر أن يعيشوا فى سلام.

وأنا، بصفتى بوذى نيتشيرينى، والدكتور طهرانيان، بصفته مسلما صوفيا، اخترنا طريق الحوار. اخترنا طريق الحوار لكى نتعرف على، ونتعلم من، ونثمن اختلافاتنا فى العقائد والخلفيات، واخترنا أن ننظر إلى أية اختلافات قد توجد، ليس باعتبارها حوائط تفصلنا، ولكن باعتبارها مسطحات وزوايا متفاوتة على الماسة المشعة للثقافة العالمية.

إن صلاتى واعتقادى أن توقير الحياة الذى يضىء حواراتنا سيصبح هو الروح المسيطرة فى زماننا، وأن موجات الحوار التى ستلهمنا وترفعنا إلى مرتبة الإيمان فى الإنسانية وفى الآخر، ستضم كل الكرة الأرضية.

دايساكو إيكيدا

١٨ نوفمبر سنة ٢٠٠٢

ثبت الأعلام والموضوعات

ابن رشـــــد: عالم أرسطى، وفيلسوف إسلامى ينطق اسمه باللاتينى "أفيروس".

ابن سـينا: عالم أرسطى وفيلسوف إسلامى ينطق اسمه باللاتينى "أفيسينا".

إدو: عاصمة اليابان أثناء حكم توكوجاوا شوجونيت.

إدوارد سعيد: مؤلف كتاب "الاستشراق".

الأذان: منادة المسلمين لأداء الصلاة.

الاستشراق: عنوان لكتاب إدوارد سعيد، ويشير المصطلح إلى عقلية التحيز ضد الثقافات الأخرى.

استعادة ميجى: نهاية حكم الشوجونات، وعودة عصر حكم الإمبراطورية سنة ١٨٦٨.

الإسـلام: تعنى الكلمة حرفيا "الخضوع لله"، وتدل على المشاركة الكاملة والنشيطة فى الوجود، والعطف على كل الكائنات.

الإعلان العالمى: إعلان أصدرته الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ حول حقوق الإنسان.

آلـوهـا: كلمة تعنى فى تقاليد سكان هاواى الحب الإيثارى.

آمـاراتيـا: الحائز على جائزة نوبل فى الاقتصاد سنة ١٩٩٨، دافع عن الالتزام بأخلاقية الاقتصاد.

الإمبراطورية البيزنطية: إمبراطورية مسيحية كانت عاصمتها القسطنطينية (إستانبول حاليًا).

الإمبراطورية الفارسية: إمبراطورية امتدت فى وقت من الأوقات من البحر المتوسط حتى الهند.

الأمـــة: مصطلح عربى يشير إلى جماعة المسلمين المؤسسة على ميثاق بين الله وعبيده.

آمـــين: كلمة تقال تأميناً لما يقوله شخص فى الصلاة، أو من يقودها.

إنجـــى: مصطلح بوذى يشير إلى النشوء المشترك، والتلازم بين السبب الذى يؤدى إلى وجود أى شىء.

أهل الكتـــاب: أصحاب الديانات السماوية التى آمنت بالوحى من الله إلى رسله، وهم عند المسلمين اليهود، والمسيحيين.

أهـمـيـسـا: مبدأ عدم العنف الذى نادى به غاندى.

أوبانيـشـاد: مجموعة من الكتب الهندوسية.

إيشـوفـونى: مصطلح بوذى يشير إلى الوحدة الجوهرية بين الحياة والبيئة.

البـــاطن: مصطلح إسلامى يقصد به الحقيقة الكامنة.

بوذية مـاهـايانا: هى تعاليم البوذية التى تدور حول التعاطف مع كل الكائنات.

البـيـعـة: الدخول فى ميثاق مع الرسول وخلفائه.

التلمـــود: كتاب يتضمن مجموعة تعاليم ونقاشات حول القانون اليهودى الشفوى.

التـــوراة: كتاب يتضمن تعاليم الديانة اليهودية، وبالذات تلك التعاليم التى يعتقدون أن الله أنزلها على موسى.

توكوجاوا شوجونيت: حكومة عسكرية يابانية امتدت من سنة ١٦٠٢ حتى سنة ١٨٦٧ .

جـــن: مصطلح بوذى يشير إلى الغريزة التدميرية الأساسية أو الغضب.

الجـــن: مصطلح قرآنى يشير إلى نوع من كائنات ما وراء الطبيعة.

الجــــهـــــاد: حمل السلاح الذى رخص به رسول الإسلام محمد لأتباعه فى حالة الدفاع فقط.

الجهاد الأكبر: مصطلح صوفى يشير إلى تطهير الروح مما يعلق بها من شوائب

جـــوسى تودا: منظم وفيلسوف يابانى دشن حركة سوكا جاكاى مع ماكيجوتشى سنة ١٩٣٧ .

جـــوشـــو: الأعمال الكاملة للحكيم البوذى نيشيرين.

جيتا فونى نورايهاى : مصطلح بوذى يعنى حرفيا "احترام الآخرين باعتباره جزءًا لا يتجزأ من احترام الذات".

جـيـتـا نجـالى: قصيدة كتبها طاغور سنة ١٩١٢ .

الحـــاخـــام: القائد الروحى للجماعة اليهودية، وهو فى الوقت ذاته معلم ومفسر للقانون المكتوب والشفوى.

حــــــافـظ: شاعر فارسى (١٣٢٦ - ١٣٩٠).

حــمـــورابى: ملك أول مملكة بابلية.

الحـــــــج: يقصد به حج المسلمين إلى مكة مرة فى العمر لمن استطاع أن يقوم بتلك الفريضة.

الحـــجـــاب: قطعة من القماش ترتديها المرأة المسلمة لتغطية شعرها.

خـــديجـــة: الزوجة الأولى لرسول الإسلام محمد[صلى الله عليه وسلم] .

الخـــلافـــة: نظام سياسى حكم فيه خلفاء الرسول محمد الذين يسمون باسم "الخليفة"

الخليج الفارسى: ذراع بحرية كبحر العرب، يفصل شبه الجزيرة العربية عن آسيا القارية ويسميه العرب الخليج العربى .

دستور المدينة : اتفاق جماعى وقعه النبى محمد مع القبائل اليهودية وغيرها.

دول الخليج: عدة دول تقع في الخليج العربى (الفارسى) وهى البحرين، والكويت وعمان وقطر والسعودية والإمارات وإيران والعراق.

الدولة الأموية: إمبراطورية عربية تأسست سنة ٦٦١ واستمرت حتى سنة ٧٥٠م.

الدولة العباسية: دولة إسلامية استمرت حوالى ٥٠٠ عاما منذ سنة ٧٥٠، وكان هارون الرشيد من أشهر خلفائها، والذى تحكى رواية "ألف ليلة وليلة" قصة بلاطه، وكانت بغداد عاصمة الدولة.

الديانات الإبراهيمية: يقصد بها الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية، وهى ديانات تعود أصولها إلى إبراهيم مؤسس التوحيد.

الذميون: غير المسلمين الذين يعيشون فى الدولة الإسلامية.

الراحة: وقت اللهو والتمتع.

رمضان: الشهر القمرى للصوم (عند المسلمين).

الروحانية: قبول ما هو غامض بخشية وتقديس.

الرومى: هو الشاعر الصوفى جلال الدين الرومى (١٢٠٧ - ١٢٧٣) شاعر فارسى من القرن الثالث عشر.

زرادشت: واحد من أوائل المصلحين فى العالم، ظهر فى القرن السادس قبل الميلاد.

الزرادشتية: ديانة تابعى المصلح الهندى الإيرانى زرادشت.

الزكاة: صدقة تعطى للفقراء عند المسلمين، وهى أحد الأسس الخمسة للإسلام.

ساترابى: حكومة إقليمية فى فارس القديمة.

ساتياجراها: البحث عن الحقيقة، وهو مفهوم نادى به غاندى.

السعدى: شاعر فارسى من القرن الثالث عشر.

السلام عليكم: تحية المسلم للآخر.

السنة: التقليد، ويقصد بها منهج الحياة الذى اتبعه أصحاب الرسول وتابعوهم.

ســــــــــوتــرا: تعنى حرفيا "الخيط"، وهى التعاليم الكاملة لبوذا.

ســوكــاجــاكــاى: حركة بوذية شعبية بدأت سنة ١٩٣٧ تأسست على تعاليم نيتشيرين والروح المتعاطفة المتضمنة فى لوتس سوترا.

شـــــامـــــفـــــا: مصطلح بوذى يشير إلى "الجماعة".

شــاكــيــامــونى: حكيم هندى، وهو مؤسس البوذية، وتسمى باليابانية شاكوسون.

الشـــــريعـــــة: القانون الإلهى الإسلامى، ويقصد بالكلمة حرفيا "الطريق إلى مكان المارة"، مما يعنى الطريق إلى الإنقاذ.

الــشـــــــــغــل: العمل، والمهنة، والحرفة.

الشــــهــــادة: أحد أسس الإسلام الخمسة، ويقصد به الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

الشـــوجـــون: الحاكم العسكرى اليابانى فى ظل النظام الذى انتهى سنة ١٨٦٨ .

شـوهـوجـيـسـو: مصطلح بوذى يشير إلى الحقيقة الجوهرية لكل الأشياء.

شــــــــــــى: مصطلح بوذى يشير إلى سوء الإدراك أو الجهل.

صــفــاء الـبــاطن: مصطلح يعنى "طهر النية". وهو الاختبار الأسمى للسلوك الشخصى فى الصوفية.

الـصـــــــــلاة: يقصد بها الصلوات الخمس اليومية التى يقوم بها المسلمون متجهين نحو الكعبة، وهى أحد الأسس الخمسة للإسلام.

الصـــوفـــيـــة: الروحانية الإسلامية.

الصـــــيــــام: الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة خلال [نهار] شهر رمضان، وهو أحد الأسس الخمسة للإسلام.

طــاغــــــــــور: شاعر بنغالى عاش فى الفترة من سنة ١٨٦١ حتى سنة ١٩٤١، وهو مؤلف "جيتنجالى".

الطريقة: روح الشريعة الإسلامية.

الطن: مصطلح بوذى يشير إلى الطمع وحب المال.

الظاهر: مصطلح صوفى يشير إلى الحقيقة السطحية.

عالم الساحة: هو عالم المعاناة والمثابرة و"التحمل".

علم الآخرة: الاهتمام بالأمور المتعلقة بالمصير النهائى للبشر والكون.

العلماء: طبقة الفقهاء المسلمين.

عيسى : اسم المسيح باللغة العربية.

الفقر: مصطلح صوفى يشير إلى النتيجة المرغوبة للبحث الروحى.

الفناء: مصطلح صوفى يشير إلى العدم، أى التحرر من المتعلقات والاهتمامات الدنيوية.

قانون حمورابى: يعتقد أنه أقدم تقنين مدنى.

القرآن: النص الإسلامى الإلهى الذى أوحى به الله إلى محمد[صلى الله عليه وسلم]

قريش: القبيلة التى ولد فيها محمد رسول المسلمين.

كاكو ميشيو: عالم طبيعة نظرية ألف كتاب "هايبر سبيس" .

كاندالا: أو أحيانا شاندالا، وهو اسم عام للمنبوذين أى الذين ينخرطون فى أعمال تعتبر وضيعة وغير نظيفة. والمصطلح من مصطلحات البراهما الهندية.

الكعبة: بيت الله الحرام، المكان المقدس عند المسلمين فى مدينة مكة.

كو: مصطلح بوذى يشير إلى عدم الاستمرارية والخواء، وعدم المقدرة

كويونو: مصطلح يشير فى تقاليد هاواى إلى شجاعة الاقتناع.

لوتس سوترا: أهم أشكال سوترات ماهايانا، وهى تظهر الطبيعة الحقيقية لبوذا، وتؤكد أن التعاطف مع الآخرين يعلو الانعتاق الذاتى.

الماجناكارتا : وثيقة العهد الأعظم الصادر سنة ١٢١٥ والتى تعطى الحريات المدنية والسياسية لشعب إنجلترا.

ماكيجوتشى : (تسونيسابورو) مؤلف كتاب جغرافية الحياة البشرية، والقائل بأن "المنافسة الإنسانية" يجب أن تحل محل المنافسة العسكرية والاقتصادية.

المبادئ الخمسة للإسلام: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

مثنوى: مجلد من ستة أجزاء للشاعر الصوفى جلال الدين الرومى، ويتضمن تعاليم روحية وحكم فى شكل قصص وشعر غنائى.

محمد يونس: مؤسس مصرف جرامين.

محمد: رسول المسلمين، وقد هبط عليه الوحى من الله، وتم تدوينه باسم القرآن. هو مؤسس الدين الإسلامى، ويروى أنه آخر الرسل الذين أرسلهم الله.

المسجد: مكان الصلاة لدى المسلمين، وهو مكان يتسم بوجود مئذنة وصالة للصلاة.

المسلم: الإنسان الذى يعتنق الدين الإسلامى.

المسيح: هو المنقذ لدى المسيحيين، والنبى الإسلامى عيسى.

مصرف جرامين: نظام مصرفى فريد من نوعه يقوم على فكرة إعطاء قروض صغيرة بدون ضمانات للفقراء لكى يبدأوا مشروعات متناهية الصغر.

معهد تودا: معهد أسسه سنة ١٩٩٦ دايساكو إيكيدا وله مكاتب فى طوكيو وهونولولو، ويمول برنامجا بحثيا حول السلام العالمى والسياسة.

مكة: مكان مولد رسول الإسلام محمد، وتقع غرب المملكة العربية السعودية، وهى مكان وجود المسجد الأكبر، والكعبة المقدسة.

موسى: نبى اليهود الذى تتضمن التوراة تعاليمه.

الميثاق: كلمة عربية تشير إلى العهد.

ميجى: الاسم الرسمى للإمبراطور اليابانى "ومتسوهيتو"، الذى حكم بين عامى ١٨٦٨ و ١٩١٢ .

ناماس تى: كلمة سنسكريتية تعنى الاحترام، وهى كلمة للتحية فى الهند ونيبال .

ناماس كارا: كلمة سنسكريتية تشير إلى العبادة الخاشعة، وتعنى حرفيا، "احترام الله فى شخصك".

نظام الملّة : نظام يقضى باستقلال الأقليات الدينية فى إطار الإمبراطورية العثمانية.

نورى: عشب من أعشاب البحر قابل للأكل.

نيتشيرين: حكيم بوذى نشط فى اليابان، ودافع عن لوتس سوترا (١٢٢٢ - ١٢٨٢) .

الهجرة: يقصد بها هجرة رسول الإسلام محمد من مكة إلى المدينة هربا من اضطهاد مشركى مكة، وتبدأ السنة الهجرية للمسلمين بتاريخ الهجرة.

يانج: مصطلح يقصد به الطاقة المكونة للكون، ويقصد به ما هو ذكورى.

يشيفا: معهد للتعليم اليهودى التلمودى، وكان أول معهد يهودى للبحوث التلمودية، تأسس فى بغداد.

يين: مصطلح يشير إلى الطاقة المكونة للكون، ويقصد به ما هو أنثوى.

كشاف

[أ]

إبراهيم (نبى): ٦٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ٢٢٨ .

الإبراهيمية : ٥٠ ، ١٩٢

إبراهيم أدهم: ٦٧ .

أبخازيا: ١٤٠ .

ابن رشد (أفيروس): ٦٢ ، ٨٩ ، ١٥٠ .

ابن سينا (أفيسينا): ٦٢ .

أبو طالب (عم الرسول): ٥٨ .

الاتحاد الأوروبى: ف، ٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ .

الاتحاد السوفيتى: ٣٦ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ٢٠٢ .

اتفاقات أوسلو: ١٩٧ .

اتفاقية كامب ديفيد: ١٩٦ ، ٢٦٦ .

اتفاقية حظر الألغام الأرضية: انظر معاهدة حظر الألغام الأرضية .

الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية (الجات) : ٢٦٩ .

أثينا : ٢٥

آدم : ٨٠ ، ١٠٩.

آدم سميث: ١٧٨ .

إدو: ١٢٩ .

إدوارد تايلور: ١٢٥ .

إدوارد سعيد: ٥٢ ، ٥٣ ، ٩٣ ، ١٠٣ ، ١٢٦ .

أذربيجان: ١٤٠ .

الأرثوذكس : ١٣٩ .

الأرثوذكسية : ٩٠ ، ٩١ .

الأردن: ١٩٧ .

أرسطو: : ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ٢٣٠ .

أرشميدس: ٢٣٠ .

أرمينيا: ١٤٠ .

أرنولد توينبي: ٢٢ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

أسامة بن لادن : ٢٨٠ .

الأسباط: ٦٤ .

أسبانيا: ٦٣، ٩٠ .

الاستشراق : ٥٢ ، ٥٣ .

إستانبول: ١٢١ ، ١٨٣ ، ١٩٩ ٢٥١ .

استراليا : ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ .

الاستعمار البريطاني : ١٩٦٠

إسحق (نبي): ٦٤ .

إسحق رابين: ١٩ .

إسرائيل: ١٣٩ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

الإسكندر الأكبر: ١٤٨ ، ١٥٤

الإسكندرية : ٧

الإســـلام: ٨ ، ٩ ، ١٠ . ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٥٤، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٨ ، ١٨٩

إسماعيل نبى : ٦٤

آسيا : ٤٩ ، ٥٣ ، ٨٨ ، ١٥٦ ، ١٨٣ ، ٢٧١

آسيا برلين: ٢٢٥ ، ٢٢٦

آسيا الصغرى : انظر تركيا

آسيا الوسطى (وسط آسيا): هـ، س، ١٩ ، ٣٠ ، ١٣٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٨١

الآسيان : ٢٦٠ ، ٢٦٢

الاشتراكية : ٤٤

أشعيا (نبى): ٢٢٩ .

أشعيا الثانى (نبى): ٢٢٩ .

آشفا جوشا : ١٥٥

الإعلان الأمريكى لحقوق الإنسان: ١٣٧ .

الإعلان العالمى لحقوق الإنسان: ١٣٨ ، .

إعلان الحقوق الاجتماعية والاقتصادية: ١٨٣ .

الإغريق: ٢٥ ، ٦٢ ، ١٥٠ ، ١٥٢ .

أفيروس : ٥٦٢

الإفيروسيون اللاتين: ٦٢ .

أفريقيا: ٣٣ ، ٨٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٥٩ ، ٢٢٦ .

أفغانستان: ١٥٣ ، ١٥٦ ، ,١٥٧

أفلاطون: : ٢٥ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٢٩ .

اكسون فالديز: ١٨٦ .

ألفين توفلر: ٧٥ .

ألمانيا: ف، ٧ ، ٢١ ، ١٠٢ ، ١٣٣ ، ١٤٥ .

ألمانيا الهتلرية : ٢٣٩ .

الآلوها: ١٠٧ .

إلياس (إيليا، إلياهو): ٢٢٩ .

إلياس نوربرت : ١٢٤ .

أليكسيس دى توكفيل: ٤١ .

أمارتيا سين: ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

الإمبراطورية الإسلامية: ٦٢ ، ٢٦٥ .

الإمبراطوية الألمانية: ١٤٠ .

الإمبراطوية الإيطالية: ١٤٠ .

الإمبراطوية البيزنطية: ٨٩ ، ١١٧ .

الإمبراطوية السوفيتية: ٧٤ .

الإمبراطورية الصفوية: ١٤٦، ٢٠٨ .

الإمبراطورية العباسية: ١٩٥، ٢٦٥ .

الإمبراطوية العثمانية: ١٤٠ ، ١٩٥ ، ٢٦٥ .

الإمبراطوية الفارسية الساسانية : ٨٩ ، ١١٧ ، ١٥٤ .
الإمبراطوية المغولية: ٧١ ، ١٥٣ .
الإمبراطوية النمساوية المجرية: ١٤٠ .
أمريكا الجنوبية: ٢٦٠، ٢٦١ .
أمريكا الشمالية: ٤٤ ، ٢٥٩ ، ٢٧١ .
أمريكا اللاتينية: ٢٦٠ .
أمريكا الوسطى: ٢٦١ .
الأمريكتين: ١٨٠، ١٨٧ .
الأمم المتحدة: ب، ز، ف، ص، ٧ ، ٨ ، ١٣ ، ٢٢ ، ١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٥ .
الأموداريا (نهر) : ١٥٦ .
آنا كارنينا: ١٦٠ .
أنا منيسس: ١٦٧ ، ١٦٨ .
آنا ليند : ٧ .
الانتداب البريطانى : ١٩٦ ، ٢٦٥ .
الانتفاضة: ١٩٧
أنتونيو جرامشى: ١٠٣ ، .
إنجلترا : ٢٠٥ .
إنجى: ٢٢٣ .
الإنجيل: ٧٩، ٨٠ ، ٨٢ .
أندريتش : ٩١ .

إنزنسبرجر : ١٤٠ .

إندونيسيا: ٨٣ .

أنطونيو جرامشى : ٢٧٤ .

الانقسام الرقمى : ٢١٨ .

أنو السادات (محمد أنور السادات): ١٩٦ ، ٢٦٦ .

أهل الكتاب: ٥٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٩٣ .

آهيمسا (فلسفة اللا عنف الغاندية): ٢٤٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

أوراسيا: ٩١ ، ١٥٣

أوروبـــا: ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٨٨ ، ٩٩ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ .

أوزبكستان: ١٥٥ .

أوزوالد شبنجلر: ١٢٢ ، ١٢٤ .

أوشفيتز: ٦٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٧٠ .

أوشيو (مجلة): ٧٩ .

أوكيناوا (مؤتمر) : ٢٠ .

أوهتا: ٣٥ .

إيدى بلومان: ٢٤٦ .

إيـــران: أ، هــــ، ف، ٧ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٥١ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٩٩ ، ١١٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٦٥ .

أيرلندا: ٢٣٤ .

إيشو- فونى: ٢٢٣ .

إيفو أندريتش: ٩٠ .

إيطاليا : ٧ .

إيطاليا: ف.

إيمانويل كانت: ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ .

إيهود باراك: ١٩٨

[ب]

بابلو بيكاسو: ٥٦ .

باكتيريا (بلاد): ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .

باكستان: ٣٢، ٥١ .

البحر الأبيض المتوسط: ٥٧، ١٠ .

بحر قزوين: ١٤٠ .

البرابرة: ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ .

البرازيل: ٢٥٤ .

البراهمانية: ١٩٢ .

البرلمان الأوروبي: ٢١٠ .

برلين: ١٩٩ ، ٢٢٦ .

البروتستانتية : ٨٨ .

بروكرتس: ١٥١ ، ١٥٢ .

بريطانيا (إنجلترا): ١٢١ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٣٣ ، ٢٦٥ .

بريسبان (أستراليا): ٢٠١ .

البستان (ديوان شعر): ١٨٤ .

بغداد: ٦٢ ، ٩٠ ، ١٥٣ .

بطرس بطرس غالى: ٢٠٩ .

بلخ: ١٥٣ ، ١٥٤ .

بلفور: ٥٢ .

البلقان: ١٤٠ ، .

بنجلادش: ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٢٥٦ .

البنغال: ١٧٧ .

البنك الدولى للإنشاء والتعمير: ٢١٢ .

البنك المركزى الأوروبى: ٢٦٢ .

البهائيون: ١١٩ .

بوبال: ١٨٦ .

البوديسوتفا: ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١٩١ .

بوذا: ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦ ، ١٦٥ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ .

البوذية :٨ ، ٩ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠١، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ .

بوذية ماهايانا: ٧١ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٥٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ .

بوذية نيتشيرين: ص، ٨ ، ١٣ ، ٧٠ ، ١٣٠ .

البوسنة : ١٣٩ ، ٢٣٩ .

البوسنة والهرسك: ٩٠ .

بوش (جورج بوش الابن): ١٩٨ .

بول تيليك: و، ٢١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٢٣٦ .

بونتين (الإله براهما): ١١٥ .

البيت الأبيض الأمريكى: ١٩٧ .

بيتريم سوروكين: ١٢٤ .

[ت]

ت. س. إليوت: ١٧٤ .

تابكو كورت : ٢٠٤ .

تاتفا – جوانا (شينج شيان، جينج جيان): ١٦٦ .

التاوية : ١٥٧ ، ١٥٨ .

التايرا (قبيلة هايكى): ١١٢ .

تايشاكو (الإله اندرا): ١١٥ .

التحالف الصينى الإسلامى ١٣٦ .

تايلاند : ٢٠٩ .

تحالف الحضارات : ٧

تركمانستان: ٩٣ .

تركيا (آسيا الصغرى): ٥١ ، ٧٧ ، ١٤٠ ، ١٥٤ ، ٢٥١ .

تريزا (الأم تريزا): ١٩٤ .

تسانيسابورو ماكيجوشى : انظر ماكيجوتشى .

تشزنويل: ١٨٦ .

التصوف: ١٠٧ .

التكعيبية ٥٦ .

التلمود: ٦٣ .

تودا: ١٣٩ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١١٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

التوراة: ٧٩ ، ٨٠ .

تورنتو: ٢٠١ .

توشيهوكو إيزوتسو: ٥٧ .

توماس هوبز (الهوبزية): ١٠٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٤٠ .

تومو سابورو هيرانو: ٣٠ .

توينبى : ارنولد توينى .

تون: ١٦٣ .

تيراواكى هيرونوبو : ٢٤٥

تيموثى ماكفى : ٢٨٠ .

تيودور أدورنو: ٦٣ .

تيليك : انظر بول تيليك .

[ث]

ثرى مايلز أيلاند: ١٨٦ .

الثقافة الآسيوية: ١٣٥ .

الثورة الإنسانية : ٣٦

الثورة العالمية : ١٦٢
ثورة المعلومات ٢١٧ .
ثيراجاتا (رواية): ١٨٩ ، ١٩٠ .
ثيريجاتا (رواية): ١٨٩، ١٩٠ .

[ج]

جابر عصفور: ١١ .
جالتونج : ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
جامعة اكسفورد: ١٢٥ .
جامعة الأمم المتحدة: ٢٤٦ .
جامعة برانديز: ٢٣١ .
جامعة الدول العربية: ٢٦١ .
جامعة ستانفورد : ١٣٢ .
جامعة سوكا: ٨ ، ١٣ ، ٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٤ .
جامعة سيدنى: ٢٥٧ .
جامعة شولا لنجرون: ٢٠٩ .
جامعة كولومبيا: ٧٣ ، ١١٥ .
جامعة كيونج هى: ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
جامعة لاتروب: ٢٠٩ .
جامعة موسكو : ١٥٩ ، ١٦٠ .
جامعة هارفارد: ١٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٦٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٣٤ .
جامعة هاواى: ٢٢ .

جان بول سارتر : ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

جان جاك روسو: ١٥٠ .

جاندهارا : ١٥٥ ، ١٥٦ .

جبال الهمالايا: ١٧٤ .

جبريل (الملاك جابرييل): ٥٦ .

الحجيم : ١٩٢ ، ٢٢١ .

جريدة نيويورك هيرالد تربيون: ٢٤٧ .

جريدة هونولولو: ١٥٤ .

جزر المحيط الهادى: ١٨٧ .

الجزويت: ١٢٩ .

جلال الدين محمد الرومى (البلخى): ٧٦ ، ٩٥ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٧٣ .

الجماعة الاقتصادية الأوروبية: ٢٠٣ .

جمعية الشعوب : ٢٠٩ ، ٢١٠ .

جمعية الطلاب الإيرانيين: ٧ .

الجمعية العامة للأمم المتحدة: ١٤٤، ٢١٠ .

جمعية المنظمات غير الحكومية : ٢١٢ .

الجمهورية (أفلاطون) : ١٦٦ .

جمهورية التشيك: ٢١١ .

جن: ١٦٣ .

جنوب إفريقيا: ٣٣، ١٨٠ ، ١٩٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٤ ، ٢٤٨ .

جنوب شرقى آسيا: ١٢ ، ٣٠ ، ٢٦٠ .

جنوبى آسيا: ١١٧ .

جنوبى أوبكستان : ١٥٦

جنوبى لبنان: ١٩٧ .

الجنة: ٨٠ ، ٩٢ .

جواتاما بوذا: ٦٦ ، ١٩٠ .

جورباتشوف: انظر ميخائيل جورباتشوف .

جورجيا: ١٤٠ .

جوزيف روتبلات: ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠ .

جوشو : ١٩٣ ، ٢٣٨ .

جوشى تودا: ١٤ ، ٢٠ ، ٣٧ ، ٧١ ، ٨٣ ، ١٠٢ ، ١٢٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ .

جولستان (ديوان شعر): ١٨٣ .

جون لوك: ١٥٠ .

جيتافونى نورايهاى : ٢٢٨ .

جيتا نجالى (ديوان شعر): ٩٦ .

جيرترود: ٢٤٥ .

الجيزة: ١٩ .

جيو (سامسكارا): ١٧١ .

[ح]

حافظ: ١٥٣ ، ٢٤٥ .

الحبشة: ٥٨ .

الحج: ٤٩ .

الحرب الباردة:٧ ، ٤٤ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٠٥ ، ٢١١ .
حرب الخليج: ١٢١ ، ٢٥١ .
الحرب الصربية التركية: ١٦٠ .
الحرب العالمية الأولى: ٢٠٩، ٢٢٥ .
الحرب العالمية الثانية:١٣ ، ١٤ ، ١٩ ، ٣٥ ، ١٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٩ .
حرب العراق وإيران: ٢٥١ .
الحرب الفيتنامية: ١٣٥ .
الحرب الكورية: ١٣٥ .
حركة الباجواش: ٢٠٤ .
حركة سوكا : (انظر سوكا جاكاى) .
الحرم الملكى الشريف : ٨٤ .
حزب الخضر الألمانى: ٢٤٧ .
الحزب النازى: ١٧٣ .
الحضارة الإقليمية : ١٣٨ .
الحضارة الإسلامية:٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٤٦ .
الحضارة الإغريقية: ١٥ ، ٦١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٤ .
الحضارة الأفريقية: ١٣٦ .
حضارة أمريكا اللاتينية: ١٣٦ .
الحضارة الإيرانية: ١٥٤ .
الحضارة البوذية: ٧ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ .
الحضارة الروسية: ١٣٦ .

الحضارة الرومانية: ٦١ .

الحضارة الصينية: ١٤٦ ، ١٠٥ .

الحضارة العربية: ٨ .

الحضارة الغربية: ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٢٧ .

الحضارة الفارسية: ٨ .

الحضارة المتوسطية : ٦١ .

الحضارة الهندية: ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٤ .

الحضارة اليابانية: ١٣٦ .

حلب: ١٨٣ .

الحملة الدولية لإزالة الألغام الأرضية: ٢١٦ .

حنا أرندت: ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

حوار الأديان : ١٥ .

حوار الثقافات : ٧ .

حوار الحضارات : ٧ ، ٨ ، ٢٢ ، ٤١ ، ٤٥ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢٠٠ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ .

حوار حضارات العالم القديم : ٧ .

[خ]

خاتمي: ٧ .

خديجة (زوجة الرسول): ٥٥، ٥٧ ، ٥٨ .

خراسان: ٢٤ .

الخلافة العباسية: ١٥٣ .

الخليج الفارسى: ٣٦ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، .
خوان جويتسلو: ٩١ ،

[د]

دراما : ١٠٥ .
دافوس : ٢٥٥ .
دالفارجنتيبا : ١٥٥ .
داود : ٨٠ .
دايشولين : انظر نيتشرين دايشونين .
دمشق: ١٨٣ .
الدوحة : ٢٥١ .
الدولة الإسلامية: ٩٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٤٠ .
الدول الاشتراكية: ١٨٤ .
الدولة الأموية: ٨٧ ، ٨٨ .
دول الخليج: ١٢١ .
الدولة العباسية: ٦٢ ، ٨٧ ، ٨٨ .
الدولة العثمانية: ١١٩ .
دونهوانج : ١٥٦ .
ديانا (الأميرة ديانا): ١٩٤ .
دى توكسفيل : ٧٥ .
ديربنان: ٣٣ ، ١٩٩ .
ديفيد كرايجر: ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

ديفيد شابيل: ٧ ، ٨ .

ديكارت: ٩٣ .

[ذ]

الذميون: ١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٦٥ .

[ر]

رابندرانات طاغور : (انظر طاغور) .

الرأسمالية: ١١٠ ، ٢٥٥ ، ٢٧٤ .

رابطة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (نافتا) : ٢٨٦ .

رابطة أمم جنوب شرقى آسيا (الآسيان): ٢٥٧، ٢٥٨ .

راشيل كارسون: ٥٧ .

رسول الله : ١٠ .

رضا (الإمام رضا): ٣٤، .

رمضان (شهر): ٨٤، ٨٥ .

رواندا: ٢٢٦، .

روبن ليفى : ١٨٣ .

روتبلات : (انظر جوزيف روتبلات) .

رودلف باهرو: ٢٤٧ .

روزا باركس: ٢٩ .

روسو : (انظر جان جاك روسو) .

روسيا: ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢١٥ ، ٢٦٣ .

[ز]

الزابور: ٨٠ .

زرادشت: ٢٢٨، ٢٢٩ .

الزرادشتية: م، ٢٧ ، ٥٤ ، ١٠٨ ، ١٥٧ ، ١٩٥ .

الزكاة: ٨٤ .

[س]

ساتوكو تاكاهاشى: ٣٠ .

الساتياجراها: ٤٧ ، ٢٣٣ .

سادو الشمالية (جزيرة): ٧٢ .

الساشيمى: ٢١٣ .

ساميوتا - نيكابا : ١٧٥ .

سان توماس الأكوينى: ٩٤ .

سانتينيكتان: ١٧٦ .

سايكو شيمبون (جريدة): ١٤٢ .

سبلين شينبوتسو: ٣٠ .

السحور: ٨٥ .

السعدى (مصلح الدين السعدى): ٤٢ ، ٧٠ ، ١٥٣ ، ١٧٥ . ١٨٢ ، ١٨٣ .

السعودية (المملكة العربية السعودية): ٩٩ .

سفل بن عبد اللاه: ١٠٧ .

سقراط: ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٦ ، ٢٢٩ ، ٢٦٨ .

سلاف: ١٤٠ .

سمرقند: ١٨٢ .

سهول باميان : ١٥٦ .

السودان: ١١٩ .

سوريا: ١٥٤ ، ١٩٧ .

السوشى: ٢١٣ .

السوترا : ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ .

سور بن كيهارد : انظر كيرجارد .

سوكا جاكاى: ف، ص،٨ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ .

سويسرا: ٢٥٥ .

سيدنى: ١٩٩ .

سيجموند فرويد: ١٢٤ .

سيراييفو: ٩٠، ٩١، ٩٢ ، ٩٣ .

سيسلابوك: ٢٣١ .

سيكيو شيمبون : ٢٠٩ .

سيمون فيل: ١٣٣، ٢٤٤ .

سيناء: ١٩٦ .

سينيكا لوسيوس: ٨٩ .

[ش]

شارون: ١٩٨ .

شاكيامونى (شاكسون شاكيامونى): ٢١ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٢٩ ، ٢٧٢ .

الشامانية: ٢٧ .

شامغا: ١١٢ ، ١٣٢ .

شبكة .C.N.N : ٢١٣ .

شبه جزيرة سيناء: ٢٦٦ .

شبه الجزيرة العربية: ٥٨ ، ٨٨ ، ١١٨ ، ١٥٤ .

شبه الجزيرة الكورية: ٢٦٢ ، ٢٦٤ .

الشرق: ٤١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٧٥ ، ١١٠ .

الشرق الأوسط:١٣٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

شرقى أسيا:٧١ ، .

شرقى أوروبا: ٧٤ ، ٢٠٢ ، ٢٣٤ .

الشريعة الإسلامية: ٤٩ ، ٥٩ ، ١٥٨ ، .

شمال شرقى أسيا: ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

شمس الدين حافظ: ٨٣ ،

شمال غربى الهند : ١٤٨ .

شمروخ (طائر): ٩٥ ، ٩٦ .

الشنتو: ١٣٢ .

شوجون توكوجاوا: ١٠٩ .

شوماشر: ٢١٨ .

شوهو جوسو: ١٧٣ .

شوى يونج سيك: ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

شى: ١٦٣ .

شيشرون: ٤٧ .

شيشبينا : ١٤٠ .

شينجيز أتيماتوف: ٢٩ .

الشيوعية: ٤٤ ، ١١٠ ، ٢٥٤ ، ٢٧٤ .

[ص]

صامويل هنتنجتون: ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ٤٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ .

صدام حسين: ١٤٠ .

صدام الحضارات : ١٤ ، ٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ .

صراع الحضارات: ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٣٦ ، ١٣٤ .

الصراع العربى- الإسرائيلى: ١٤١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٦٤ .

الصرب: ١٣٩ .

الصلاة: ٥١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ .

صندوق النقد الدولى: ٢١٣ .

الصوفية (الصوفيون): ٨ ، ٣٠ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٣٧ ، ٢٧٥ .

الصوم: ٨٤ ، ٨٥ .

الصين: ٥٧ ، ٦٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٨٣ ، ١٥٩ ، ١٨٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ .

[ض]

الضفة الغربية: ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

[ط]

طالبان: ١٥٧ .

طاغور (رابندرانات طاغور): ٦٦ ، ٩٦ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .

طريق الحرير: ٢٦ ، ٢٨ ، ٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، .

طوكيو: ١٣ ، ١٩ ، ٣٥ ، ١٥٦ ، ١٧٧ ، ٢٠١ ، ٢٥٢ .

طهران: ١٣، ٢٠١ .

[ع]

العالم الإسلامى: ٧ ، ٤٤ ، ٦١ ، ٩٣ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٩٤

العالم المسيحى : ١١٩ .

العباسيون: ٩٠ .

عبد الكريم سوروش: ١٦٥ .

العراق: ٥١ ، ١٢١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٤ .

العرب (العالم العربى، الدول العربية): ١١٧ ، ١٦١ ، ١٩٤ . ٢٦١ . ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

عشق أباد: ٩٣ ، ١٨١ .

عصر التنوير: ١٨٥ .

العصر المحورى: ٢٣٠ .

العصور الحديثة: ١٨٥ .

العصور الوسطى: ٦١ ، ٦٢ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٣ ، ١١٩ .

علاء الدين : ٦٠ .

على بن أبى طالب: ٨٤ .

على شريعتى: ١٦٥ ، ١٨٠ .

العلمانية : ٧٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٢٣٢ .

عملية أوتاوا: ٢١٦ .

العنف البنيوى : ٢٢٧ .

العنفاء : ٩٥ .

العهد القديم: ٥٦ .

العولمة: ٨ ، ٤١ ، ٧٦ ، ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ١٧٤ .

عيسى (نبى): ٥٤ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ١٠٩ ، ٢٢٨ .

[غ]

غاندى (ماهاتما غاندى): ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٩٧ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ .

الغـرب: ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٥ ، ٩٩ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ .

الغرب الرأسمالى : ١٥١ .

غربى آسيا: ٥٣ ، ١١٧ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٩٩ ، ٢٦٤ .

غرناطة: ٦٣ .

[ف]

الفاتيكان: ٨١ .

الفارابى: ١٤٩ .

فارس: ٥٤ ، ٩٢ ، ٥٤ ، ١٨٣ ، ٢٢٩ .

فاسلاف هافيل: ١٥٩، ٢١١ .
الفاشية: ٧٥، ٢٥٤ .
فاطمة (بنت محمد): ٨٤ .
فاني بيتاكا : ١٩٠ .
فرانسيس زافيير (القديس): ١٢٩ .
فرانكل : (انظر فيكتور فرانكل) .
الفرس:٩٦ .
فرضية جايا: ١٣٣، ١٦٠ ، ١٦١ .
فرويد: ٢٤٠ .
فريد الدين العطار: ٩٥، ٩٦ .
الفلبين : ٧٤ .
فرنسا: ٤٦ ، ٤٧ ، ٨٨ .
فلسطين (الدولة الفلسطينية): ١٣٩ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ .
فلسفة الآبانيشاد: ٢٢٩ .
الفلسفة الإسلامية: ٩٤ ، ١٨٧ .
الفلسفة الإغريقية : ٦٠ .
الفلسفة البوذية: ٩٦ ، ١٣١ ، ١٨٧ .
الفلسفة الرومانية : ٦٠ .
الفلسقة الشرقية : ١٤٥ .
الفلسفة الصينية: ١٤٥ .
الفلسفة الهندوسية: ١٨٧ .
فيتنام (الحرب الفيتنامية): ٢٢٦ .
فيرستاند : ١٦٩ .

فيكتور فرانكل: ١٠٢ .
الفيليبين: ٤٠ .
فيينا: ١٣٧ .

[ق]

قانون حمورابي: ١٣٧ .
القبائل الجرمانية: ٧١ .
قبرص: ٧ ، ١٢١ ، ٢٥١ .
القدس: ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ .
القـرآن الكريم : ١٠ ، ٣٥ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٦٤ ، ٢٣٤ .
قرطبة: ٦٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ .
قريش: ٥٤، ١١٧ .
القسطنطينية: ٩٠ .
قصر الحمراء: ٦٣ .
القوقاز: ١٣٩ ، ١٤٠ .
قونية: ١٥٤ .

[ك]

كابول: ١٥٦، ١٥٧ .
الكاتدرائية الكاثوليكية: ٨١ .
الكاثوليكية: ٨٨ ، ٩٠ .
كارل بوبر: ١٤٦ .
كارل ماركس: ١٢٤ ، ١٨٥ .
كارل ياسبرز: ٢٢٨ ، ١٣٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

الكارما: ٢١٩، ٢٧٢ .

كالكتا: ١٧٦ .

كانيشكا : ١٥٥ ، ١٥٦ .

كليفورنيا:١٧

كامبريدج: ٢٠١ .

كاندالا (عائلة): ١١٥ .

كرايجر : (انظر ديفيد كرايجر) .

كردستان: ١٤٠ .

الكروات الرومان الكاثوليك : ١٣٩ .

كرومر: ٥٢ .

الكعبة: ٨٥ .

كليفورد جيرتز: ٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٣ .

كندا: ٢٥٩ .

الكنيسة الكاثوليكية : ٨١

الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية: ٩١ ، ٩٢ .

كو (شونيا، شونيانا): ١٧٢ .

الكوبونو: ١٠٤ .

كوروساوا (أكيرا كوروساوا): ٢١٣ ، ٢٤٤ .

كوريا: ١٣٩ ، ١٤١ ، ٢٢٦ ، ٢٦٣ .

كوريا الجنوبية: ٤٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

كوريا الشمالية: ٢٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

كوشانا (أسرة): ١٥٥ .

كونفوشيوس: ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

الكونفوشية (الكونفوشيوسية):٢٨ ، ٥٣ .

الكويت: ١٤٠ .

كيركجارد (سورين كيركجارد): ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

كينيث آرو: ١٣٢

[ل]

لاجونا هيلز: ,١٧

اللاهوت الأوروبى: ٩٠ .

اللهوت المسيحى : ٦٢ .

لاوتزى: ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

اللجنة الدولية للأمن والتعاون فى غربى آسيا: ٢٥١ .

اللغة الإنجليزية: ١١٠ .

اللغة العربية: ٨٧، ١٥٥، ١٧٨ .

اللغة الفارسية: ٩٥ .

اللغة اليابانية: ١٠٧ .

لندن: ١٩٩ .

لوتس ســوترا: ١٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٣٧ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٩٢ ،

ليستر ثورو: ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

ليفين: ١٦١ .

ليماسول: ٢٥١ .

ليو توستوى: ١٦٠ .

لينوس باولوج: ١٤ .

[م]

ما بعد الحداثة: ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ .

ماثيو بيرى (الكومودور بيرى): ١٣٠ .

الماجناكارتا: ١٣٧ .

مادونا: ٢١٣ .

مارتن بيوبر: ٢٢، ١٣٤ .

مارتن لوثر كينج: ٤٠ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٢٤٤ .

مارك كوهين: ١١٩ .

الماركسية: ٢٣٥ .

المازدكية : ١٥٧ .

ماكدونالد: ٢١٣ .

ماكس فيبر: ١٢٤ .

ماكيافيللى : (تنظر نيقولا ماكيافيللى) .

ماكيجوتشى (تسونيابورو ماكيجوتشى): ١٣ ، ١٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٥٥ ، ٩١ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ .

المانشانية : ١٥٧ .

ماهاتما غاندى : (انظر غاندى) .

ماهاينا : (انظر بوذية ماهايان) .

مايثيا جوانا (هسيه- شيين، شى جيان): ١٦٦ .

مايكل جاكسون: ٢١٣ .

متاهة مينوتاور: ٨ .
المجر:٧ .
مجلس الأمن: ١٢٢، ١٦٦ ، ١٩٧ .
محكمة العدل الدولية: ٢١١،
محمد (نبى):٢١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٧٨ ، ٢٢٨ .
محمد السيد سليم: ١١ .
محمد يونس: ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
المحيط الهادى : ١٨٧ .
المدرسة الواقعية: ٩٥ .
المدرسة الواقعية الجديدة: ١٣٦ .
المدينة: ٥٨، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٩ .
مذابح بول بوت: ٢٢٦ .
المذهب الشيعى: ٨٢ .
مرتضى مطهرى: ١٨٠ .
مرتفعات الجولان: ١٩٧ ، ٢٦٦ .
مركز دراسة الديانات العالمية: ٧ .
مركز الشرق- الغرب: ٢٥٢ .
المركز القومى للترجمة: ١١ .
مريم: ٧٩ ، ٨١ .
المسيح: ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١٠ ، ١٠٩ ، ١٥٥ ، ١٩٣ ، ٢٣٥ .

المسيحية: ١٠ ، ٢٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١٥٩ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٧٥ .

المشاركة الأوروبية المتوسطية: ٧ .

مشهد (مدينة) : ١٩ ، ٣٤ ، ٣٦ .

المصارف الإسلامية: ١٧ .

مصر:٧ ، ٥١ ، ٩٢ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٦٦ .

مصرف جرامين: ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٢٥٦ .

المكسيك: ٢٠٣ .

معاهدة حظر الألغام الأرضية : ٢١١ ، ٢١٥ .

معهد تودا للسلام العالمى وبحوث السياسة: ٧ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٤٣ ، ١٧٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ .

معهد ماساشوستس: ٢٥٤ .

المغول: ١٥٣ .

مفاوضات كامب ديفيد: ١٩٧ .

مكة: ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١١١ ، ١١٧ .

المكسيك : ١٥٩ .

ملقا: ٧ .

المفوضية الأوروبية: ٢٦٢ .

المملكة العربية السعودية : ١٤٠ .

المملكة المتحدة : ٢٠٤ .

المنتدى الاقتصادى (دافوس): ٢٥٦ .

منتدى الأمن لغربى أسيا: ١٢١ .

منتدى معهد تودا : ٢٤٩ .

منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (النافتا): ٢٥٩ ، ٢٦٧ .

منظمة التجارة العالمية: ٢١٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ .

منظمة الدول الأمريكية: ٢٦١ .

منظمة المؤتمر الإسلامى: ٧ ، ١١٤ .

منظمة الوحدة الأفريقية: ٢٦٠ .

المؤتمر البرلمانى الأوروبى المتوسطى: ٧ .

مؤتمر تابلوكورت: ٢٠٥، ٢٠٧ .

مؤتمر كامب ديفيد: ١٩٥ .

مؤتمر وستفاليا: ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

موروماتشى: ١٢٩ .

مؤسسة أنا ليند: ٩ .

موسى (نبى): ٥٤ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ١٠٩ ، ٢٢٨ .

موسى بن ميمون: ٩٠ .

مونتين: ٤٦ ، ٤٧ .

ميتشيو كاكو: ١٤٧ .

ميثاق الأمم المتحدة: ٢١١ .

الميثرائية : ١٥٧ .

ميجى (موتسوهيتو): ١٣٠ .

ميخائيل جورباتشوف: ٢٩ ، ٤٤ .

ميدنهيد: ٢٠٤ .

الميركوسور: ٢٦٠، ٢٦٨ .

ميشيل فوكو: ١٢٦ .

ميليندا (الملك) ميليندابانها: ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

ميمون :

مينا موتو (قبيلة) (جينجى): ١١٣ .

مينو: ١٦٧ .

مينوتاور : ٢٢ .

[ن]

ناجاريونا كانا: ١٠٦ ، ١٥٥ ، ١٧١ ، ١٧٢ .

ناجاسينا: ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

النازيون : ١٠٤ .

ناعوم تشومسكى: ١٢٦ .

ناماس كارا: ١١٦ .

ناماس تى : ١١٦ .

النشوء المشترك: ١٨٧ .

نظام اللاحرب : ٢٦٢ .

نظام الملك : ١٤٩ .

نظام وستفاليا: ٢٠٩ .

النهضة الأوربية: ٦١ ، ٦١ .

نوبل (جائزة نوبل) : ٩٠ ، ١٧٦ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢١٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

نوح (نبى): ١٠٩ .
نوربرت الياس: ١٢٥ .
نورمان كازنز: ٢٧٣، ٢٧٤ .
نورى: ٣٥ .
نور يالمان: ٤٠ ، ٦٩ .
نيبال: ١١٦ .
نيتشه (فريدريك نيتشه): ٢٣٦ .
نيسابور: ١٥٣ .
نيتشيرين (دايشونين): ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٦٥ ، ١٩٣ ، ٢٢٨ .
نيقولا ماكيافيللى: ١٥٠ .
نيلسون مانديلا: ٣٣ ، ٢٢٠ .
نيودلهى: ١٨٣ .
نيويورك: ٢٥٤ ، ٢٧٩ .

[هـ]

هابرماس : (انظر يورجين هابرماس) .
هانز انسبرجر: ١٥٣ .
هانز مورجانثاو: ١٣٥ .
هاواى: ١٤ ، ٣٤ ، ١٠٤ ، ٢٥٢ .
هاؤلو باسبى: ٣٠ .
هتلر: ١٠٤ ، ١٩٥ ، ٢٢٥ ، ٢٤٥ ، ٢٦٥ .
هرقليطس: ٢٢٩ .
الهند: ٣٣ ، ٥٧ ، ٧٧ ، ١١٦ ، ١٥٥ ، ١٨٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ .

الهندوسية: ٢٨ ، ٦٥ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ٢٣٤ .
هنرى كوربن: ٨١ .
هنرى كيسينجر:٢٩ ، ٢٦٦ .
هنتنجتون : (انظر صموئيل هنتنجتون) .
هوبز: (انظر توماس هوبز) .
هوجو (قبيلة): ٧١ .
هوسيوس: ٩٠ .
الهولوكوست: ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
هوميروس: ٢٢٩ .
هونولولو (مدينة): ٣١ ، ١٩٩ .
هيروشيما: ١٠٢، ١٧٠، .
هيرومو ياماجوتشى: ٣٠ .
الهلينية : ١٥٧.

[و]

والدة بوذا : ١٠٥ .
الوجودية: ٢٣٥ .
وسط أسيا : ١٥٣ ، ١٥٩ .
الوصايا العشر: ١٣٧ .
الوكالة اليهودية: ٢٦٥ .
ولفريد سميث: ١٦ .
الولايات المتحدة: ١٩ ، ٢١ ، ٥٩ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٢١ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٨٤ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤، ٢٦٨ .
ويليام ديفيز: ١٨٢ .

[ى]

اليابان: ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٧٢ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ .

ياسر عرفات: ١٩٧ .

ياهوه: ١٩٣ .

يشيفا: ٦٢ .

يعقوب: ٦٤ .

اليمن: ١٨٣ .

اليهودية: ١٠ ، ٢٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١٨٩ ، ١٩٥ .

يوجوسلافيا: ٩١ ، ١٣٥ ، ٢٢٦ .

يورجين هابرماس: ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ .

يورك: ٢٠٣ .

اليورو: ٢٦٢ .

يوم القيامة : ١٩٢ .

اليونان: ٧ ، ١٨٣ ، ٢٢٩ .

يونس : انظر محمد يونس .

يوهان جالتونج: ٢٦ ، ٤٢ ، ٢٤٥ .

المتحاوران فى سطور:

١ - دايساكو إيكيدا

رئيس حركة سوكاجاكاى الدولية ، ومؤسس جامعة سوكا فى اليابان ، ولد فى أوتا ، طوكيو ، فى ٢ يناير سنة ١٩٢٨ . من أسرة فقيرة ، وفقد أخاه الأكبر فى الحرب العالمية الثانية ، مما غرس لديه فكرة معارضة الحروب . تعلم بوذية نيتشيرين سنة ١٩٤٧ على يد تودا ، رئيس سوكاجاكاى ، وسعى فيما بعد إلى نشر تعاليم بوذية نيتشيرين ، وتعاليم لوتس سوترا ، وبعد وفاة تودا سنة ١٩٥٨ أصبح إيكيدا رئيسا لسوكاجاكاى من سة ١٩٦٠ حتى سنة ١٩٧٩ ، وما يزال رئيسًا فخريا لها ، ورئيسًا للشعبة الدولية لسوكاجاكاى . وقد تلقى إيكيدا حوالى ٢٠٠ درجة دكتوراه فخرية من جامعات فى مختلف قارات العالم ، والعديد من الجوائز ، كجائزة الأمم المتحدة للسلام ، كما أن له العديد من المؤلفات العلمية ، منها "الثورة الإنسانية" (١٢ مجلدًا) و"الثورة الإنسانية الجديدة" (١٠ مجلدات) ، وله حوارات منشورة مع عدد من كبار المفكرين ، منها "اختر الحياة : حوار مع أرنولد توينبى" .

١ - مجيد طهرانيان

أستاذ علم الاتصال الدولى فى جامعة هاواى منذ سنة ١٩٨١ ، ومدير معهد تودا للسلام العالمى وبحوث السياسة . تخرج فى جامعة هارفارد ، حيث حصل على الدكتوراه ، ونشط فى مجال بحوث السلام والحوار له العديد من المؤلفات ، من آخرها كتاب :

Asian Peace: Security and Governance in the Asia-Pacific Region, (London Ib Tauris, 1999) .

وكتاب :

Worlds Apart: Human Security and Global Governance , (London Ib Tauris, 1999) .

المترجم فى سطور:

د . محمد السيد سليم

أستاذ العلوم السياسية بجامعتى الكويت والقاهرة ، حاصل على الدكتوراه فى العلوم السياسية من جامعة كارلتون بكندا سنة ١٩٧٩ ، ومتخصص فى العلاقات الدولية . درّس بجامعات القاهرة ، والأمريكية بالقاهرة ، والملك سعود ، والإمارات ، والكويت . أسس وعمل مديراً لمركز الدراسات الآسيوية بجامعة القاهرة بين عامى ١٩٩٤ و ٢٠٠٣ . حاصل على جائزة الدولة للتفوق فى العلوم الاجتماعية سنة ٢٠٠٨، وله العديد من الكتب باللغتين العربية ، والإنجليزية ، من أحدثها "تحليل السياسة الخارجية" (١٩٩٨) ، و"تأميم شركة قناة السويس" (٢٠٠٢) ، و"الفكر السياسى لحاضير محمد" (٢٠٠٧) ، و"تطور السياسة الدولية فى القرنين التاسع عشر والعشرين" (٢٠٠٨) وله أيضاً :

_ Environment and Security in the Mediterranean û.©zêB, (Berlin: Spring, 2002)

- Arab Perceptions of the Euro-Mediterranran Projects, (Abu Dhabi, Emirates Center, 2000)

- ترجم (بالاشتراك) كتاب لويد جنسن ، "تفسير السياسة الخارجية" الصادر عن جامعة الملك سعود سنة ١٩٩١ . بالإضافة إلى تأليف عدد من البحوث الأكاديمية باللغتين العربية والإنجليزية ، من أحداثها "العولمة والعلوم الاجتماعية : حالة حقل الدراسات الأسيوية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، (جامعة الكويت) 34 (4),2006 ، ص 13 - 44

شارك فى العديد من حوارات الحضارات ، وبخاصة حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامى ، كما حضر العديد من المؤتمرات الدولية حول حوارات الحضارات ، أخرها المؤتمر الذى عقدته جامعتا كالجارى وفيكتوريا ، كندا ، فى مارس سنة ٢٠٠٨ عن العلاقة بين الإسلام والغرب كما نشر عدداً من البحوث العلمية فى موضوع حوار الحضارات .

التصحيح اللغوى : حسام أحمد
الإشراف الفنى : حسن كامل

يتضمن الكتاب سلسلة من "حوارات الحضارات" التى تمت على مدى عدة سنوات بين دايساكو إيكيدا، ومجيد طهرانيان باعتبار أن الأول يمثل الحضارة البوذية، بينما يمثل الثانى الحضارة الإسلامية. وقد تمت تلك الحوارات على مدى عدة سنوات تمت خلال التسعينيات وانتهت قبل أحداث سبتمبر سنة 2001، وإن كان المتحاوران قد حرصا فى نهاية الكتاب على التأكيد أن تلك الأحداث تثبت صحة مقولة الحوار بين الحضارات. وقد قسم المتحاوران الكتاب إلى أحد عشر فصلا تبدأ من الحوار حول وظيفة الحوار وتنتهى بنداء لكل الحضارات بأن تختار الحوار. وفيما بين الفصلين دخل المتحاوران فى سلسلة ممتعة من المناقشات حول مختلف القضايا المعاصرة متطرقين إلى أهم الأفكار العلمية والفلسفية الكبرى فى عالمنا المعاصر، ومشيرين إلى الأسماء الكبرى التى أثرت الفكر الإنسانى المعاصر وأهم إسهاماتها. وبذلك لم يدع المتحاوران أنهما أتيا بما لم يأت به الأوائل، ولكنهم يكملون ما أتى به هؤلاء. ورغم مكانتهما الرفيعة فى الفكر المعاصر فإنهما حرصا دائما على الاعتراف بفضل معلميهم.

وقد حدد المتحاوران هدفهما بأنه المساهمة فى بناء "حضارة عالمية تنبنى على الحضارات العالمية السابقة"، وبالتحديد إيجاد وبلورة ما هو مشترك بين الديانتين البوذية (وبالذات بوذية نيشيرين التى يؤمن بها إيكيدا) والإسلامية (وبالذات المذاهب الصوفية الروحانية التى يميل إليها طهرانيان). ولكن الحوار لم يقتصر على ما هو مشترك بين الديانتين، ولكنه شمل كيف ترى البوذية والإسلام القضايا المعاصرة، مثل العولمة، وبناء السلام، ومكافحة الفقر وغيرها، مع تحديد الأدوات اللازمة للوصول إلى عالم يتسم بالحوار بين الحضارات. وقد وجه المتحاوران نقدا فكريا عميقا لمقولة هنتنجتون عن صراع الحضارات، وانطلقا بعدها فى تحديد رؤيتهما لعالم الحوار الذى تضطلع فيه المنظمات غير الحكومية بدور رئيس، بل إنهما يشيران إلى أهمية بناء أمم متحدة للشعوب تتوازى مع الأمم المتحدة الرسمية.

تصميم الغلاف: هشام نوار